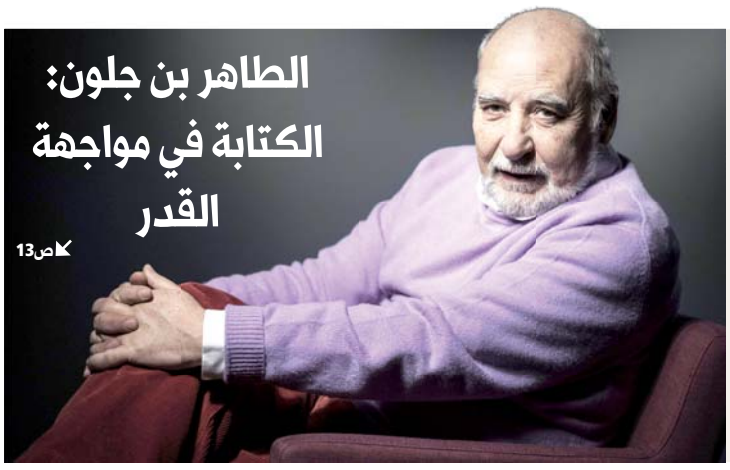

الطاهر بن جلون: الكتابة في مواجهة القدر

ص13

علي غديري

جنرال متقاعد يحلم بجمهورية جزائرية ثانية

ص8

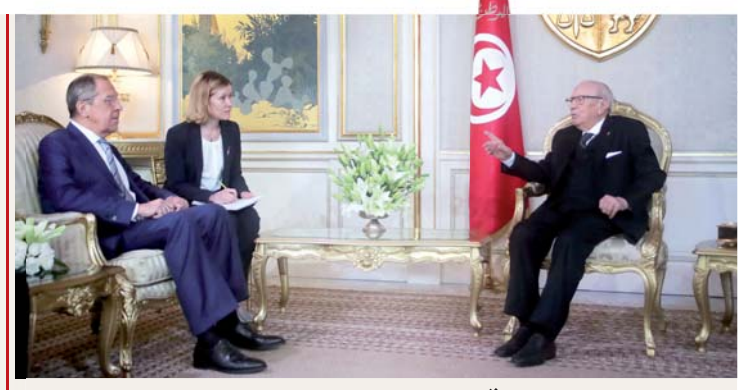

هل تمهد قمة تونس لعودة سوريا

ص3

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/01/27

21 جمادى الاولى 1440

السنة 41 العدد 11241

Sunday 27/01/2019

41st Year, Issue 11241

الإسلاميون يخططون لتشكيل قوة موازية للجيش الليبي

● خطوة لتقويض جهود حفتر في الجنوب ● التنافس يحتدّ لاستقطاب أنصار النظام السابق

منى المحروقي

❑ **تونس** – يواصل الإسلاميون في ليبيا مناوراتهم لتقويض جهود توحيد مؤسسات الدولة وإنهاء الانقسام والفوضى العاصفة بالبلاد، حيث يخططون لتشكيل قوة قوامها عسكريون سابقون محسوبون على نظام العقيد الراحل معمر القذافي، تمثل المنطقتين الجنوبية والغربية.

وحذر مصدر مطلع من مدينة مصراتة في تصريح لـ"العرب" من جهود يقودها محسوبون على القيادي في جماعة الإخوان علي الصلابي، لاستمالة إحدى الشخصيات العسكرية التي ما زالت تدين بالولاء لنظام القذافي لقيادة تلك القوة، لتكون قوة موازية للجيش الذي يقوده المشير خليفة حفتر.

وقال المصدر إن الإسلاميين يبحثون عن شخصية عسكرية قوية تحظى بثقة مختلف القبائل الليبية، ليلتف حولها العسكريون، الذين اختار أغلبهم الابتعاد عن العمل العسكري منذ سقوط النظام الذي فتح الباب لهيمنة الميليشيات.

وأضاف أن "الإسلاميين يحاولون صناعة رديف لحفتر كي يواصلوا اللعب على المتناقضات ويخلقوا مساحة للمناورة ليس سعيا للمصالحة كما يدعون ولكن لإدامة الفوضى وهي المناخ المناسب لاستمرارهم".

ويتهم الليبيون تيار الإسلام السياسي الذي أحكم قبضته على البلاد مباشرة بعد سقوط نظام القذافي، بالتمكين للميليشيات وتقويض جهود بناء المؤسستين الأمنية والعسكرية. ولطالما كانت تلك الميليشيات ذراعا عسكرية لضرب خصوم الإسلاميين.

ومع احتراق ورقة الميليشيات وتصاعد الأصوات المحلية والدولية الرافضة لها، لم يجد الإسلاميون من سبيل سوى الاحتماء بشعارات جديدة من قبيل المصالحة.

وتقود حكومة الوفاق بدعم من بعثة الأمم المتحدة منذ سبتمبر الماضي، جهودا لتنفيذ الترتيبات الأمنية لإخراج الميليشيات من العاصمة، بحسب ما أكد المبعوث الأممي غسان سلامة، وهي الخطوة التي لن تقتصر على طرابلس.

ويعدّ الفريق علي كنة قائد القوات الجوية في عهد القذافي ومسؤول الجيش في جنوب ليبيا إبان حكمه، أحد أبرز الشخصيات العسكرية التي يراهن عليها الإسلاميون لقيادة تلك القوة. وكنة عسكري ذائع الصيت ويحظى بشعبية في صفوف أنصار النظام السابق، بالإضافة إلى أنه يقود قوة عسكرية شكلها في 2016.

الجيش الذي أربك الإسلاميين وداعميهم

ويتخذ كنة الذي ينحدر من قبائل الطوارق من الجنوب مقرا له، ويقول إنه على مسافة واحدة من جميع الأطراف الموجودة على الساحة. لكن مراقبين يرجحون أن يكون أقرب إلى الإسلاميين من حفتر وسلطات الشرق.

ويستند هؤلاء في قراءتهم على عدة معطيات أبرزها تسليم ميليشيات القوة الثالثة عقب طردها من قبل الجيش في 2017، لحقل الشرارة النفطي لقوات علي كنة.

وكان كنة أعلن في 2016 عن تشكيل قوة عسكرية في الجنوب، وهي الخطوة التي حملت دلالات مشبوهة، باعتبار أنه لم يتم التنسيق مع القيادة العامة للقوات المسلحة، وهو أمر فسّر بأن الهدف من ورائه ضرب قيادة الجيش ومحاولة تقسيمه.

ويكمن تمسك الإسلاميين بكنة لإدراكهم بأنه قادر على أن يجمع ضباط وجنود النظام السابق في الشتات، والكثيرون يثقون فيه ويرفضون الانضمام للجيش الحالي بزعم أن قائده حفتر قاتل ضدهم في صفوف حلف شمال الأطلسي ناتو.

لكن مصادر قالت لـ"العرب" إن كنة رفض عرض الإسلاميين. وفي تصريحات نشرها موقع محلي، الجمعة، بدت وكأنها رسائل طمأنة للداخل، أعرب كنة عن تأييده لجهود توحيد المؤسسة العسكرية.

وأضاف "نحن باركنا اجتماعات القاهرة لتوحيد المؤسسة العسكرية رغم عدم دعوة ممثل للجنوب بصفة رسمية، ولا بد أن نذكر أن هناك عددا كبيرا من منتسبي القوات المسلحة في الجنوب لن يكون هناك توحيد للمؤسسة العسكرية دون وجودهم في المعادلة، ونتمنى في النهاية توحيد المؤسسة العسكرية".

وينظر الكثير من الليبيين إلى محاولات الإسلاميين وعلى رأسهم جماعة الإخوان، على أن هدفها هو التشويش على جهود توحيد المؤسسة العسكرية التي تقودها القاهرة منذ أكثر من سنة.

وتوقفت تلك الجهود مع إصرار حفتر على ضرورة أن يخضع الجيش لسلطة قائد أعلى منتخب، ما يعني رفض تولي رئيس المجلس الرئاسي الحالي فايز السراج للمنصب.

وبالإضافة إلى كنة، يراهن الإسلاميون على آمر سلاح الجو السابق الفريق ركن الريفي علي الشريف، الذي ينحدر من الجفرة.

ويذكي هذان الرهانان ما يشاع بأن الإخوان يحاولون شق الجيش من المنطقة الجنوبية. وفي حال نجح حفتر في ضم الجنوب إلى باقي مناطق نفوذه، سيكون قد تمكن من إحباط هذا المخطط.

وأطلق الجيش منتصف يناير الحالي عملية عسكرية لتطهير الجنوب من الإرهاب والعصابات التشادية المسلحة. وأثارت الخطوة غضب الإسلاميين وحلفائهم المحليين والدوليين.

ولا يستبعد مراقبون نجاح الإسلاميين في عقد تحالف مع أنصار النظام السابق، خاصة بعد لقاء دكار في مايو. وبدأت ملامح التقارب بين الطرفين منذ أكثر من سنتين، وهو ما بينه إطلاق سراح عدد من المحسوبين على النظام السابق من سجون مصراتة.

واحتدم التنافس مؤخرا على ورقة أنصار النظام السابق، وكان المشير خليفة حفتر أول من دعا العسكريين إلى الالتحاق بالمؤسسة العسكرية، كما كان له دور في تمرير قانون العفو العام.

أحمد قذاف الدم: القبائل «الحكيم» الذي يجمع شمل ليبيا

» ص4

السعودية تضيّق الخناق على شبكات تمويل الإرهاب

❑ **الرياض** – أعلنت السعودية، السبت، صدور نظام مكافحة تمويل الإرهاب، والذي يتضمن رقابة صارمة على 12 نشاطا ماليا. وتعكس هذه الخطوة رغبة سعودية في تضييق الخناق على الجماعات المصنفة إرهابية ومحاصرة شبكات التمويل الخاصة بها، وخاصة الشبكات المجهولة التي تتحرك تحت عناوين مضللة مثل الأنشطة الخيرية.

وكشفت الجريدة الرسمية السعودية عن أن النظام الخاص بمكافحة الإرهاب حدد 12 نشاطا ماليا سيتم فرض رقابة صارمة عليها. ومن أبرز المجالات المعنية بالقانون الخدمات الخاصة في المصارف، والإقراض أو الإيجار التمويلي.

وشدد النظام على "فرض رقابة صارمة على خدمات تحويل النقد أو العملات، وإصدار وإدارة أدوات الدفع، وتشمل بطاقات الائتمان، وبطاقات الحسم، والشيكات، والشيكات السياحية، وأوامر الدفع، والحوالات المصرفية، والعملة الإلكترونية، وإصدار خطابات الضمان المالي أو غيرها من الضمانات".

كما يتضمن النظام "إدارة المحافظ الاستثمارية، حفظ وإدارة النقد أو الأوراق المالية نيابة عن أي شخص آخر، وإبرام عقود حماية أو ادخار، أو غيرها من أنواع التأمين المتعلقة بالاستثمار بصفة مؤمن أو وسيط أو وكيل لعقد التأمين أو أي منتج تأميني لشركة تأمين، واستثمار الأموال أو إدارتها أو تشغيلها نيابة عن شخص آخر، إضافة إلى ما يتصل بالأوراق المالية، والواردة في نظام السوق المالية ولوائحها".

ونص على أنه في حالة القبض على المشتبه به في ارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها، فسيتم إشعار النيابة العامة فور القبض عليه.

ويأتي هذا القانون لتدعيم حملات قوية تقوم بها السلطات الأمنية في تتبع الشبكات المشبوهة التي تعمل لفائدة جماعات مصنفة إرهابية في المملكة وتضم حزب الله اللبناني وجماعة الحوثي اليمنية وجماعة الإخوان المسلمين وتنظيمي داعش والقاعدة والتفريعات المرتبطة بهما.

وكان قانون سعودي صدر في 2014 قد شدد العقوبات على أي شخص يقوم بـ"تأييد التنظيمات أو الجماعات أو التيارات أو التجمعات أو الأحزاب (المدرجة في قائمة الجماعات الإرهابية) أو إظهار الانتماء إليها أو التعاطف معها أو الترويج لها أو عقد اجتماعات تحت مظلتها سواء داخل المملكة أو خارجها".

عادل عبدالمهدي يعيد كركوك إلى الأكراد في صفقة غامضة

● واشنطن تساند مساعي قيادات كردية لإعادة المحافظة الغنية بالنفط إلى وضع ما قبل 2014

❑ **بغداد** – يخشى العرب والتركمان في كركوك من أن يكون رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي قد أعاد تسليم المدينة إلى الأكراد، بقراره استبدال القوة العسكرية التي تسيطر عليها، في خطوة قد تخفي صفقة سياسية أو ضغوطا خارجية.

وفيما يتكتم الساسة العراقيون على خلفيات القرار، فإن مصادر عراقية كشفت عن دور أميركي مؤثر في إعادة وضع المحافظة إلى ما قبل 2014 تاريخ هجوم تنظيم داعش.

وبشكل مفاجئ، أصدر عبدالمهدي، بصفته قائدا للقوات العراقية المسلحة، قرارا يقضي بسحب قوات جهاز مكافحة الإرهاب من كركوك، والدفع بدلا عنه بقوة تابعة للجيش، ومكونة من مقاتلين أكراد في الغالب.

وفرضت قوات الحكومة الاتحادية، في أكتوبر 2017، سيطرتها على مدينة كركوك، مركز المحافظة، بعد أن كانت تخضع لسيطرة قوات إقليم الشمال (البيشمركة). ومنذ ذلك الوقت تتولى قوات مكافحة الإرهاب، وهي قوات نخبة في الجيش، إدارة الملف الأمني في كركوك.

وتحدثت مصادر عراقية مطّلعة عن دور أميركي مؤثر في قرار إعادة المدينة إلى الأكراد، وذلك في سياق رهانات واشنطن الجديدة على الأكراد قبل قرارها بالانسحاب من سوريا، كاشفة عن اجتماع عقده السفير الأميركي دوغلاس سيليمان داخل السفارة مع ممثلين عن كركوك انتهى إلى إقرار سحب قوات مكافحة الإرهاب وتكوين دوريات مشتركة بين القوات العراقية وعناصر البيشمركة.

ومؤخرا لاحت بوادر عودة الاهتمام الأميركي بالقوات الكردية، وبإقليم كردستان العراق ككلّ، والذي يمكن أن يعود موضع ثقل التواجد الأميركي في المنطقة، بعد أن لاحت صعوبة رهان الولايات المتحدة على أكراد سوريا المجاورة لعدّة أسباب على رأسها الاعتراض التركي على تأسيس أي كيان كردي على الأراضي السورية.

وتمثل كركوك الغنية بالنفط، منطقة صراع تاريخي بين سكانها الأكراد والعرب والتركمان.

ومنذ 2005، تمت برعاية دولية عملية توزيع للأدوار بين مكونات المدينة، ضمنت تفوق الأكراد، بحصولهم على منصب المحافظ، وهو أعلى سلطة تنفيذية في المحافظة.

ولأن كركوك هي معقل تقليدي للاتحاد الوطني الكردستاني، الذي أسسه وتزعمه لسنوات طويلة، الرئيس العراقي الراحل جلال الطالباني، جرى تسليم منصب المحافظ للحزب، فيما حافظ الحزب الكردي الآخر، الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني على وجود محدود في هذه المدينة.

لكن البارزاني أحكم قبضته العسكرية على كركوك، صيف العام 2014، عندما خرج الجيش العراقي منها، إثر اجتياح تنظيم داعش لأجزاء واسعة من البلاد.

وفي 2017 أقنع البارزاني، محافظ كركوك آنذاك، نجم الدين كريم، الذي ينتمي إلى الاتحاد الوطني، بدعم مشروع إجراء استفتاء بين الأكراد على الانفصال من العراق، وهو القرار الذي أغضب بغداد، واستفز دول الإقليم، وورط أربيل في خلافات عميقة مع شركائها الدوليين.

وعندما حاول رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، حينها معرفة موقف قيادة الاتحاد من تأييد محافظ كركوك لمشروع الانفصال، تلقى إشارات تكشف أن كريم بات خارج سيطرة الحزب، بل وصل الأمر إلى الحديث عن التحاقه بحزب البارزاني.

وفي السادس عشر من أكتوبر، أي بعد 21 يوما من إجراء استفتاء الانفصال، اجتاحت قوات تابعة للحكومة الاتحادية، مدينة كركوك، لتسيطر عليها بشكل شبه كلي، إثر مناوشات محدودة مع قوات البيشمركة التابعة للبارزاني، بعدما قررت بيشمركة الاتحاد الوطني عدم الاشتباك.

ثورة غيّرت المنطقة... نحو الأسوأ

خيرالله خيرالله

» ص7

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

إخوان الجزائر يدخلون سباق الانتخابات الرئاسية بخلافات عميقة

ترشيح حمس لعبدالرزاق مقري يكشف صفقات خفية مع دوائر السلطة

أعلنت حركة مجتمع السلم (حمس)، الحزب الإسلامي المحسوب على المعارضة في الجزائر، خوض الانتخابات الرئاسية المقررة في البلاد يوم 18 أبريل المقبل، واختارت رئيسها عبدالرزاق مقري مرشحا لها في الموعد الانتخابي الرئاسي بناء على قرار مجلس الشورى الوطني للحركة بالإجماع.

صابر بليدي

الجزائر – قرّرت حركة مجتمع السلم الإخوانية خوض سباق الانتخابات الرئاسية المقررة في شهر أبريل القادم بترشيح مجلسها للشورى لعبدالرزاق مقري، وسط أجواء من الشكوك تلفّ الاستحقاق الرئاسي نفسه، ووضع النظام الداخلي في صفوف الإخوان، بعدما قرر رئيس حمس السابق أبوجرة سلطاني عدم خوض السباق.

وقرر مجلس شورى حركة مجتمع السلم ترشيح رئيسها عبدالرزاق مقري لخوض سباق الانتخابات الرئاسية القادمة، ليكون بذلك ثاني استحقاق رئاسي يخوضه إخوان الجزائر منذ بداية التعددية السياسية والحزبية في البلاد العام 1989.

> متابعون لا يستبعدون أن تكون مشاركة حمس من قبيل خطة تكون فيها رقما مهما في المشهد الذي يعقب الانتخابات الرئاسية، ولا يمكن أن تكون قد تقررت بمعزل عن الاتصالات التي جرت بين مقري ورجل الظل في السلطة سعيد بوتفليقة خلال الأسابيع الماضية حول تمرير خيار تأجيل الانتخابات

وذكر مسؤول الاتصال في حركة حمس عبدالله بوعجمية في منشور له على صفحته الرسمية، أن "مجلس الشورى الوطني لحركة مجتمع السلم، قرر بالإجماع المشاركة في الانتخابات الرئاسية برئيسها عبدالرزاق مقري".

وتأكدت بذلك نوايا أكبر الأحزاب الإخوانية في الجزائر في خوض سباق الانتخابات الرئاسية، حيث تضمن خطاب حمس في الأشهر الأخيرة إشارات إلى اختبار الحركة لحظوظها في هذا الاستحقاق رغم الغموض الذي يكتنف المشهد السياسي في البلاد، ورغم تهم الخيانة التي طالت حمس حتى من طرف الأحزاب الإسلامية.

ولا يستبعد المتابعون أن تكون مشاركة حمس من قبيل خطة تكون فيها رقما مهمّا في المشهد الذي يعقب الانتخابات الرئاسية، ولا يمكن أن تكون قد تقررت بمعزل عن الاتصالات التي جرت بين مقري ورجل الظل في السلطة سعيد بوتفليقة، خلال الأسابيع الماضية حول تمرير خيار تأجيل الانتخابات، أو ما تم تسريبه هذا الأسبوع في باريس، عن مضمون كتاب سيصدر لاحقا حول وجود خطة تحالف بين قيادة الجيش وحمس لتقاسم منصبي رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة. ويعتبر ترشيح مقري لخوض السباق، الترشيح الثاني في صفوف تيار الإسلام السياسي بعد قرار حركة البناء الوطني، المنبثقة عن حركة حمس، تقديم رئيسها عبدالقادر بن قرينة ليكون مرشحها في الانتخابات الرئاسية القادمة.

وكان عبدالرزاق مقري قد ألمح منذ أسابيع إلى مشاركة الحركة في الاستحقاق، إذا لم يتم تأجيله إلى موعد آخر، وفق مبادرة التوافق الوطني التي أطلقتها حمس منذ الصائفة الماضية، واعتبر ذلك من قبيل الخطط البديلة لحمس في التعاطي مع التطورات السياسية.

وصرّح عشية انعقاد دورة مجلس الشورى الوطني بأنه "يجب أن ننتبه إلى أنه لا يمكن أن نخرج من الساحة السياسية.. حمس معنية بالانتخابات الرئاسية 2019، ولا يمكن لأحد أن يجمّدنا ببعض الأوهام، فيصنع مستقبل الجزائر ونحن خارج الساحة السياسية".

ويعتبر ترشيح حمس لعبدالرزاق مقري لخوض الانتخابات الرئاسية في البلاد، التجربة الثانية للإخوان بعد ترشح مؤسس الحركة الراحل محفوظ نحناح في انتخابات العام 1995، لمنافسة مرشح السلطة آنذاك الجنرال اليمين زروال، في ذروة الأزمة الأمنية والسياسية التي عصفت بالبلاد خلال العشرية الحمراء.

حسابات ما بعد الانتخابات تشغل مقري

ودخلت حمس منذ تلك التجربة في تحالف مع السلطة، حيث دعمت الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة في انتخابات 1999، 2004 و2009، ضمن ما كان يعرف بالتحالف الرئاسي، المكون منها ومن جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي، كما شاركت في مختلف الحكومات المتعاقبة إلى غاية العام 2012، لما قررت القفز من قارب السلطة والتخندق في صفوف المعارضة ضمن تكتل تنسيقية الحريات والانتقال الديمقراطي.

وجاء ترشيح مقري بإجماع مجلس الشورى الوطني في أجواء نظامية غامضة في صفوف الإخوان، بسبب تململ داخلي يقوده جناح الحمائم، يرى عدم جدوى المشاركة المستقلة في الانتخابات، ويعتبر أن فرصة ذلك لم تحن بعد، مما يخفي وراءه نوايا الاصطفاف وراء مرشح السلطة إسوة بالتجارب الماضية.

ويأتي على رأس هؤلاء الرئيس السابق أبوجرة سلطاني، وساعده الأيمن عبدالرحمن سعيدي، وقد تجسدت مقاربة الجناح بإقرار سلطاني عدم الخوض في سباق الانتخابات، حيث صرّح للصحافيين في دورة مجلس الشورى "الترشح بلون حزبي أو أيديولوجي مازالت بيئته غير مهيأة، يمكن أن يكون على مستوى الوزارة الأولى أو البرلمان، أما المنصب الأول فلا تزال بيئته غير متوفرة".

وبدت نبرة سلطاني فاترة، مما يوحي بعدم تحمّسه لخوض الحملة الانتخابية لحركة حمس، الأمر الذي يثير عدة استفهامات حول ارتدادات تضارب الرؤى داخل صفوف الإخوان بشأن الاستحقاق الرئاسي، وتأثيره على الوعاء الانتخابي والشعبي، لاسيما في ظل النتائج المتواضعة المحصّلة في الانتخابات التشريعية والمحلية التي جرت في السداسي الأول من العام 2017. ويبقى موقف تنظيم المنتدى العالمي للوسطية الذي أطلقه أبوجرة سلطاني، ويعكف على هيكلته في المحافظات خلال الأسابيع الأخيرة، مفصليا في توجهات جناح الحمائم في صفوف الإخوان، خاصة وأن تصريحات سلطاني ألمحت إلى أنه سيكون داعما لبوتفليقة في الانتخابات، رغم ما وصفها بـ"الشروط والالتزامات التي أقرها المنتدى تجاه المتنافسين على قصر المرادية".

ويرى متابعون لشؤون تيار الإسلام السياسي في الجزائر، أن وظيفة التنظيم ستكون الخطة البديلة لأبوجرة سلطاني، بعدما فلتت حمس من بين يديه، فقد انتقلت من المشاركة في السلطة إلى المعارضة، ثم قررت خوض الانتخابات الرئاسية بصفة مستقلة، ليتمكن من البقاء في عباءة السلطة أو كمقرّب منها، فهو مستعد لوضع المنتدى في خدمة مرشح السلطة في الاستحقاق القادم.

التجنيد الإجباري يدخل حيّز التنفيذ في المغرب

الرباط – دخل قانون التجنيد الإجباري حيّز التنفيذ في المغرب بعد 11 عاما من إلغائه. ويأتي دخول القانون حيّز التنفيذ بعد نشره في الجريدة الرسمية، الجمعة.

وصادقت الحكومة المغربية في 20 أغسطس 2018 في جلسة ترأسها العاهل المغربي الملك محمد السادس على مشروع قانون "الخدمة العسكرية" (التجنيد الإجباري) بعد إلغائه في العام 2007.

ويلزم هذا القانون المواطنات والمواطنين ممن بلغوا 19 عاما بالالتحاق بالخدمة الإلزامية ويحدد مدتها بـ12 شهرا.

وأعلنت الوزارة المكلفة بالدفاع الوطني في وقت سابق، أن موعد انطلاق تدريب الفوج الأول سيكون في سبتمبر المقبل، عبر استفادة 10 آلاف شخص.

وبخصوص النساء والمغتربين المغاربة في الخارج، فقد نص القانون على إمكانية الترشح الطوعي.

وحسب المادة الأولى من هذا القانون، يمكن أن تمنح إعفاءات مؤقتة أو نهائية تحدد شروطها بنص تنظيمي، لأسباب معيّنة، وخاصة العجز البدني أو الصحي الذي يكون مثبتا بتقرير طبي صادر من المستشفيات العمومية.

ويستثنى من الخدمة العسكرية الأشخاص الذين حكم عليهم بعقوبة جنائية أو بالسجن النافذ لمدة تزيد عن ستة أشهر، ما لم يحصلوا على إعادة الاعتبار، أما الأشخاص الذين لم يؤدوا خدمتهم العسكرية، أيا كان السبب، فيمكنهم عندما تسمح الظروف بذلك بأدائها، وفق المادة 3 من نص القانون.

وحدّد القانون رواتب شهرية للمستفيدين من التجنيد الإجباري ما بين 1050 و2100 درهم (نحو 110 دولارات و220 دولارا).

وبدأ المغرب في العمل بالتجنيد الإجباري عام 1966، والذي كان يمتد إلى 18 شهرا، ولم يكن يستثنى منه سوى الذين يعانون من العجز البدني أو أصحاب المسؤوليات العائلية أو طلبة الجامعات، غير أنه في العام 2007 قرر العاهل المغربي الملك محمد السادس إلغاء هذه الخدمة.

الخدمة العسكرية باتت إجبارية في المغرب

انتهاك قطري للثروة الحيوانية يثير استياء التونسيين

تونس – أدان حقوقيون تونسيون إقدام وفد قطري على اصطياد أنواع نادرة من الطيور بالجنوب التونسي، في خطوة تمثل انتهاكا للصحراء التونسية وتهديدا للثروة الحيوانية في البلاد.

ونقلت الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، الخميس، عن شهود عيان قولهم إن قافلة من السيارات القطرية رباعية الدفع تجوب المناطق الصحراوية الواقعة شمال وشرق محافظة توزر مسنودة بطائرة عمودية تلاحق طرائد الصيد من غزلان وأرانب وطيور القطا والحبارى، مستعملة الصقور الصيادة والأسلحة والمناظير الدقيقة.

ونشرت المنظمة على صفحتها الرسمية بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك فيديو لقافلة السيارات في منطقة صحراوية تتبعها طائرة عمودية.

وأقر محافظ تونس في تصريحات لوسائل إعلام محلية، بأن "شقيق أمير قطر وصل إلى توزر السبت الماضي على متن طائرة قطرية وذلك بعلم وتنسيق من السلطات المركزية". فيما نفت وزارة الدفاع في بلاغ وجود أي ترتيب مسبق مع مصالحها بخصوص النشاط الترفيهي للزائرين أو تنقلاتهم في الفضاء الصحراوي باعتبار أن موضوع هذه التراخيص ليس من مشمولاتها، مشيرة إلى أن "المروحية المستعملة ليست عسكرية بل هي مدنية أجنبية متحصلة على التراخيص الضرورية للجولان". وذكرت تقارير صحافية أن الحكومة التونسية قد شرعت في التحقيق بشأن قيام قطريين بعمليات صيد برّي عشوائية في الصحراء جنوب تونس، وانتهاك الثروة الحيوانية.

ويشير خبراء إلى أن القطريين دأبوا على انتهاك الصحراء التونسية منذ سنوات طويلة وتحديدا منذ بداية نظام الرئيس التونسي الأسبق زين العابدين بن علي عام 1988، حيث كانوا مولعين باصطياد طائر الحبارى والغزال وغيرهما من الحيوانات دون اكتراث للسيادة الوطنية.

وشرح عبدالمجيد دبار الناشط البيئي لـ"العرب" تفاصيل هذه الحادثة التي كانت محل متابعته ميدانيا، وأوضح بقوله إن "الوفد القطري كان بعد لاصطياد طائر الحبارى بالجنوب التونسي منذ أكتوبر الماضي، حيث خصّص عناصر للبحث عن هذا النوع النادر من الطيور في الأماكن التي يقتات منها وتم منحها راتبا وسيارة لتسهل عليها العملية".

> الوفد القطري كان يعد لاصطياد طائر الحبارى بالجنوب التونسي منذ أكتوبر الماضي، حيث خصص عناصر للبحث عن هذا النوع النادر من الطيور في الأماكن التي يقتات منها وتم منحها راتبا وسيارة لتسهل عليها العملية

وتابع "بعد ذلك يأتي الوفد إلى تونس بعد تحديد أماكن تواجد الحبارى ويكتفي بالبحث في مساحة أربعة كيلومترات ثم تسير سيارته ببطء وعند الاقتراب من الطائر تتقدم سيارة الأمير لاصطيادها، كما يطلقون طائرا من فصيلة الصقر". وأضاف "ما يعجزون عن القيام به في صحرائهم يقومون به في صحرائنا، فصحراؤهم أصبحت خاوية لا روح فيها.. وهم لا يكتفون بصيد الحبارى، إذ يصطادون الغزال وحيوانات أخرى".

وتعد هذه الحيوانات البرية نادرة في صحراء وبراري تونس وتحجّر القوانين المحلية صيدها. وبيّن دبار أن "موسم الصيد في تونس أغلق من 25 نوفمبر، وبالنسبة لحالات الصيد غير القار التي تشمل السياح والوافدين يجب أن تحترم فيها القانون التونسي، إذ يجب أن تتحصل أولا على ترخيص من السلطات، ما يشير إلى خرق فاضح للقانون".

وطائر الحبارى محمي دوليا بموجب اتفاقات صادقت عليها تونس. ولفت دبار إلى أن "تونس موقعة على اتفاقيات دولية لحماية بعض الحيوانات النادرة من الانقراض ومن بينها طائر الحبارى وهو ما يثبت خرق القانون من قبل الوفد القطري".

وأثارت هذه الحادثة استياء التونسيين واعتبروا أنها ليست فقط خرقا للقانون وتهديدا للثروة الحيوانية بالبلاد، بل هي تمس من كرامتهم وسيادة وطنهم أمام تذبذب مواقف المسؤولين حول حقيقة مد الوفد القطري بتراخيص صيد.

وقال منذر ثابت المحلل السياسي لـ"العرب" إن "المعطيات والمعلومات تؤكد أن عمليات الصيد العشوائي تمت بالصحراء التونسية"، لافتا إلى أن "هذه الممارسة ليست جديدة وبدأت منذ النظام الأسبق".

وأشار ثابت إلى أن "الصيد بالصحراء من تقاليد القطريين، لكنّ التونسيين لا يقبلون هذه الممارسات على ترابهم وفي صحرائهم". ورأى أنه من الضروري أن توضح السلطات كيف دخلت الطائرة المروحية التي تنقل الوفد القطري لمحافظة توزر. وأضاف "هناك حساسية في تونس تجاه كل ما يصدر من الطرف القطري نتيجة احتراز ضد السياسات القطرية في تونس.. فالحضور القطري مثير لحفيظة التونسيين لأنه كان حضورا انتقائيا وموجها".

وطالب منذر ثابت المجتمع المدني بالتحرك لحماية الثروة الحيوانية في تونس، قائلا إنه "من غير المسموح أن تقع إبادة هذه الثروة بطريقة عشوائية واعتباطية مثلما وقع مؤخرا في محافظة توزر".

ودعت رابطة حقوق الإنسان في تونس إلى الإيقاف العاجل لعمليات صيد الحيوانات البرية النادرة في الصحراء في الجنوب بعد تلقيها شكاوى عن وجود صيادين من دول خليجية، تحديدا من قطر في المنطقة. وأوضحت المنظمة في بيان لها موجه إلى السلطات "لقد سبق أن نبهنا مصالحكم إلى ما يحدث من استباحة لحرمة الوطن، وإبادة للثروة الحيوانية البرية النادرة والمهددة بالانقراض في صحرائنا".

وقالت المنظمة في بيانها "نحن إذ نرفض استباحة القوافل القطرية لأراضينا ومواصلة الإبادة لثروتنا الحيوانية المجرم صيدها، والمحرم على أبناء وطننا، فإننا في نفس الوقت نستغرب المرافقة الرسمية لهذه القوافل".

قمة تونس تمهّد لعودة سوريا إلى جامعة الدول العربية

دمشق تتهم أنقرة بخرق اتفاق أضنة وتنتقد تبرير التدخل العسكري التركي

أعادت القمة العربية التي ستستضيفها تونس في مارس القادم تحريك ملف عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية وهو الموضوع الذي كان على رأس أجندة زيارة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إلى تونس السبت. وشدد الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي على أن بلاده تسعى لمساعدة سوريا على الخروج من أزمتها، فيما قال وزير الخارجية التونسي خميس الجهيناوي بأن "المكان الطبيعي لسوريا هو داخل الجامعة العربية".

❑ **تونس** – أكدت تونس، السبت، أن عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية تتطلب قرارا توافقيا بين جميع الدول الأعضاء، وذلك قبل شهرين من استضافة تونس للقمة العربية القادمة، مشددا في الوقت نفسه على أن "المكان الطبيعي لسوريا هو داخل الجامعة العربية"، الأمر الذي يجعل من هذه القمة المرتقبة فرصة لإعادة طرح ملف عودة سوريا.

وقال الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي خلا لقائه، السبت، بوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف في قصر الرئاسة بقرطاج، إن "عودة سوريا إلى جامعة الدول العربية تقتضي قرار توافقيا من المجموعة العربيّة". وتستضيف تونس في 31 مارس القادم القمة العربية السنوية.

وشدد قائد السبسي على أن بلاده تحرص على الحفاظ على وحدة سوريا وعلى خروجها من أزمتها في أقرب وقت "من خلال تسوية سياسية شاملة تضمن للشعب السوري الشقيق أمنه واستقراره".

> وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف يدعو تونس إلى تأكيد حرصها على عودة سوريا إلى الجامعة العربية خاصة أنها ستحتضن القمة العربية

من جانبه أفاد وزير الخارجية التونسي خميس الجهيناوي، خلال مؤتمر صحافي مشترك مع لافروف، السبت، بأن "سوريا دولة عربية، ومكانها الطبيعي هو داخل الجامعة العربية". وأضاف أنه "بالنسبة إلى سوريا، القرار يعود إلى وزراء الخارجية العرب الذين لهم أن يقرروا ما يمكن أن يفعلوه، على اعتبار أن قرار عودتها إلى الجامعة العربية ليس بقرار وطني تونسي". وجدد الجهيناوي تأكيد حرص تونس على الإسراع بإيجاد حل للنزاع السوري وتوافق السوريين للخروج من أزمتهم.

اهتمام مشترك

وكان تم تعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية مع بداية النزاع في هذا البلد في 2011. وهي لا تزال خارج الجامعة وسط استمرار انقسام الدول العربية بشأن عودتها إلى المنظمة.

وقال لافروف من جهته إنه بحث مسألة عودة سوريا إلى الجامعة العربية مع المسؤولين في تونس والجزائر والمغرب مشددا على ضرورة هذه العودة.

وقال لافروف، في الندوة الصحافية المشتركة مع وزير الخارجية التونسي، "على تونس أن تحرص على عودة سوريا خاصة أنها ستحتضن القمة العربية في مارس المقبل".

وأضاف لافروف "أنا متأكد أن أصدقاءنا التونسيين مهتمين بعودة اللاجئين السوريين الموجودين في تونس إلى سوريا قريبا، وذلك في إطار تعزيز الموقف الروسي من الأزمة في سوريا".

وشهدت الأسابيع الأخيرة خطوات عربية متصاعدة للتطبيع مع النظام السوري، بدأت بإعلان الإمارات والبحرين عودة العمل في سفارتيهما بدمشق إلى جانب زيارة أجراها الرئيس السوداني عمر البشير إلى سوريا.

وأعاد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، السبت، تصريحاته السابقة بأن أحكام "اتفاق أضنة" الموقع بين دمشق وأنقرة عام 1998، لا تزال سارية المفعول.

وقال أردوغان، في كلمة ألقاها خلال اجتماع تعريفي بمرشحي حزب العدالة والتنمية لبلديات غازي عنتاب، "أخبروا من يسأل عن سبب تواجد تركيا في سوريا، بأن أحكام اتفاق أضنة لا تزال سارية المفعول".

وتابع "الأطراف التي ترغب في إبعاد تركيا عن سوريا لا تهدف إلى ضمان حرية الشعب السوري، وإنما على العكس تماما فهي تسعى إلى تعميق المستنقع".

وأردف "أظهرنا للعالم أننا لا نتردد عندما تقتضي الضرورة بتنفيذ العمليات العسكرية في سوريا، وسنأتي بغتة إذا لم تنجح المباحثات السياسية والدبلوماسية".

لكن سوريا ترى في مثل هذه التصريحات تهديدا مباشرا لها وخرقا لاتفاق أضنة، والتي وصفها مسؤول في الخارجية السورية بأنها "تصريحات متكررة وغير مسؤولة من قبل النظام التركي حول النوايا العدوانية التركية في سوريا"، حيث انتقدت دمشق تبرير مسؤولين أتراك تدخلهم العسكري في سوريا بتطبيق الاتفاق الموقع بين البلدين منذ أكثر من عقدين.

وقال السؤول، في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء السورية السبت، إن "النظام التركي ومنذ عام 2011 كان ولا يزال يخرق هذا الاتفاق عبر دعم الإرهاب وتمويله وتدريبه وتسهيل مروره إلى سوريا أو عبر احتلال أراض سورية من خلال المنظمات الإرهابية التابعة له أو عبر القوات المسلحة العسكرية التركية بشكل مباشر". وأكد على أن أي تفعيل لاتفاق التعاون المشترك بين سوريا وتركيا يتم عبر إعادة الأمور على الحدود بين البلدين كما كانت وأن يلتزم النظام التركي به "ويتوقف عن دعمه وتمويله وتسليحه وتدريبه للإرهابيين وأن يسحب قواته العسكرية من المناطق السورية التي يحتلها". وشدد المصدر على أن "سوريا ما زالت ملتزمة بهذا الاتفاق والاتفاقيات المتعلقة بمكافحة الإرهاب بأشكاله كافة من قبل الدولتين" على عكس تركيا.

مقتل محتج في اقتحام معسكر للجيش التركي شمال العراق

❑ **دهوك (العراق)** – قال سكان ومسؤولون أكراد إن محتجا قتل وأصيب عشرة آخرون على الأقل عندما اقتحموا معسكرا للجيش التركي قرب دهوك في إقليم كردستان العراق، السبت، وأحرقوا دبابتين ومركبات أخرى.

وقال نجيب سعيد المسؤول الصحي الكبير في المنطقة، إنه لم يتضح بعد سبب الوفاة. وأضاف أن الجنود الأتراك أطلقوا النار على المحتجين وأن حرق المركبات والمعدات تسبب في عدة انفجارات.

وذكر مسؤول كردي في منطقة دهوك، طلب عدم نشر اسمه، أن المتظاهرين كانوا يحتجون على ضربة جوية تركية في الآونة الأخيرة أسفرت عن مقتل أربعة مدنيين.

وكتبت وزارة الدفاع التركية على تويتر "وقع هجوم على إحدى القواعد في شمال العراق جراء تحريض من منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية. لحقت أضرار جزئية بمركبات ومعدات خلال الهجوم".

وقالت الوزارة إنه "يتم اتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة في ما يتعلق بالواقعة" ولم تذكر اسم القاعدة.

وتنفذ تركيا ضربات جوية بصورة منتظمة بالقرب من الحدود مستهدفة قواعد مقاتلي حزب العمال الكردستاني في شمال العراق. وتخوض الجماعة تمردا منذ عقود في تركيا.

وقال مسؤول كردي ثان، لم يكشف عن اسمه، إن الجنود الأتراك في المعسكر الواقع في شيلادزي إلى الشرق من دهوك أطلقوا النار في البداية على المحتجين ثم غادروا المعسكر. وأضاف أن قوات الأمن الكردية تحاول السيطرة على الوضع.

والأربعاء الماضي، أفاد شهود عيان بأن أربعة مدنيين عراقيين لقوا حتفهم جراء قصف الطائرات التركية لمناطق شمال مدينة دهوك.

وتشن الطائرات التركية غارات جوية على أهداف مختلفة في شمال العراق منذ منتصف ديسمبر الماضي، مستهدفة أهدافا تابعة لحزب العمال الكردستاني ردا على هجماته داخل تركيا.

والشهر الماضي، أعلن الجيش التركي أن طائراته الحربية قصفت أهدافا لحزب العمال الكردستاني في شمال العراق، في تصريحات تأتي لتشير إلى تجاهل أنقرة لاحتجاج بغداد التي قالت إن الضربات الجوية التركية المتكررة تنتهك سيادتها وتعرض المدنيين للخطر.

وكانت السلطات العراقية قد استدعت السفير التركي في بغداد بعد أن قالت أنقرة إنها قتلت ثمانية مسلحين من حزب العمال الكردستاني المحظور. وأكدت تركيا أنها ستواصل مهاجمة حزب العمال الكردستاني ما دام يجد ملاذا في العراق.

«تجمع المهنيين» قوة معارضة سودانية تقفز على ضعف الأحزاب

❑ **القاهرة** – استطاع الرئيس السوداني عمر حسن البشير طوال ثلاثة عقود إخماد أصوات المعارضة أو تشتيت رموزها، لكن "تجمع المهنيين السودانيين" تمكن من كسر هذا الطوق ليقود احتجاجات ضد نظامه.

وفي ظل تدهور الأحوال الاقتصادية والمعيشية في البلاد، نظمت مجموعات صغيرة غالبيتها من الشباب تضم أساتذة جامعات وأطباء ومهندسين وغيرهم، أطلقوا على تحركهم "تجمع المهنيين السودانيين"، تظاهرات ضد نظام البشير بدأت في 19 ديسمبر الماضي.

ويشهد السودان إحدى أكبر موجات الاحتجاجات في تاريخه الحديث وسط ضعف الأحزاب والتحالفات المعارضة.

وتهزّ احتجاجات دامية أنحاء السودان، عقب قرار الحكومة رفع سعر الخبز ثلاثة أضعاف، أدى تفريقها إلى سقوط 30 قتيلا بحسب آخر حصيلة رسمية، في حين تحدثت منظمات غير حكومية عن أربعين.

ورغم وجود نحو 100 حزب سياسي في السودان بين معارض وموال للحكومة، إلا أن أيا منها لم يكن المحرك الرئيس للشارع.

وقال المتحدث باسم تجمع المهنيين محمد يوسف المصطفى إن "المشهد السوداني كان يفتقد سياسيا واقتصاديا وأمنيا واجتماعيا إلى قائد".

وتابع أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة الخرطوم، البالغ من العمر 68 عاما، أن "القوى السياسية المفترض بها أن تقود الحراك منقسمة على نفسها بين معسكرين (قوى الإجماع) و(نداء السودان). وبالتالي كانت الغالبية في السودان تبحث عن قائد".

وأضاف المصطفى أن تجمع المهنيين قرر أن يكون "مركز العمل وأن ينظم ما يقوله الناس ويضفي عليه معنى معينا، لكن القائد هو الشعب".

وليس للتجمع هيكل تنظيمي مثل الأحزاب، إذ يستلهم قوته من "العمل الجماعي"، وفقا للمتحدث باسمه، كما لا توجد إحصائيات مسجلة بعدد المنضوين في صفوفه. ونظرا لحظر القانون تشكيل نقابات مهنية مستقلة وإنما نقابات تضم جميع العاملين بالمؤسسات دون فصل، فقد قال المصطفى إن 200 أستاذ بجامعة الخرطوم شكلوا تجمعا مهنيا غير رسمي.

وكانت تلك البداية التي شجعت المهنيين في كافة أنحاء العاصمة على تشكيل تجمعات مشابهة.

وعام 2016، قررت ثمانية من التجمعات المهنية المنفصلة بما في ذلك البيطريين والإعلاميين والصيادلة والمعلمين والمحامين، تأسيس "تجمع المهنيين السودانيين". وأضاف المصطفى أن ذلك كان مخالفا للقانون "ولا تعترف الحكومة به لكنه يتماشى مع الدستور في مادته الـ40".

ومن جهته يقول الكاتب الصحافي السوداني فيصل محمد صالح، إن "الطريقة التي يتبع بها المتظاهرون هذه المجموعة (التجمع) غريبة". وأضاف "إنه إنجاز لهذه المجموعة، آخذين في الاعتبار أن المتظاهرين لا يعرفون حتى من هم القادة الرئيسيون لها، إنهم فقط يثقون بها".

وفي 25 ديسمبر، كانت الدعوة الأولى من تجمع المهنيين لتظاهرة نحو القصر الجمهوري "لتسليم مذكرة لرئاسة الجمهورية تطالب بتنحّي الرئيس فورا عن السلطة استجابة لرغبة الشعب السوداني وحقنا للدماء". واقترح التجمع أنه في حال وافق البشير على التنحّي "فستتشكّل حكومة انتقالية ذات كفاءات وبمهام محدّدة ذات صبغة توافقية بين أطياف المجتمع السوداني".

ونفى المصطفى، وهو عضو الحركة الشعبية لتحرير السودان المعارضة، وجود نية لتحويل التجمع إلى كيان سياسي.

وقال "ليس هناك تفكير في تحويل الكيان المهني لحزب سياسي أو كيان سياسي خصوصا وأن لدينا العديد من المهنيين هم بالفعل أعضاء في أحزاب سياسية".

غياب القيادة السياسية

رحلة البحث عن الدعم تقود البشير إلى القاهرة

❑ **القاهرة** – أكد سفير السودان في مصر السبت، أن الرئيس السوداني عمر البشير سيصل إلى القاهرة صباح اليوم الأحد لعقد قمة ثنائية مع الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي. وقال السفير السوداني عبدالمحمود عبدالحليم "يصل الرئيس عمر البشير الأحد في الصباح، ثم يعقد قمة مصرية – سودانية مع الرئيس المصري في قصر الاتحادية منتصف النهار".

وتعد مصر وجهة البشير الثانية منذ اندلاع الاحتجاجات قبل شهر ضد نظامه، حيث قام بزيارة الدوحة الأسبوع الماضي. والشهر الماضي شهدت الخرطوم اجتماعا رباعيا على مستوى وزيري الخارجية ورئيسي جهازي المخابرات بمصر والسودان.

ويرى مراقبون أن البشير يبحث عن دعم إقليمي يقوي جبهته في مواجهة الاحتجاجات الكبيرة التي يعيشها السودان.

وكانت الحكومة السودانية قد أعلنت الجمعة عن زيارة مرتقبة للبشير إلى الكويت.

وقال وزير الإعلام والمتحدث باسم الحكومة بشارة جمعة، إن "الزيارة تأتي في إطار جولة للبشير إلى عدة دول عربية استهلها الأسبوع الماضي بزيارة قطر" وفقا للمركز السوداني للخدمات الصحافية المقرب من الحكومة.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

هل تكون قبائل ليبيا «الحكيم» الذي يجمع شمل الدولة

أحمد قذاف الدم: القذافة يفوضون سيف الإسلام ناطقا باسمهم

عبدالستار حتيتة

❏ يستعد مؤتمر يحمل اسم "القبائل والمدن الليبية" لعقد لقاء موسع، هو الثالث من نوعه خلال سبع سنوات، يوم 7 فبراير المقبل، في منطقة راس لانوف، شرقي مدينة سرت. ويتوقع أن يتخذ المؤتمر قرارات يمكن أن تغيّر دفة المسار السياسي والعسكري في عموم البلاد، أو على الأقل فتح ثغرة جديدة في محاولة لحل الأزمة الليبية.

وبالتزامن مع هذه الاستعدادات أصدر "المجلس الاجتماعي لقبيلة القذافة" بيانا، الأحد الماضي، أعلن فيه تفويض سيف الإسلام في كل ما لها وما عليها مع غيرها من القبائل والمدن. ويصرّ المبعوث الأممي غسان سلامة على عقد المؤتمر الجامع خلال الفترة المقبلة. وأجرت "العرب" حوارا مع أحمد قذاف الدم المبعوث الخاص السابق للزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، لشرح أبعاد هذه المسألة وتأثيراتها على الأزمة الليبية.

ومؤخرا، تطرقت العديد من المناقشات إلى المغزى من الزيارات القبلية التي يقوم بها قذاف الدم في محافظات مصرية، بما فيها محافظة مطروح المتاخمة للحدود الليبية. وكانت تتردد في الكثير من الجلسات أسئلة عمّن سيتقدم لقيادة ليبيا؟ ومن أي قبيلة، وإذا كان من قبيلة القذافة فمن سيكون؟ هل هو قذاف الدم، أم سيف الإسلام القذافي؟

> التكتلات القبلية تسعى للسلام.. نريد أن نحسم أمر بلدنا في مؤتمر راس لانوف.. سنجمع كل القبائل في تنظيم واحد، وقيادة شعبية اجتماعية واحدة، وقد ينتج عنها مجلس شيوخ، وربما تنتج عنها إرادة ليبية حرة خالصة دون تدخل أجنبي

لكن قذاف الدم أدلى بإجابات قاطعة لـ"العرب"، بشأن مستقبله في ليبيا، قائلا "أدّيت واجبي مع القذافي، ومتحمّل مسؤوليتي في كل ما حدث.. ولا أبحث عن وظيفة، لكن العار سيلاحق من لا يبادر بإنقاذ ليبيا".

وفي ما يخص بيان "المجلس الاجتماعي لقبيلة القذافة" بشأن تفويضها لسيف الإسلام القذافي، في كل ما للقبيلة وما عليها، يعلق بقوله إن "هذا قرار لا يحتاج إلى بيانات، فمعظم القبائل الليبية ترى أن سيف الإسلام لديه مشروع سابق (ليبيا الغد)، وضم هذا المشروع عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من شباب ليبيا، ومن كل المدن، وليس من القذافة فقط، وليس من مناطق جهوية فقط".

ويضيف قذام الدم أنه "عندما تتجمّع هذه العوامل تجعل سيف الإسلام قادرا على تجميع كافة الأطراف، وهو لديه رصيد لدى الليبيين، ليس بمعنى أن يكون صراعا على السلطة، أو أن يكون حاكم ليبيا، فهذا يرجع للصناديق".

سيف الإسلام الغائب

عن سبب عدم ظهور سيف الإسلام القذافي علانية منذ صدور العفو عنه قبل عامين، يقول إنه "بالتأكيد سيظهر عندما يكون هناك ما يقول، فمعه فريق يعمل، ويزور الدول، ويتواصل مع العالم، وقد شاهدتمْ هذا الفريق في أكثر من بلد".

وتحدث قذاف الدم عن أهمية دور القبيلة والمتغيرات الجارية في عموم البلاد، وعند سؤاله عن مكان وجود سيف الإسلام القذافي، قال إنه "موجود في ليبيا، بالطبع، ولم يغادرها، وعُومل باحترام شديد من قبيلة الزنتان، عندما كان في الأسر".

وكان سيف الإسلام محتجزا لدى قوات عسكرية في بلدة الزنتان في جنوب غرب طرابلس، إلى أن شمله قرار بالعفو العام، صدر من مجلس النواب الذي يعقد جلساته في طبرق، ويعد أعلى سلطة منتخبة في البلاد منذ 2014.

ولأول مرة تجري الإشارة بشكل مباشر إلى دور قبلي، ومن قبيلة بعينها، ساهم في الحفاظ على حياة سيف الإسلام، المطلوب منذ عام 2011 للمحكمة الجنائية الدولية، حيث يقول قذاف الدم "قبيلة الزنتان عاملت سيف الإسلام باحترام.. هذا يُحسب لها".

ويشير إلى أن "التكتلات القبلية تسعى للسلام.. الآن نحن نريد أن نحسم أمر بلدنا، في مؤتمر راس لانوف.. نجمّع كل القبائل في تنظيم واحد، وقيادة شعبية اجتماعية واحدة، وقد ينتج عنها مجلس شيوخ، وربما تنتج عنها إرادة ليبية حرة خالصة، دون تدخل أجنبي، هذا شيء إيجابي، وسننجح فيه".

ويتابع "نحن نعمل من أجل ألا تنقسم ليبيا، وألا يكون هناك شرق وغرب وجنوب، ونريد أن نقطع الطريق أمام المؤامرة الكبرى (لتقسيم ليبيا). نحاول كذلك على المستوى العسكري لملمة القوات المسلحة، وعلى الصعيد السياسي هناك اختلاف بالطبع بيننا وبين البعض". ويشير إلى أن حسم هذا الأمر يكون عبر صناديق الاقتراع.

ويعتقد قذاف الدم أن التركيبة القبلية في ليبيا ساهمت في تسريع إعادة بناء الجيش منذ عام 2014 وحتى الآن، مشيرا إلى أن المبادرة ظهرت لأول مرة في الشرق، "كانت من أطراف قبلية في بنغازي وبعض المدن مجموعات من شباب القبائل أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم، وعن أبنائهم، لأن الجماعات المتطرفة في بنغازي كانت قد استهدفت أكثر من 650 ضابطا سابقا، وعسكريين، وفنيين وخبراء وقضاة".

ويوضح أنه "حين جاء خليفة حفتر (قائد الجيش الليبي الوطني)، وأراد أن يعيد بناء القوات المسلحة، التحمت به كل القبائل للدفاع عن مدنها وقراها.. التحم العسكريون مع بعضهم بعضا، لأن هذه مهمة وطنية وليست سياسية".

جمع شمل الدولة

تشير الكثير من المعطيات إلى أن معادلات مختلفة آخذة في التغيّر منذ شهور، لكن نتائجها لم تكن لتظهر إلا في هذه الأيام، حيث زاد نشاط القبائل، وزاد كذلك نشاط المبعوثين من سيف الإسلام القذافي إلى دول وحكومات حول العالم، أهمها روسيا، وأصبح الجيش الوطني الذي يقوده المشير خلفية حفتر أكثر تماسكا وقدرة منذ إعادة تكوينه قبل ثلاث سنوات. وفي بيت قذاف الدم في القاهرة لا يمر يوم أو يومان إلا ويزوره وفد من الوفود القبلية أو العسكرية أو من النشطاء، وشخصيات موالية للنظام السابق وأخرى محسوبة على ثورة فبراير التي أطاحت بالقذافي.

أحمد قذاف الدم: استدعاء القوة القبلية يمكن أن يساعد في إنقاذ الدولة الليبية

وتدور كل اللقاءات والتفاهمات حول ما يجب فعله لإخراج ليبيا من النفق المظلم، بعيدا عن المبادرات الدولية التي لم تفض إلى شيء يذكر. ويقول قذاف الدم "الآن المَعادلة تغيّرت.. لم يعد الصراع بين أنصار ثورة الفاتح (ثورة 1969) ومن جاء مع الناتو (ثورة 2011)".

ولقبيلة القذافة تحالف تاريخي مع قبيلتي أولاد سليمان وورفلة، كبيرة العدد، كما لها تحالف آخر مهم مع قبيلة المقارحة، ويتركز وجود كل هذه القبائل في الوسط والجنوب.

وتعرضت هذه التحالفات لهزات عبر محطات تاريخية، لكنها لم تؤثر عليها كثيرا، منها في التاريخ الحديث، قيام ضباط من قبيلة ورفلة بمحاولة قلب نظم حكم القذافي في تسعينات القرن الماضي، كما أن قبيلة أولاد سليمان دخلت في اقتتال مع قبيلة القذافة في مدينة سبها في إقليم فزان جنوبا، قبل نحو عامين.

ويقول قذاف الدم عن المناوشات التي وقعت في سبها بين القذافة وأولاد سليمان، فيصفها قذاف الدم بأنها كانت "فتنة، من بعض العملاء.. لقد كان حلف القذافة مع القبائل الأخرى، قائما وقويا، إلى أن بدأ التآمر عليه ضمن مخطط لزرع الفتنة بين القذافة وأولاد سليمان، لكن يظل هذا الحلف أقوى من كل الفتن".

وتعد بلدة هراوة، المجاورة لسرت، المعقل الرئيسي لقبيلة أولاد سليمان، كما أن معقل قبيلة ورفلة يتركز في مدينة بني وليد، تتحكم هذه المدن الثلاث في طرق رئيسية تربط شرق ليبيا بغربها وجنوبها، ويشترك معظم أبنائها في عادات بدوية مثل اقتناء الإبل، والرعي، وحب حياة الصحراء.

عودة دور القبيلة

أول شرارة أنبأت بعودة دور القبيلة في ليبيا، انطلقت مع زيارة لمصر قام بها أحد رموز القبائل من غرب ليبيا، وهو محمد المُبَشر، الذي جاء قبل نحو شهرين، ودخل بموكبه عبر الحدود البرية، ولبى دعوات لقبائل مصرية وليبية مقيمة بمصر، وهو في طريقه من السلوم إلى القاهرة.

ويقوم المبشر بالتحضير لمؤتمر اسمه "المؤتمر الوطني الجامع"، وهو من بين محاولات عدة للاعتماد على ممثلي القبائل والمدن، في حل الأزمة الليبية، وقد يُعقد المؤتمر في تونس، ما أثار قلق الكثير من الخصوم من عودة القبائل للعب الدور الذي كانت تقوم به في السابق وتأثير ذلك على التوازنات الراهنة.

ويوضح قذاف سبب القلق بقوله إن معظم من جاؤوا لحكم ليبيا بمساعدة حلف الناتو، "لا قبائل لهم.. حتى مَن لهم قبائل تبرّأت منهم.. ما يدنس شرف القبيلة هو أن تتعامل مع عدو أجنبي.. ليبيا أساسها قبائلي ولهذا الغرب يحاول أن يخلق بينها انشقاقات".

وفي الأعوام الثلاثة الأخيرة وصل التنافس بين إيطاليا وفرنسا ودول أوروبية أخرى على ليبيا، إلى مضارب القبائل، حيث حاولت كل من روما وباريس استضافة رموز قبلية من مناطق مختلفة في ليبيا، لكن يبدو أنها لم تأت بنتيجة. ويؤكد قذاف الدم "نحن كقبائل نلتقي مع بعضنا البعض، لكن لماذا نذهب إلى روما أو باريس، أو إلى خارج بلادنا، ما يحتاج لترميم هو البنية السياسية، أما العسكرية والاجتماعية فليس هناك خلاف حولهما داخل ليبيا".

وينهي حديثه مع "العرب" بثقة عمّا لدى ليبيا من إرث اجتماعي وسياسي، قائلا "نحن قادرون على إخراج ليبيا مما هي فيه، بدلا من كل هذا الضجيج، ونعوّل اليوم على مؤتمر القبائل الذي سيعقد في راس لانوف، وأتمنى ألا يغيب عنه أحد، ويلتحق به الجميع، ونتناقش دون تأثيرات خارجية ، وأن ترفع هذه الدول أيديها عنا".

مؤتمر «جامع» للقبائل في فبراير لبحث رص الصفوف

معركة «تقليم الأظافر» في تونس

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❏ منحى جديد لأزمة النقابة والسلطة في تونس لم يعد محورها المطالب الاجتماعية والسياسات الاقتصادية فحسب، وإنما تمدّدت إلى سباق محموم لتحجيم النفوذ واختبار قوة قد يكون مؤثرا على مسار الانتخابات هذا العام.

كان أكثر ما تردد في خطاب الاتحاد العام التونسي للشغل في أزمته الأخيرة المرتبطة بالزيادات في الأجور، هو هدفه المعلن "لتقليم أظافر الحكومة"، ردا على خطابات سابقة مبطّنة من أروقة الحكومة تستهدف بدورها تقليم أظافر المنظمة النقابية. فمن سيكسب هذه المعركة؟

ثمة مساع من أجل رأب الصدع بين الجانبين، من أجل تلافي إضراب عام جديد هو الثالث في أشهر قليلة، قد يزيد من كلفة المتاعب الاقتصادية، والتوصل إلى حلول وسطى تنهي التعنّت وشد الحبل، بل إن هناك مقترحات بالذهاب إلى مبدأ التحكيم للفصل في الأزمة بدل وضع الدولة برمتها على مشارف الانهيار الذي لن يستثني أحدا، لا الغالب ولا مغلوب.

لكن مع ذلك هناك استنتاج بات شائعا اليوم هو أن الاتحاد وبخلاف دوره النقابي المدافع عن مطالب العمال، قد يكون فعليا معنيا بانتخابات 2019 كما ردّد ذلك أمينه العام نورالدين الطبوبي في أكثر من مناسبة، دون أن يفصح عن استراتيجية الاتحاد في ذلك. فهل سيقدم قائمات انتخابية أم سيدعم نقابيين مستقلين أم سيكون مهتما من موقعه كقوة ضغط وتوجيه.

في الواقع لا يتعلّق الأمر في تونس بالحديث عن وضع طبيعي لمنظمة نقابية نمطية ينحصر دورها في طلب الزيادات لأجور العمال وتحسين أوضاعهم الاجتماعية فحسب، وإنما بمؤسسة شريكة في بناء الدولة الوطنية منذ الاستقلال ولها تاريخ في مقارعة الاستعمار الفرنسي، وهي قدمت في ذلك دماء وأرواحا يتقدمها زعيم المنظمة نفسه فرحات حشاد الذي اغتيل على أيدي عصابات "اليد الحمراء" التابعة للاستخبارات الفرنسية.

على خلاف الكثير من الدول، فإن اتحاد الشغل ليس مجرد شريك اجتماعي في تونس بل هو مؤسس للدولة وهو "حزب" اجتماعي مؤثر، لا يحكم بمفرده ولكنه شريك وقوة ضغط في صنع القرار السياسي، كما أنه معني بتحديد السياسات الوطنية. وقد كان حتى عقود قريبة ممثلا بنقابيين في السلطة.

بالنسبة للانتقال السياسي، كان للاتحاد دور محوري أيضا في تنحية حكم "الترويكا" بعد الثورة في 2013 وتحجيم النفوذ المتصاعد للإسلاميين آنذاك في وقت لم تكن فيه قوة سياسية بديلة في البلاد قادرة على فرض التوازن بوجه الإسلاميين، كما يعود له الفضل في تجنيب البلاد حربا أهلية عبر مخرج الحوار الوطني. لهذا ليس من السهولة إزاء كل هذه الأدوار "تقليم أظافر" الاتحاد أو تحجيم دوره ونفوذه.

> اتحاد الشغل ليس مجرد شريك اجتماعي في تونس بل هو مؤسس للدولة وهو «حزب» اجتماعي مؤثر، لا يحكم بمفرده ولكنه شريك وقوة ضغط في صنع القرار السياسي، كما أنه معني بتحديد السياسات الوطنية

لكن السلطة لا تتسع لضدين وفلسفة الديمقراطية تقوم في جوهرها على دولة المؤسسات، وبالتالي هناك مخاوف مشروعة في تونس اليوم من انحراف مسار الانتقال السياسي إلى الفوضى وتداخل الأدوار، وربما كان هذا نتاجا منطقيا لضعف مؤسسات الدولة وعدم استقرار المؤسسات الدستورية الجديدة بعد دستور 2014، وبعضها غير مكتمل حتى اليوم.

قد يقامر الاتحاد بقاعدته الشعبية وبإرادة منخرطيه الذين يتوزعون في الأصل بين تلوينات سياسية مختلفة، إذا ما قرر فعلا خوض غمار الانتخابات. وحتى مع فوز محتمل للاتحاد فإنه سيخاطر بخسارة جزء من ولاء عماله الذين لم يصوتوا له والذين سيضعون ولاءهم السياسي في المقدمة.

ثم هل سيستمر الاتحاد في موقع الجامع لكل العمال بعد الانتخابات في ظل تشتّت الولاءات؟ وهل سيوفق في الجمع بين دورين على طرفي نقيض بين السلطة والنقابة. ثم من سيفاوض من في الاستحقاقات الاجتماعية؟ سيكون هذا حتما أقصى تعبير لمعنى الفوضى السياسية والمؤسساتية في تونس إن تحول إلى واقع علاوة عن أنه قد يشكل محرقة للعمل النقابي نفسه.

محاولة انقلاب في فنزويلا.. فصل من حرب باردة جديدة يشهدها العالم

● الولايات المتحدة تذكر بدورها التقليدي في الإطاحة بالأنظمة «المستبدة»

● الدول الأوروبية تؤيد واشنطن، وروسيا والصين تعرقلان دعم مجلس الأمن للانقلاب

محافظون على وصية تشافيز

❑ **كراكاس** – تفاقمت الأزمة السياسية في فنزويلا بعد إعلان الزعيم المعارض خوان غوايدو نفسه رئيسا، في عملية انقلاب على الرئيس الاشتراكي نيكولاس مادورو، تحمل الكثير من الخصوصية والتفاصيل التي تجعل منها جزءا مهما من عملية "التغيير" الكبرى التي يشهدها العالم والحرب البادرة بين القوى التقليدية (الولايات المتحدة وأوروبا) والقوى الصاعدة (روسيا والصين)

وبعد أن تدهورت الأوضاع الاقتصادية في فنزويلا، ووصول نسبة تضخم إلى عشرة ملايين بالمئة خلال العام الحالي، اعتبر رئيس البرلمان غوايدو أن هناك فراغا في السلطة، فأعلن تسلمه الرئاسة بالوكالة خلفا للرئيس نيكولاس مادورو. إلا أن الأخير رفض بشدة هذا القرار، وأعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة التي يتهمّها بتحريك الأمور في بلاده عبر المعارضة.

ويبدو هذا الحدث، وفق المتابعين، عاديا وتقليديا، في مساره وتداعياته وتفاصيله الظاهرية، لكنه في نفس الوقت يعتبر حدثا مفصليا لا في تاريخ فنزويلا الحديث فحسب، بعد فترة حكم هوغو تشافيز الذي توفي في 2013، وخلفه مادورو، بل في تاريخ العالم أيضا عند ربطه بكل ما يجري بدءا من قلب أميركا اللاتينية، التي تشهد تغييرا كبيرا في ملامحها مع تراجع اليسار اللاتيني ووصول رئيس شعبوي ومن أقصى اليمين إلى الحكم في البرازيل، مرورا بالشرق الأوسط، الذي ارتبط الكثير من مجتمعاته عاطفيا وأيديولوجيا بفنزويلا، الاشتراكية اليسارية المعادية للخط الأميركي، المؤيدة لفلسطين.

ولا ينفصل ما يحدث في فنزيلا عما يجري في كل تلك المناطق والخلافات بين روسيا وبقية الدول الأوروبية، والتنافس الأميركي الروسي، وحتى الصيني، كما سياسة الاستقطاب التي تتبعها دول مثل تركيا التي سارعت إلى تصدر الدول الداعمة والمتضامنة مع الرئيس الفنزويلي.

اتهمت روسيا الولايات المتحدة بمحاولة اغتصاب السلطة في فنزويلا وحذّرت من تدخل الجيش الأميركي هناك مما يضعها في مواجهة احتجاجات تدعمها واشنطن والاتحاد الأوروبي ضد أحد أقرب حلفاء موسكو. وأدان وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الجمعة السياسة الأميركية "التدميرية" في فنزويلا.

وكشفت وكالة رويترز أن عددا من "المرتزقة" الروس سافروا إلى كاراكاس بغرض مساندة مادورو. وأوردت رويترز نقلا عن ثلاثة مصادر، أن "المرتزقة" هم تابعون لمجموعة "فاغنر" الروسية وهي شركة عسكرية خاصة سبق لها أن نفذت مهمات بأوكرانيا وسوريا، فيما تقول تقارير إعلامية إنها حاضرة أيضا في دول أفريقية. ونقلت صحيفة "الغارديان" البريطانية، عن يفغيني شاباييف، وهو عسكري روسي سابق، أن أمرا صدر في روسيا حتى يتم تشكيل مجموعة للذهاب إلى فنزويلا بغرض حماية مسؤولين كبار. وتعد فكرة الإطاحة بمادورو من حكم فنزويلا مبعث قلق شديدا من الناحية السياسية والاقتصادية لموسكو التي أصبحت هي والصين الملاذ الأخير لكاراكاس، إذ يقرضها البلدان المليارات من الدولارات مع انهيار اقتصادها الاشتراكي. وتستثمر روسيا في قطاع النفط في فنزويلا كما قدمت دعما لجيشها.

كما عبّرت الصين عن دعمها أيضا لمادورو وقالت إنها تعارض التدخل الخارجي في فنزويلا وتدعم جهود حماية استقلالها واستقرارها. وعرقلت روسيا والصين صدور قرار لمجلس الأمن يدعم من أسماه "الرئيس المؤقت لفنزويلا" خوان غوايدو.

وفي جلسة طارئة لمجلس الأمن بشأن التطورات في فنزويلا، السبت؛ ناشد بومبيو المجتمع الدولي بـ"دعم التحول الديمقراطي والوقوف إلى جانب غوايدو". وردّت الدول الأوروبية على رفض مادورو، الذي سارع إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، القبول بما حدث، بأن حددت له مهلة ثمانية أيام للدعوة إلى انتخابات في بلاده وإلا فإنها ستعترف بزعيم المعارضة خوان غوايدو "رئيسا" مؤقتا لتنضم إلى الولايات المتحدة.

وتأتي المهلة الأوروبية مع تصاعد الضغوط الدولية على نظام مادورو للموافقة على إجراء اقتراع جديد، خصوصا مع اعتراف الولايات المتحدة وكندا ودول بارزة في أميركا اللاتينية بغوايدو، الذي أعلن نفسه رئيسا بالوكالة خلال تظاهرات حاشدة الأربعاء.

وترتبط إسبانيا، المستعمر السابق، ارتباطا وثيقا بفنزويلا، إذ يعيش حوالي 200 ألفا من مواطنيها هناك.

وقال رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز في إعلان رسمي بثه التلفزيون "إذا لم تتم الدعوة خلال ثمانية أيام إلى انتخابات نزيهة وحرة وشفافة في فنزويلا، فإن إسبانيا ستعترف بخوان غوايدو رئيسا".

وتبعه الرئيس إيمانويل ماكرون الذي قال إن فرنسا "مستعدة للاعتراف" بغوايدو "رئيسا" لفنزويلا في حال عدم الدعوة إلى إجراء انتخابات "خلال 8 أيام". وفي برلين، أوضحت مارتينا فيتز، المتحدثة باسم الحكومة الألمانية في تغريدة، أنه "يجب أن يمنح للشعب الفنزويلي حق أن يقرر بحرية وأمان مستقبله. إذا لم تعلن انتخابات في غضون ثمانية أيام، فسنكون مستعدين للاعتراف بخوان غوايدو الذي يقود مثل هذه العملية السياسية، كرئيس بالوكالة". واختتمت بريطانيا المواقف الأوروبية بالسير على خطى باريس وبرلين ومدريد. وكتب وزير الخارجية البريطاني جيريمي هانت على تويتر "بعد منع مرشحي المعارضة وتزوير صناديق الاقتراع والمخالفات في عمليات الفرز في الانتخابات التي تضيق بالعيوب، أصبح من الواضح أن (الرئيس) نيكولاس مادورو ليس الرئيس الشرعي لفنزويلا".

> وكالة رويترز كشفت أن عددا من المرتزقة الروس التابعين لمجموعة فاغنر التي سبق لها أن نفذت مهمات بأوكرانيا وسوريا سافروا إلى كاراكاس لدعم الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو

وأضاف "غوايدو هو الشخص المناسب للمضي بفنزويلا إلى الأمام". وهدّد بأنه "إذا لم يتم خلال ثمانية أيام إعلان إجراء انتخابات جديدة ونزيهة، فإن المملكة المتحدة ستعترف به (غوايدو) رئيسا مؤقتا يقود العملية السياسية في اتجاه الديمقراطية".

ورحّب غوايدو بدعم القوى الأوروبية الكبرى. وتأتي هذه الإعلانات المتزامنة والأكثر وضوحا من جانب دول في الاتحاد الأوروبي الذي أعلنت وزيرة خارجيته فيديريكا موغيريني أنه "سيتخذ إجراءات" إذا لم تتم الدعوة إلى انتخابات في فنزويلا "في الأيام المقبلة".

لكن، ورغم مواقف الدول الرئيسية في التكتل الأوروبي الداعمة لعملية الانقلاب، إلا أن عدم إعلان "بيان مشترك" حول فنزويلا يكشف حالة الانقسام التي تعيشها أوروبا بدورها.

وكانت إسبانيا تودّ أن يمارس الاتحاد ضغوطا على مادورو من أجل إجراء انتخابات فورية، لكنّ دولا مثل النمسا واليونان والبرتغال أبدت ترددا حيال ذلك، فيما تغرد الدول التي تحكمها أنظمة شعبوية خارج السرب.

رغم أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب اتخذ منهجا مختلفا عن أسلافه الذين مروا بالبيت الأبيض، إلا أن عملية الانقلاب في فنزويلا تؤكد وفق المتابعين، أن النهج الرئيسي للولايات المتحدة لا حياد عنه مهما كان الرئيس، حيث تقود إدارة ترامب الضغوط الدولية على مادورو، باعتبار نظامه "غير شرعي"، في دور تقليدي مارسته الولايات المتحدة في دول كثيرة، عاشت، وتعيش نفس الأوضاع التي تشهدها فنزويلا من أزمات اقتصادية خانقة تصاعدت في الأشهر الأخيرة مما فاقم الاستقطاب السياسي ودفع الآلاف إلى التظاهر ضد السياسات الحكومية.

السيناريوهات المحتملة في فنزويلا

❑ **كراكاس** – اعترضت المعارضة في فنزويلا على إعادة انتخاب نيكولاس مادورو العام الماضي الذي يواجه معارضة دولية كبيرة، لكنه احتفظ حتى الآن بولاء الجيش القوي. وحاول خوان غوايدو، الذي وحّد المعارضة المنقسمة، الحصول على تأييد الجيش عبر منحه عفوا لأي عسكري ينشق عن نظام مادورو، لكن دون جدوى حتى الآن، ما يجعل البلاد مفتوحة على عدة سيناريوهات:

● **مرحلة انتقالية:** الحل الذي يدعو إليه غوايدو هو تشكيل "حكومة انتقالية" تشرف على إجراء انتخابات مبكرة. ودعا أيضا قادة الجيش الداعمين لمادورو، إلى الكف عن دعم "الدكتاتورية مقابل العفو عنهم". إلا أن الجيش يبقى حتى الآن داعما لرئيس الدولة مادورو الذي تسلم السلطة عام 2013، ورفض الاعتراف بما اعتبره "انقلابا".

واعتبر المحلل بيتر حكيم من مركز الحوار بين الأميركيين، أنه في حال واصل الجيش دعمه لمادورو فإن "فرصة التغيير" تصبح عندها مرتبطة بقدرة المعارضة على التوحّد، وموافقتها على "مرحلة انتقالية على المدى الأبعد".

ويمكن أن تتقدم الأمور بسرعة أكبر في حال قرر العسكريون تغيير موقفهم، إلا أن ذلك سيعني العفو عن كبار العسكريين وكبار المسؤولين الفنزويليين الذين تتهم الولايات المتحدة عددا كبيرا منهم بالفساد وانتهاك حقوق الإنسان والاتجار بالمخدرات.

وما يمكن أيضا أن يسرع الأمور باتجاه مرحلة انتقالية، قيام الرئيس الأميركي دونالد ترامب بفرض عقوبات على صادرات النفط الفينزويلي (ثلث الصادرات النفطية الفنزويلية تذهب إلى الولايات المتحدة أي أكثر من نصف مليون برميل نفط يوميا خلال العام 2018) ما سيوجه ضربة شديدة إلى الاقتصاد وسيزعزع شبكة الحماية القائمة حاليا حول مادورو، بحسب ما يعتبر مركز "كابيتال ايكونوميكس".

● **بقاء الحكومة التشافية:** قال مايكل شيفتر، من مركز الحوار بين الأميركيين، إنه رغم رهان المعارضة على تغيير في موقف الجيش، فإن هذا الأمر "قليل الاحتمال"، وخصوصا أن قادة الجيش كرروا تأكيد وقوفهم وراء مادورو. وفي ذات السياق ذهب بيتر حكيم قائلا إنه "في حال لم تتّحد المعارضة، وواصل العسكريون دعم مادورو، فهذا يعني بقاء الحكومة التشافية وبقاء مادورو رئيسا".

وكان أعيد انتخاب الاشتراكي مادورو حتى العام 2025 في انتخابات قاطعتها المعارضة، وشكك الاتحاد الأوروبي بنتائجها مع العديد من دول أميركا اللاتينية.

وقال المحلل بول هير، من جامعة بوسطن، إن مادورو قد يسعى للحصول على دعم مادي من دول حليفة مثل الصين وروسيا وإيران "الموحدة بمواجهة الولايات المتحدة أكثر مما هي موحدة في تعاطفها مع مادورو".

وتسلم كراكاس الصين نحو 300 ألف برميل من النفط يوميا لسداد دين بقيمة 20 مليار دولار. كما تفيد مصادر عدة أن

> خوان غوايدو، الذي وحد المعارضة المنقسمة، حاول الحصول على تأييد الجيش عبر منحه عفوا لأي عسكري ينشق عن نظام نيكولاس مادورو، لكن دون جدوى حتى الآن

فنزويلا مدينة لروسيا بـ10.5 مليار دولار. وأضاف بول هير "قد تحاول الصين وروسيا إنقاذ النظام عبر دفعه إلى إجراء إصلاحات اقتصادية جدية". لكن الاحتمال الآخر القائم هو مطالبة الدول الدائنة بـ"رحيل مادورو واستبداله بزعيم مقبول سياسيا".

● **الجيش في القيادة:** قال بيتر حكيم إنه في حال سحب الجيش دعمه لمادورو وبقيت المعارضة منقسمة، فإن العسكريين يمكن أن يتسلموا زمام الأمور "على الأقل لفترة مؤقتة"، فيما اعتبر مايكل شيفتر أنه من غير المستبعد دخول البلاد في "مرحلة قمع أو حرب أهلية"، وهذا يعني "أسوأ السيناريوهات" من دون استبعاد "مخاطر قيام حكومتين متعاديتين".

● **التفاوض:** أعرب مادورو عن استعداده للالتقاء بخوان غوايدو، إلا أن الأخير رفض الدخول في "حوار شكلي". ويدعو قسم من المجتمع الدولي إلى حل من هذا النوع. فالاتحاد الأوروبي الذي يعتبر ولاية مادورو الرئاسية هذه غير شرعية، لا يعترف بالمقابل بغوايدو رئيسا، ويدعو إلى تشكيل "مجموعة اتصال" بين الفريقين. كما تدعو المكسيك والأوروغواي أيضا إلى الحوار.

أما المحلل مايكل شيفتر فاعتبر أن "السيناريو الأفضل والأكثر واقعية هو قيام تفاوض طويل الأمد بين معارضة موحدة وحكومة في موقع دفاعي"، ما يمكن أن يوصل إلى الدعوة إلى انتخابات جديدة.

سوريا وإسرائيل وذيل الأسد

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❏ الأنباء المتواترة حول سوريا، من داخلها ومن خارجها، وحول العراق، من داخله ومن خارجه، أيضا، ترسم ملامح وضع جديد مقبل في المنطقة لن يكون بالضرورة أفضل مما كان. لكن الذي خلق المشكلة ثم جعل حلها على أيدي الإسرائيليين والأميركيين والروس والألمان والفرنسيين والبريطانيين والأتراك هو المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي دون سواه.

إلى مدى قريب كان القادة الإيرانيون يوصفون بالدهاء والحنكة في ممارسة السياسة، رغم أنهم لم يتعلموا أصولها وفنونها وألاعيبها في مدارس وجامعات ومعاهد متخصصة فيها. إذ أنهم لم يغادروا حسينياتهم ومدارسهم الدينية المكتفية بالخرافات وأساطير الأولين.

ورغم أنهم، في زمن ليس بقصير، منذ العام 2003 وحتى العام 2018، حققوا فتوحات لا تنكر، إلا أن نجاحهم ذاك لم يكن بفعل مهاراتهم، ولا بجبروت جيوشهم وقواهم الذاتية العسكرية والاقتصادية والسياسية، وحدها، بل يعود أغلبُ أسباب ذلك النجاح إلى ضعف خصومهم في العواصم التي فرضوا هيمنتهم عليها، أو بفعل فاعل دولي اقتضت مصالحه أن يغمض عينيه عن همجية نظامهم وتخلفه، وعن أحلامهم التوسعية القائمة على الإرهاب والعنف والانتهازية والابتزاز، وأن يسهل لهم انتشارهم خارج حدودهم، ولكن إلى حين.

وبيت قصيد هذه المقالة هو بيان حجم الغباء وعمى البصر والبصيرة اللذان قاداهم إلى مآزقهم الحالية والآتية على الطريق. والدليل على ذلك ما يتلقونه اليوم في سوريا، وقريبا في العراق، من ضربات وإهانات وعقوبات، ثم لا يستطيعون الرد بغير تهديدات كلامية لا يملكون القدرة ولا الجرأة على تنفيذ أي منها.

ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن وزير الطاقة الإسرائيلي يوفال شتاينتس هدّد رئيس النظام السوري بشار الأسد وقال له "في حال سمح للقوات الإيرانية بتنفيذ الهجمات على إسرائيل سيجد نفسه ونظامه في دائرة الخطر، فلا يمكن أن نعيش بوضع تهاجم فيه إيران إسرائيل من سوريا والأسد يجلس بهدوء في قصره".

هذا ذل. والذل الآخر يتلخص في أن وزارة الخارجية الأميركية أبلغت حكومة بغداد باحتمال قيام الطائرات الإسرائيلية بشنّ هجمات على مواقع ميليشيات تابعة لإيران في العراق. وترى أن تلك الهجمات تدخل في إطار الدفاع المشروع عن النفس.

ومن الجهة المقابلة، وفي نفس التوقيت، أعرب مسؤول إيراني عن غضب بلاده لعدم قيام روسيا بتشغيل منظومة صواريخ أس 300 خلال الغارات الإسرائيلية التي استهدفت مواقع إيرانية قرب دمشق مؤخرا. فقد نقلت وكالة الأنباء الإيرانية (إرنا) عن رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى، حشمت الله فلاحت بيشه، قوله إن "أنظمة الدفاع الجوي الروسية (أس 300) المنتشرة في سوريا تمّ تعطيلها خلال الهجوم الإسرائيلي". وأضاف قائلا، بعد عودته إلى طهران من زيارة لدمشق وأنقرة، "يبدو أن هناك نوعا من التنسيق بين تلك الهجمات والدفاع الجوي الروسي المتمركز في سوريا".

لكن، نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي ريابكوف، رد عليه في حديث له مع قناة "سي إن إن"، معلنا أن "أمن إسرائيل هو إحدى أولويات موسكو في المنطقة". "الإسرائيليون يعلمون ذلك، واشنطن تعلم ذلك، الإيرانيون أنفسهم يعلمون ذلك، حتى الأتراك والسوريون يعلمون ذلك، أمن إسرائيل هو أولوية لروسيا.. إن روسيا ليست حليف إيران في سوريا، ولكنّ الطرفين يعملان سويا في إطار محادثات أستانة حول سوريا".

ربطت مصادر خليجية زيارة قام بها رئيس جهاز المخابرات العامة الروسي سيرغي ناريشكين للمملكة العربية السعودية بالوضع في سوريا، وخاصة في ما يتعلق بكبح جماح إيران ومنعها من بناء نفوذ دائم لها هناك. وقالت المصادر إن ناريشكين طلب من السعودية لعب دور في مجال التهدئة في سوريا، مشددا على أن بلاده تبذل كل ما تستطيع من أجل ضبط إيران.

أما الذل الأكبر فيتمثل بأن الحاكم الذي أنفقت إيران على حمايته من غضب شعبه سيولا من دماء أبنائها ودماء وكلائها اللبنانيين والعراقيين والأفغان والباكستانيين، وأطنانا من الأسلحة، وقناطير مقنطرة من المال، أصبح يرى في الوجود العلني الإيراني في سوريا سبة ومجلبة لغضب الغاضبين. فقد أمر قيادة الفيلق الأول في القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة السورية بإصدار وثيقة بعنوان "أوامر وتعليمات حول نشاطات القوات الصديقة في المنطقة الجنوبية" ألزم فيها القوات الصديقة المقاتلة معه، كحزب الله والقوات الإيرانية، بارتداء زي الجيش السوري والادعاء بانتمائها إليه، وبعدم رفع أي شعارات أو راية لا علاقة لها بالجيش، وعدم استخدام التطبيقات والتصفح باللغة الفارسية، وحذف اللوحات الفارسية من جميع الهواتف المحمولة، وعدم الحديث باللغة الفارسية أمام المواطنين السوريين وعبر الأجهزة اللاسلكية، وخاصة أمام الأجانب.

وإزاء كل هذا الذل والإهانات والخسائر المتلاحقة لم يجد قائد الحرس الثوري، اللواء محمد علي جعفري، ردا سوى الكلام الفاضي الذي لا يُحترم. فقد خاطب الإسرائيليين قائلا "كونوا على ثقة بأننا لا نعير أدنى اهتمام لتهديدكم المضحك هذا، واعلموا أننا إن كنا نلتزم الصبر أمام بعض ممارساتكم اليائسة فذلك لحكمة كبرى كامنة في ذلك"، "إنكم تلعبون بذيل الأسد، خافوا من اليوم الذي تنهال فيه الصواريخ الإيرانية الدقيقة، برعيدها، على رؤوسكم، وتنتقم لجميع دماء المسلمين المظلومين التي أريقت دون حق". وها نحن منتظرون.

> أمر الفيلق الأول في القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة السورية بإصدار وثيقة بعنوان «أوامر وتعليمات حول نشاطات القوات الصديقة في المنطقة الجنوبية» تلزم القوات الصديقة المقاتلة معه، كحزب الله والقوات الإيرانية، بارتداء زي الجيش السوري وبعدم رفع أي شعارات أو راية لا علاقة لها بالجيش

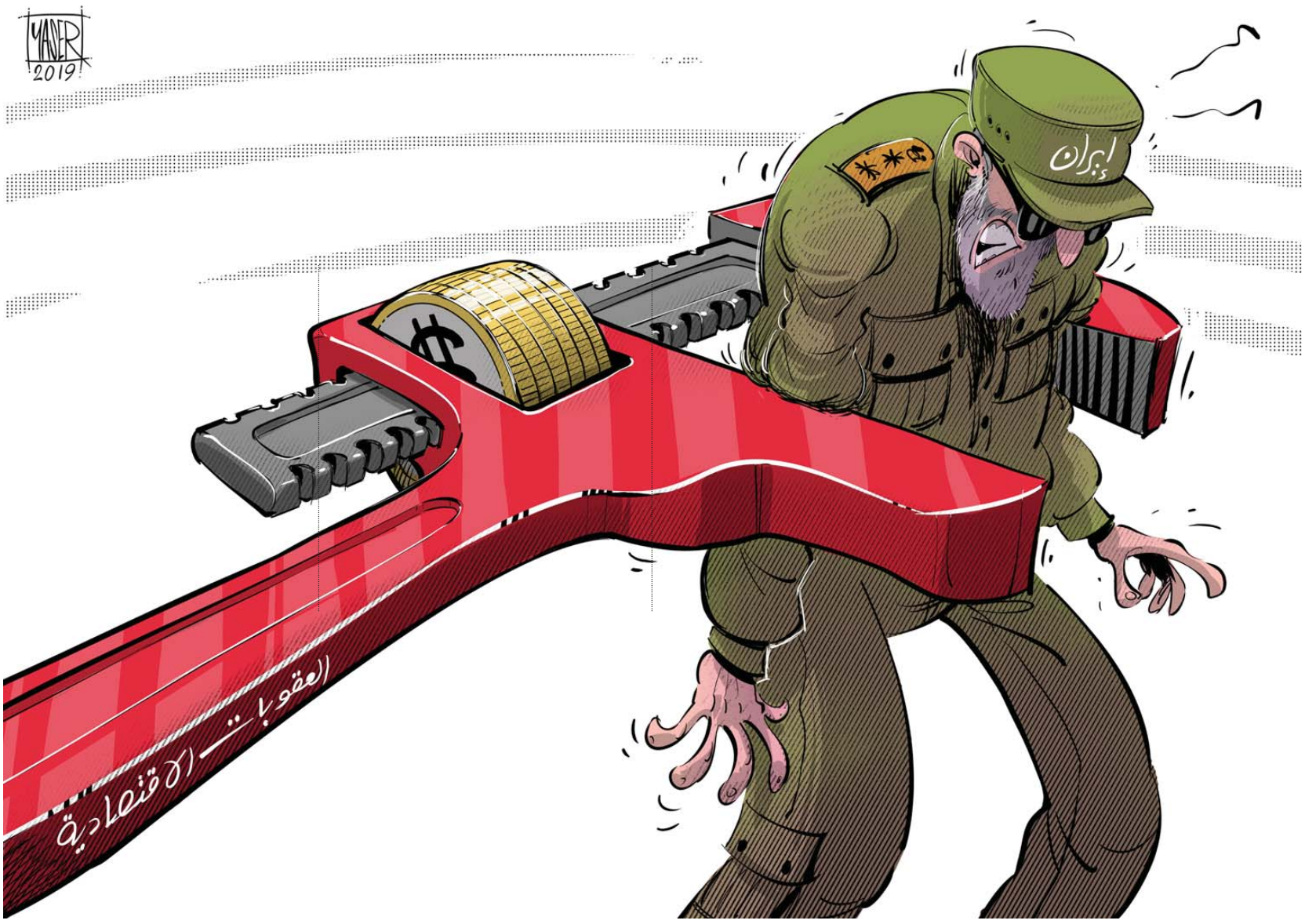

تحجيم إيران في سوريا: مهمّة روسية شاقة

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❏ تواجه الروس والإيرانيون في سوريا، لأول مرة، في سهل الغاب بريف حماة الغربي، وبعناصر سورية، هي الفرقة الرابعة في جيش النظام وميليشيات الدفاع الوطني المدعومتين من إيران من جهة، والفيلق الخامس المدعوم من روسيا من جهة أخرى والذي تشكّل أواخر 2016 ويضم موظفين وعسكريين سابقين وعناصر المعارضة الذين قبلوا بالمصالحة، كقوة تنافس الميليشيات الإيرانية.

أراد الروس السيطرة على القرى المتاخمة لمناطق المعارضة في إدلب، لمنع إيران من تقويض اتفاق المنطقة العازلة في إدلب، ولتأمين الخطوط الأمامية المتاخمة لنقاط المراقبة الروسية في ريف حماة الشمالي الغربي والشرقي بعناصر من الفيلق الخامس، فضلا عن قرب سهل الغاب من قاعدة حميميم الجوية الروسية.

دعمت كل من روسيا وإيران النظام، بعد تصدّع جيشه، ومنعت سقوطه؛ وفي هذا السياق جاء القصف الجوي الروسي داعما للتوغل البري للميليشيات التابعة لإيران.

وبسبب المخاوف التركية من تمكن أكراد حزب الاتحاد الديمقراطي من تحقيق استقلالية على حدودها مع سوريا، اتفقت أنقرة مع موسكو على مقايضة حلب الشرقية بدرع الفرات، وتكرّر السيناريو في بقية المناطق، عبر سلسلة اتفاقات أستانة، ما مكّن روسيا من استعادة السيطرة على مناطق واسعة. وفي هذا السيناريو اضطرت روسيا إلى إشراك إيران، ضمن حلف الدول الضامنة الثلاث، لضمان نجاح الاتفاقات، بسبب توغلها العسكري الكبير ضمن جيش النظام، وميليشيا الدفاع الوطني، وعبر ما تقدّمه في هذا السياق من تمويل سخيّ نسبيا.

الحاجة الروسية الميدانية للتواجد الإيراني، لم تمنع موسكو من النظر إلى حليفتها طهران كمنافس على السيطرة على مفاصل القرار السياسية والعسكرية والاقتصادية داخل بنية النظام السوري. كما أنها حاجة مؤقتة بسبب اختلاف الأجندات.

موسكو تريد السيطرة على كل سوريا من أجل التفرّد بغلة إعادة الإعمار، ولا يضيرها التوافق مع أنقرة، وتحقيق بعض مصالحها وأمن حدودها، وبالتالي تتطلع موسكو إلى السيطرة على مناطق النفط والغاز في شرق الفرات بعد الانسحاب الأميركي، ولن تسمح لمنافسها الإيراني من الاقتراب، وهو ما لا تريده أيضا كل من الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا ودول المنطقة العربية.

وأجندة طهران في سوريا هي تعزيز تواجدها العسكري الطائفي، على غرار ميليشيا حزب الله في لبنان، وفتح ممر أرضي بين العراق ولبنان عبر الأراضي السورية. ودعمت توغّلها العسكري الميليشياوي، وسيطرتها على فرق من الجيش النظامي، بانتشار أيديولوجي ثقافي وديني، ودفعت الأموال لهذه الغاية، مستغلة الحالة المتردية الاقتصادية والأمنية لسكان المناطق المنكوبة. فبنت مراكز شيعية ومدارس دينية في محافظة درعا الجنوبية الغربية، وهي توفر فرص عمل للشباب وحماية من اعتقال النظام لهم أو تجنيدهم، وبالمثل في دير الزور، تشرك القبائل في ميليشياتها، عبر شراء الولاء المحلي وتقديم مساعدات مالية، وتقديم محفزات قيّمة لطلاب اللغة الفارسية في مدارس وجامعات الحكومة، بعد أن أجبرت النظام على افتتاح فروعها، فضلا عن نفوذها الكبير في محيط دمشق في السيدة زينب، ومحاولة إحداث تغيير ديموغرافي، عبر شراء العقارات، في دمشق القديمة، وصولا إلى الحدود اللبنانية.

إذن تواجه روسيا مهمّة تحجيم إيران، مع اختلاف في الأجندات، والرفض الدولي والإقليمي والعربي للنفوذ الإيراني في سوريا، وأن يكون المضي في الحل السياسي ومشاركة الدول المانحة بإعادة الإعمار مشروطين بإخراج آخر جندي إيراني من سوريا، وفق تعبير وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في القاهرة في العاشر من الشهر الجاري.

قرار ترامب الأخير بالانسحاب من سوريا ترافق مع نهاية الصراع المسلّح،

> المواجهة الروسية الإيرانية في سهل الغاب قد تتكرر في دير الزور وفي حلب أو دمشق، لكن روسيا مازالت تراهن على الحل الدبلوماسي مع إيران، والمتمثل في استمرار عقد اجتماعات الدول الضامنة

وتسليم الملف السوري إلى روسيا، وفق اتفاق جنيف1 بين فلاديمير بوتين وباراك أوباما في 2012، وكان المقابل انكفاء روسيا من المحيط الهادئ، حيث تعزز واشنطن تواجدها العسكري لمواجهة خطر الصين الاقتصادي.

هذا لا يعني أن روسيا مرتاحة لقرار الانسحاب الأميركي المفاجئ، دون مفاوضات روسية – أميركية، فهو يلقي على عاتقها مهام صعبة، فعليها ترتيب الوضع السوري على وقع الشروط الأميركية أولا وحليفيها العربي والإسرائيلي، وبما يرضي شركاءها في حلف أستانة.

التوافق مع تركيا جار حول مصير إدلب، بالتوازي مع مفاوضات حول مقايضات تخصّ المنطقة الآمنة التي تريدها تركيا، وترتيب وضع شرق الفرات، بعد حصول توافق أميركي– روسي، وتوافق أميركي– تركي.

أمام موسكو تحديان كبيران لإثبات جدارتها بأحقية النفوذ في الشرق الأوسط، لها مصالح متنامية، وكسر عزلتها الدولية. ويتمثل التحدي الأول في قدرتها على تحجيم التواجد الإيراني، بما يرضي الداعمين في ملف إعادة الإعمار، وما يحقق الشرط الإسرائيلي – الأميركي.

العقوبات الأميركية الاقتصادية على إيران، والقصف الجوي الإسرائيلي، والذي استؤنف بكثافة مؤخرا، بغض نظر روسي، عن رغبة وطيب خاطر، كل ذلك ساعد الروس في تغيير موقفهم من إيران، واضطرهم مؤخرا إلى التصريح بأن إيران ليست شريكا لروسيا في سوريا، وقبل ذلك عقدوا اتفاق إدلب في سبتمبر العام الماضي، دون مشاركة إيران، وتكثفت المساعي الروسية مع دول عربية لإعادة علاقاتها بالنظام، شريطة تحجيم إيران، وصولا إلى الاقتتال الدامي الأخير الروسي– الإيراني، بأيادٍ سورية– سورية، للسيطرة على مناطق استراتيجية.

والتحدي الثاني هو تحقيق الحل السياسي وحل عقدة الرئيس بشار الأسد؛ ورغم أن التحجيم الإيراني سيضعف قدرة الأسد على المناورة بين المصالح الروسية والإيرانية، إلا أن وضع روسيا كل مصالحها في سلة إعادة تعويم النظام سيعقّد قدرتها على تحقيق هذه المصالح، وستقع روسيا في ورطة حقيقية إذا ما شرّع الكونغرس الأميركي قانون قيصر الذي أقره مجلس النواب؛ لأنه سيعني تجريم الأسد وشركائه، وفرض عقوبات على كل من يدعمه، ويصبح التخلي عنه شرطا إضافيا لتحقيق قبول دولي يسمح بالمشاركة في إعادة الإعمار، يضاف إلى شرط تخفيف التواجد الإيراني من سوريا.

وما يعقّد الوضع السوري هو ربطه بملفات إقليمية تشارك فيها روسيا وتركيا وإيران، إضافة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل ودول أوروبية، وتربط دولا عربية هي العراق ولبنان والأردن وفلسطين وسوريا، ومحور هذه الملفات هو تحجيم الدور الإيراني في المنطقة.

قد يتكرّر اقتتال سهل الغاب في دير الزور وفي حلب أو دمشق، لكن روسيا مازالت تراهن على الحل الدبلوماسي مع إيران، والمتمثل في استمرار عقد اجتماعات الدول الضامنة.

ثورة غيّرت المنطقة... نحو الأسوأ

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ هناك مجموعة أحداث، يمكن وصفها بالتاريخية، طبعت القرن العشرين بدءا بالثورة البولشيفية التي مهدّت في العام 1917 لقيام الاتحاد السوفييتي وتحوّله شيئا فشيئا إلى قوة عظمى عاشت خمسة وسبعين عاما.

امتلك الاتحاد السوفييتي كلّ مستلزمات القوّة العظمى باستثناء الاقتصاد القويّ. بلغ به الأمر امتلاك أيديولوجيا متماسكة ودول "مستقلة" تدور في فلكه في أنحاء مختلفة من العالم صولا إلى شواطئ بعيدة مثل إثيوبيا أو اليمن الجنوبي. كان لديه حلف وارسو في مواجهة الحلف الأطلسي. كان لديه نصف صواريخ العالم ودبّاباته وترسانة نوويّة لا تزال موجودة إلى اليوم، وإنّ في حوزة روسيا الاتحادية. غيّر قيام الاتحاد السوفييتي العالم. زاد الاتحاد السوفييتي من نفوذه وتمدّده بعد الحرب العالمية الثانية واتفاق يالطا الذي قسّم قارات ودولا. جعل اتفاق يالطا الاتحاد السوفييتي يهيمن على نصف أوروبا، بما في ذلك على قسم من ألمانيا، أي ما كان يعرف بألمانيا الشرقية.

> بعد أربعين عاما على عودة الخميني إلى طهران، تغيرت المنطقة كلها، ولكن نحو الأسوأ. ما لم يتغير هو تلك النظرة الفوقية الإيرانية إلى العرب الذين قبل بعضهم أن يكون ميليشيا مذهبية تعمل في خدمة مشروع توسعي لا أفق له

لم يشفع كلّ ذلك بالاتحاد السوفييتي الذي ما لبث أن انهار لتقوم مكانه دولة روسيا الاتحادية التي لا تزال دولة قويّة، لكنها ليست في مستوى ما كان عليه الاتحاد السوفييتي. لا تزال روسيا تبحث إلى اليوم عن طريقة تثبت من خلالها أنّها ما زالت تمتلك نفوذا خارج حدودها. تعلّمت من تجربة الاتحاد السوفييتي ولم تتعلّم منها في الوقت ذاته...

لا تقل الثورة الإيرانية التي انتصرت في مثل هذه الأيّام من العام 1979 أهمّية عن الثورة البولشيفية. غيّرت الثورة الإيرانية، وكانت ثورة شعبية حقيقية، طبيعة الشرق الأوسط والخليج وحتّى مناطق أخرى في العالم وصولا إلى اليمن من جانب وأفغانستان من جانب آخر.

حققت اختراقات في عمق المنطقة مستخدمة سلاحين في غاية الأهمّية والخطورة هما الغرائز المذهبية وخطف القضيّة الفلسطينية من العرب. قبل نجاح الثورة الإيرانية والإعلان عن قيام "الجمهورية الإسلامية"، لم يكن هناك صراع مكشوف ذو طابع سنّي – شيعي. وقبل الثورة الإيرانية، لم يكن هناك من لا مهمّة له سوى المزايدة على العرب فلسطينيا. قبل الثورة الإيرانية، كان لبنان شيئا آخر، كذلك سوريا والعراق. استطاعت الثورة الإيرانية خلق صراع سنّي – شيعي في المنطقة واستطاعت في الوقت ذاته سرقة القضيّة الفلسطينية من العرب.

لم يكتف الخميني بإعلان آخر يوم جمعة من شهر رمضان "يوم القدس" فحسب، بل نجحت إيران أيضا في تعطيل أي فرص لتسوية معقولة يمكن التوصّل إليها مع إسرائيل. قطعت "الجمهورية الإسلامية" على الفلسطينيين أيّ فرص أمام تسوية عبر نجاحها في جعل "حماس" تنفّذ عمليات انتحارية لم تخدم سوى اليمين الإسرائيلي الرافض أصلا لأي تسوية من أيّ نوع مع الفلسطينيين، خصوصا خيار الدولتين. لعبت إيران دورا في غاية الأهمّية، عبر "حماس" وغيرها، في تغيير طبيعة المجتمع الإسرائيلي وجعله أكثر يمينية وتطرّفا.

ما يعيشه الفلسطينيون اليوم من مآس هو نتيجة لنجاح إيران في إحباط أيّ أمل بتسوية في مرحلة كان يمكن فيها تحقيق بعض التقدم على طريق قيام الدولة الفلسطينية المستقلة التي صارت حلما.

في أربعين عاما، استطاعت إيران التحوّل إلى لاعب إقليمي أساسي، إن لم يكن الأساسي في المنطقة، في ظلّ تراجع الدور المصري. يتحمّل العرب عموما مسؤولية جزء كبير من تراجع مصر بعدما أصرّوا على عزلها إثر زيارة أنور السادات القدس المحتلة في تشرين الثاني – نوفمبر 1977 ثم توقيع اتفاقية كامب ديفيد في أيلول – سبتمبر 1978 وصولا إلى توقيع معاهدة السلام المصرية – الإسرائيلية في آذار – مارس 1979.

كانت إيران التي وجدت لدى قيام "الجمهورية الإسلامية" مصر خارج جامعة الدول العربية المستفيد الأوّل من الوضع العربي الجديد الذي دفع في اتجاهه البعثان السوري والعراقي. فجأة وضع البعثان كلّ خلافاتهما جانبا وقررا التصدّي لأنور السادات غير مدركين للنتائج التي ستترتب على ذلك لاحقا. هيّأ صدّام حسين، حتّى في ظل رئاسة أحمد حسن البكر، الأجواء لتسلّل إيران إلى النسيج العربي وإلى الداخل العراقي. دفع الثمن غاليا في 1980 عندما وجد نفسه في مواجهة مباشرة مع إيران التي خاضت حربا مع العراق استمرّت ثماني سنوات كانت فيها مدعومة من حافظ الأسد

ملامح الثورة تتفسخ بعد أن فشلت في بناء نموذج قابل للحياة

ومعمّر القذّافي... لكنّ الخيبة الأكبر كانت تلك التي أصابت ياسر عرفات الذي اكتشف بعد زيارته الأولى لطهران ولقائه مع الخميني أن المطلوب منه أن يكون في جيب "الجمهورية الإسلامية" وأن ينسى الدور الذي لعبه في دعم كلّ من أراد التخلّص من الشاه. شمل دعمه تدريبات عسكرية في الأراضي اللبنانية لمجموعات إيرانية من مشارب مختلفة كان يجمع بينها العداء لنظام الشاه.

من الاستفادة إلى أبعد حدود من الغياب المصري الذي فرضه على العرب الآخرين، بالقوة والإرهاب، البعثان العراقي والسوري، إلى الانتشار في لبنان وتهديد العراق ودول الخليج العربي، وصولا إلى الوضع في سوريا واليمن، لا يزال هناك سؤال غامض يطرح نفسه بإلحاح. ما سرّ العلاقة الأميركية – الإيرانية منذ العام 1979؟ ما سرّ الاجتياح الأميركي للعراق في 2003 في وقت كان الطفل يدرك أن الرابح الأوّل من أيّ حرب تؤدي إلى تغيير للنظام العراقي من دون تحضير جيد لمرحلة ما بعد صدّام، سيكون إيران ولا أحد آخر غير إيران.

كان يمكن لإيران في عهد الخميني ثم عهد خامنئي أن تكون نسخة مختلفة عن إيران الشاه. كان في استطاعتها تجنيب المنطقة الكثير من الويلات بدل الدخول في مزايدات مع هذه الدولة العربية أو تلك تحت عنوان من هو مسلم أكثر من الآخر؟ في عهد "الجمهورية الإسلامية"، زاد الشيعة تطرّفا وجرّوا معهم السنّة إلى سلوك هذا الطريق. لم تكن العلاقة العميقة بين الإخوان المسلمين وإيران غائبة عن المشهد الإقليمي في أيّ وقت. يظلّ الشاهد على ذلك الشارع الذي يحمل اسم خالد الإسلامبولي، قاتل أنور السادات في إيران.

ما لم يتغيّر طوال أربعين عاما هو غياب الجدّية الأميركية لمواجهة إيران. ما لم يتغيّر أيضا هو استمرار العدائية الإيرانية التي أسس لها نظام الشاه. الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى وطنب الصغرى وطنب الكبرى) ما زالت محتلة منذ العام 1971. انتصرت إيران في غير دولة عربية، في العراق وسوريا ولبنان واليمن وكادت أن تنتصر في البحرين. انتصرت عمليا على شعوب عربية رافعة شعار "الموت لأميركا والموت لإسرائيل". لم تمت أميركا ولم تمت إسرائيل...

بعد أربعين عاما على عودة الخميني إلى طهران، تغيّرت المنطقة كلها، ولكن نحو الأسوأ. ما لم يتغيّر هو تلك النظرة الفوقية الإيرانية إلى العرب الذين قبل بعضهم أن يكون ميليشيا مذهبية تعمل في خدمة مشروع توسّعي لا أفق له. تماما كما كانت حال المشروع السوفييتي. فما يجمع بين الثورة الإيرانية والثورة البولشيفية هو مشروع قائم على التمدّد خارج الحدود من دون قاعدة اقتصادية تتمتع بحدّ أدنى من مقومات الحياة. كانت إيران الشاه تعتمد على النفط والغاز... صارت إيران الخميني أكثر اعتمادا عليهما. تستطيع إيران أن تخرّب في الداخل والمنطقة، لكنها لا تستطيع البناء أو تقديم أي نموذج مرتبط بثقافة الحياة من قريب أو بعيد...

> كان يمكن لإيران في عهد الخميني ثم عهد خامنئي أن تكون نسخة مختلفة عن إيران الشاه. كان في استطاعتها تجنيب المنطقة الكثير من الويلات بدل الدخول في مزايدات مع هذه الدولة العربية أو تلك تحت عنوان من هو مسلم أكثر من الآخر

كيف بدت ثورة إيران من داخل قصر الشاه

❑ **واشنطن** – كان العام 1979 مفصلا بارزا في تاريخ الشرق الأوسط والعالم. شهد حدثا لا تزال تأثيراته ماثلة بعد أربعين عاما، وهو قيام "الجمهورية الإسلامية" في إيران. يوم 1 فبراير كان العالم يتابع باهتمام الطائرة الفرنسية الخاصة القادمة من باريس وعلى متنها رجل الدين الإيراني آية الله الخميني الذي قلب، من منفاه الفرنسي، عرش الشاه محمد رضا بهلوي.

لم يكن أحد مهتما بما يحمله الخميني تحت عمامته، وما يخبئه للملايين من الإيرانيين الذين كانوا في انتظاره، وللغرب الذي كان كل همه منصبا على السيطرة على الغضب الشعبي في إيران، في فترة تموج بالمتغيرات حيث الحرب على الشيوعية في أفغانستان، والوضع المتقلب في الهند الصينية، والنشاط السياسي في بلدان الشرق الأوسط.

كان الغرب يرى بضرورة احتواء الوضع في إيران حتى لو لزم الأمر التخلي عن حليفه الشاه، ودعم رجل الدين. بعد أربعين سنة من ذلك، توفي خلالها الخميني لكن بقي فكره ونظامه ووصاياه التي حولت إيران إلى بلد "مارق"، يعود الغرب ليتحدث عن تغيير النظام.

لكن، الأمر ليس بذات السهولة التي تم بها استبدال الشاه بالخميني، فالوضع مختلف، من حيث دور إيران، كما التفاصيل العالمية المحيطة. ويبين هذا الاختلاف الباحث والمؤرخ ستروب تالبوت، الذي يعود في شهادة له نشرها مركز بروكينغز الأميركي، تفاصيل عن الأسباب التي أحيط بسقوط إيران الشاهنشاهية. ويروي تفاصيل عاشها عن قرب بشأن كيف بدت ملامح إيران الخمينية تظهر من داخل قصر الشاه محمد رضا بهلوي نفسه.

***

الفضل يعود بالأساس إلى الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون والحرب الباردة في ازدهار عهد محمد رضا بهلوي. فقد أقنع الوضع في الهند الصينية نيكسون بأن الولايات المتحدة يجب أن تفوض احتواء التوسع الشيوعي على الدول الواقعة في المناطق الضعيفة، التي يحكمها قادة ذوو ميول غربية، مجهزين بجيوش هائلة، ومعروفين بأنظمتهم المستقرة.

كانت إيران تحمل جميع هذه السمات الأربع، أو هذا ما اعتقده صانعو السياسة في الولايات المتحدة. لقد اعتبروا الشاه نائبا موثوقا، ومشرفا على القانون والنظام في المناطق في غرب آسيا. أما الشاه فقد كان ينظر إلى الماضي البعيد والمستقبل. مع أقوى سلطة في العالم إلى جانبه، سعى لاستعادة مجد وهيمنة الإمبراطورية الفارسية.

في سنة 1971، بعد عامين من إعلان نيكسون خطته (تنصب إيران شرطي المنطقة)، حضر 68 من رؤساء الدول اجتماعا استمر خمسة أيام في مدينة برسبوليس، العاصمة الفارسية القديمة. كان الكافيار والسجاد محليين، لكن كل الكماليات الأخرى بدت مستوردة. في خطابه إلى المدعوين وجيرانه، ظنّ الشاه أنه كان خليفة قورش الكبير.

كنت مراسلا تابعا لمجلة تايم، وكان هذا الحدث وراء زيارتي الأولى إلى إيران. لقد جئت مبكرا، ولم أحضر بعض الاحتفالات. وبقيت بعد ذلك لمقابلة الإيرانيين الذين كانوا غير راضين، وفي بعض الحالات غاضبين: من طلاب ويساريين وإسلاميين كانوا من أتباع آية الله الخميني.

بعد مغادرة الزوار الأجانب، تم توزيع رسالة من الخميني إلى أتباعه الإيرانيين عبر تسجيلات من منفاه في العراق تقول "اجعل صوت الشعب الإيراني المضطهد مسموعا في جميع أنحاء العالم. دعهم يطالبون بأن ينتهي هذا النهب والإهدار، وأن يتوقفوا عن التصرف تجاه شعبنا بهذه الطريقة، وأن تنفق ميزانية الحكومة الضخمة على الناس الجوعى.

أقول لك بوضوح أن المستقبل أمامك مظلم وخطير، وأنه من واجبك المقاومة وخدمة الإسلام والمسلمين". بعد سبع سنوات، كان الشاه على حافة المنفى، وكان الخميني يستعد للعودة كقائد أعلى في إيران.

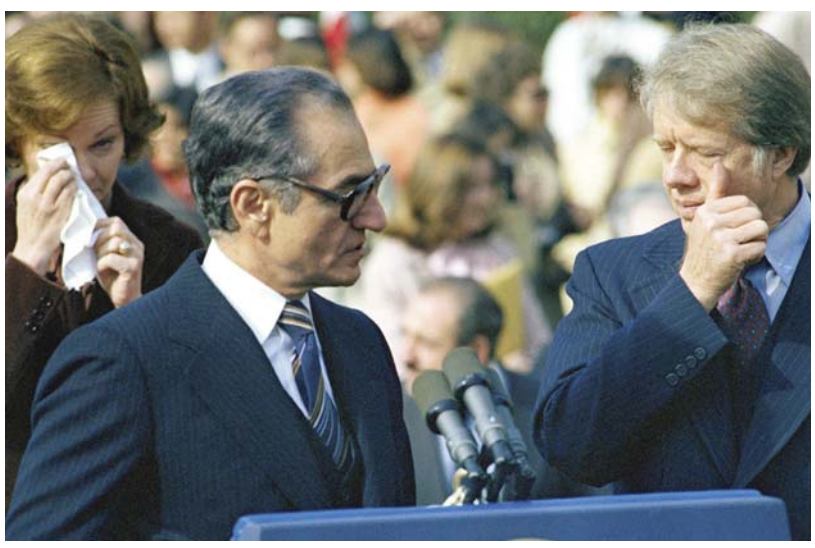

جيمي كارتر أدخل الخميني من الباب الذي أخرج منه الشاه

المقابلة

كانت الحكومة الأميركية تستيقظ ببطء من أوهامها، وذلك لأن الاحتجاجات والعنف المصاحب تكثفا في أوائل سبتمبر. عندما كنت أستعد لرحلة لإيران لأرى الأوضاع بنفسي، كان زخم الثورة يزداد كل ساعة من كل يوم. وكان العديد من وزراء الحكومة الإيرانية الذين توقعنا أن نقابلهم قد طردوا، أو فروا من البلاد.

غير أن أحد المواعيد كان لا يزال قائما: اللقاء مع الشاه. أحاطت الدبابات والسيارات المدرعة بقصر سعد آباد في الضواحي الشمالية لطهران لصد الحشود الغاضبة. وأمكننا سماع هتافات هذه الحشود من داخل أسوار القصر. كان مضيفنا (الشاه) رجلا مكسورا. أخبرنا أنه أعلن الأحكام العرفية في اليوم الذي سبق لقاءنا لأنه كان في حاجة إلى ستة أشهر من "الانضباط والهدوء" حتى يتمكن من العمل مع البرلمان على الإصلاحات الديمقراطية الشاملة. لم يكن ذلك حكما سياسيا منطقيا، وبدا الشاه نفسه مشككا في حكمه.

عندما انتهت المقابلة التي استغرقت 90 دقيقة، طلب مني البقاء لدقائق إضافية. وعندما غادر الآخرون، طلب من أحد المساعدين إيقاف أدوات الاستماع المخبأة في مكتبات الغرفة. عندما بقينا لوحدنا، تخلى عن رباطة جأشه.

كان مقتنعا بأن وكالة المخابرات المركزية الأميركية تخطط للإطاحة به. حاولت أن أسأله عن الدافع الأميركي وراء ذلك. هل كان يعتقد أن إدارة الرئيس الأميركي جيمي كارتر تخلت عنه؟ هل كانت الولايات المتحدة تأمل في وجود عدد من الإيرانيين المعتدلين الأكثر فاعلية لمنع الخميني من قيادة ثيوقراطية راديكالية؟ لكن، رفض الشاه أن يقول أي شيء أكثر من أن الولايات المتحدة قد انقلبت عليه. عندما غادرت القصر عبر أسراب من المحتجين والشرطة، قفزت في سيارة أجرة واتجهت إلى السفارة الأميركية. كنت أعرف السفير وليام سوليفان وطلبت عقد اجتماع خاص عاجل معه. عندما أخذني إلى مكتبه، قلت إنني سمعت للتو معلومة مهمة من الشاه. قال سوليفان "دعني أخمن. لقد أخبرك أن وكالة السي.آي.أي تحاول الإطاحة به. إنه يقول ذلك لأي شخص مستعد لأن يستمع إليه. مرحبا بك في طهران". شعرت بالخجل. لم أحصل على سبق صحافي، ولا معلومات حساسة لحكومة الولايات المتحدة. في المقال المصاحب للمقابلة مع الشاه، أدرجت جملة "هنا، نتحدث عن شرير آخر محتمل (غير الكرملين): وكالة المخابرات المركزية، التي تتهم بالتسلل عن عمد في صفوف المعارضة. أن وكلاءها سيكونون في الحكومة الجديدة إذا أطيح بالشاه".

الخروج المخزي

في 16 يناير 1979، ترك الشاه سلطته، ولم يعد أبدا. بالإضافة إلى مرضه الفتاك (اللوكيميا)، جعله مصيره ينتقل من بلد إلى آخر ومن مستشفى إلى مستشفى. قبلته إدارة كارتر على مضض من أجل العلاج، الأمر الذي ساهم في اقتحام السفارة الأميركية في طهران واحتجاز الموظفين كرهائن في الرابع من نوفمبر من ذلك العام. ونتيجة لذلك، اضطر الشاه الضعيف إلى المغادرة، إلى بنما ثم إلى مصر أين توفي في القاهرة في 27 يوليو 1980، عن سن يناهز 60 سنة. وسمح أنور السادات بتنظيم جنازة رسمية كاملة.

وبعد خمسة عشر شهرا، قتل السادات برصاص الجنود المنشقين. اندلعت مظاهرات فرح في طهران، وأعاد الآيات الله تسمية شارع تكريما للملازم خالد الإسلامبولي، المخطط لعملية الاغتيال المصرية. أعاقت الإطاحة بزعيم رئيسي واحد في الشرق الأوسط واستشهاد آخر السياسة الأميركية في المنطقة بطرق غيرت مجرى العلاقات الدولية، وهي اليوم تدخل منعرجا آخر تذكر بعض تفاصيله بما حدث قبل أربعة عقود.

جنرال متقاعد يحلم بجمهورية جزائرية ثانية

علي غديري

مرشح للرئاسة لا يخشى السقوط في صندوق النظام

صابر بليدي

❏ بعد عمر قضاه في ظل الخدمة العسكرية، تمكّن الجنرال المتقاعد علي غديري من أن يقفز إلى الواجهة السياسية والإعلامية، وأن يحرّك المياه الراكدة في المشهد السياسي المحسوم مبكّرا لصالح الرئيس بوتفليقة.

فبمجرد منشورات على صحيفة محليّة، أثار غضب وردود مؤسسة العسكر، واستقطب اهتمام الطبقة السياسية والرأي العام في الجزائر، قبل أشهر معدودة من الانتخابات الرئاسية في البلاد.

مساهمتان نشرهما في صحيفة الوطن المحلية الناطقة بالفرنسية، وحوار أدلى به لنفس الصحيفة، كانا عوامل كفيلة بقذف غديري، من ظل الخدمة العسكرية والتقاعد، إلى الأضواء الإعلامية والسياسية، وكأنّ الأجواء كانت مهيأة لاستقبال الرجل، كرقم مهم في معادلة الانتخابات الرئاسية المقرّرة في الجزائر، شهر أبريل القادم.

لأن الأوضاع السياسية جد حساسة في البلاد، والصراع على المستقبل السياسي في هرم السلطة بلغ ذروته، فإنّ الكثيرين يعتبرون أنّ مضمون منشورات غديري، كان سيمرّ مرور الكرام، لولا الضجة التي أثارتها قيادة المؤسسة العسكرية، التي أصدرت بيانات وتصريحات شديدة اللهجة، للرد على أفكار الرجل وأرائه في المشهد السياسي.

ورغم أن الجنرال المتقاعد، الذي قضى أكثر من أربعة عقود في الخدمة العسكرية، لا يستند إلى مسار سياسي أو نضالي، ولا يمتلك قاعدة حزبية، فإنه استطاع تحريك المياه الراكدة في معسكر السلطة، وتمكّن من أن يرسل إشارات قوية حول وجود تيار داخل المؤسسة التي اضطلعت بصناعة رؤساء البلاد، يعارض استمرار نظام الرئيس بوتفليقة في السلطة، ويشجب الفعاليات النافذة في محيطه.

> الجنرال أحمد قايد صالح، رجل صناعة الرؤساء الأول، يكيل لغديري أشنع الصفات بوصفه إياه بأنه «المتربص بالاستحقاقات المهمة، والجاحد لفضل الدولة»، و«خادم الدوائر الخفية وصاحب الطموح المفرط والفاقد للمؤهلات» وهي أمور أكسبته تعاطفا شعبيا مبكرا

المفردات الشديدة التي وردت في بيانات وتصريحات قيادة المؤسسة العسكرية، الموالية للرئيس بوتفليقة، قدّمت خدمة دعائية للرجل لدى الرأي العام وبعض الدوائر السياسية وحتى الجيوب الموالية له داخل بعض المؤسسات الرسمية. فتقديمه من طرف الجنرال أحمد قايد صالح، في ثوب "المتربّص بالاستحقاقات المهمة، والجاحد لفضل الدولة"، و"خادم الدوائر الخفية وصاحب الطموح المفرط والفاقد للمؤهلات" أمور أكسبته تعاطفا شعبيا مبكرا.

ولا زالت الدعاية الرسمية تؤدي مفعولها العكسي، والتموقع الانتقامي، يبصم على المزاج السياسي الشعبي في الجزائر، فروح الانتقام من كل ما هو ناتج عن السلطة،

> الكثيرون يعتبرون أن مضمون منشورات علي غديري، كان سيمر مرور الكرام، لولا الضجة التي أثارتها قيادة المؤسسة العسكرية، التي أصدرت بيانات وتصريحات شديدة اللهجة، للرد على أفكار الرجل وأرائه في المشهد السياسي

يبقى آخر مواقف الشارع للتعبير عن غضبه وسخطه منها، ففي تسعينات القرن الماضي اجتاح الإسلاميون الانتخابات المحلية والتشريعية، ليس لأنهم أصحاب مشروع مثالي، بل انتقاما من السلطة القائمة آنذاك، والآن يستحضر نفس الموقف، ليس اقتناعا بأفكار الرجل، بل لأنه يمثل قوة موازية لقوة الساسة والعسكر القابضون على دواليب السلطة.

فقدان الأمل وانهيار المؤسسات

أظهر غديري قدرة فائقة على تحليل الوضع القائم واستشراف المستقبل، بدت معالمها في أول خطاب وجّهه للرأي العام، في شكل رسالة للشعب الجزائري، بمناسبة التعبير عن نيّته في خوض غمار الانتخابات الرئاسية المقرّرة في الـ18 من أبريل المقبل.

وهو ما يؤكد أن الجنرال الحائز على عدد من الدبلومات وشهادتي دكتوراه، يحمل في جعبته دراية واسعة بالواقع الذي تعيشه البلاد، فقد اختصر أسباب ترشحه في "فقدان الأمل وانهيار المؤسسات، فالدولة غاب فيها احترام القانون، وشيخوخة العنصر البشري المسيّر، والظلم الاجتماعي، والنظام الريعي والمحسوبية والرشوة التي تضرب المجتمع في العمق"، وهي حقائق مرّة لا يختلف عليها اثنان في الجزائر، خاصة خلال العقدين الأخيرين.

وذهب أبعد من ذلك، حينما قال "إذا كان انعدام الأمن يهدّد الجزائريين يوميا، فإن استهلاك المخدرات القوية يضاعف اللاأمن. كما أن التحكّم يحول دون بناء الديمقراطية. وأن العشائرية والنهب حوّلا النظام السياسي إلى أولغارشية بأتمّ معنى الكلمة". وتابع قوله إن "الاستسلام أمام هذا الوضع الذي يهدّد الانسجام الوطني ليس حتمية، ولهذا قرّرت رفع هذا التحدّي بالإعلان عن ترشحي للانتخابات الرئاسية لأبريل 2019".

ويبدو أن غديري كان يفضّل الظل أثناء خدمته العسكرية، فرغم رتبته السامية وشغله لمنصب مدير دائرة الموارد البشرية في وزارة الدفاع في سنواته المهنية الأخيرة، إلا أن العديد من المهتمين بالشأن العسكري، لم يجدوا مسارات واضحة في مساره المهني، ليستندوا إليها في قراءة مشروع ومواقف الرجل.

واختلف البعض حتى في مسقط رأسه، والمحافظة التي ينحدر منها في شرق البلاد الذي كان مهيمنا خلال العقود الماضية على التركيبة البشرية للمؤسسة العسكرية. وذكر أحد الشهود على شبكات التواصل الاجتماعي، أنه "يعرف شقيقه الراحل الذي كان يملك ورشة لإصلاح كاتمات صوت المركبات"، مما يعكس الخلفية الاجتماعية المتواضعة لغديري، وعدم توظيف منصبه في توزيع الريع على أقربائه، كما هي عادة الكثير من الضباط السامين.

ينقل عن غديري قوله "كنت دائما حريصا على أن يكون مساري المهني، على أساس قناعات عميقة متجذرة ونابعة من الأفكار التي كانت تسود الوسط الوطني والعمّالي الذي ترعرعت فيه طفلا وشابا، وهذه القناعات التي لم توجّه اختياراتي الأساسية فحسب، بل سمحت لي في صفوف الجيش الوطني الشعبي الذي خدمته مدة 42 سنة، إيجاد الأرضية التي أرست في أعماقي حبّ الوطن وحسّ الواجب نحو الأمة".

ويضيف المرشح الرئاسي "اليوم أعيش، والحمد لله، بمنحة التقاعد، وأجد كل الاعتزاز والرضى في أنني أؤمن بها كل حاجياتي وحاجيات عائلتي، كما كنت بالأمس أؤمنها براتبي الشهري".

وذهب مقرّبون من التيار الإسلامي الراديكالي المعروف بعدائه للعسكر، على خلفية ما يصفونه بـ"الانقلاب على خيار الشعب في انتخابات العام 1992"، إلى عدم الانتقاد الآلي لكل ما هو عسكري، بعد طرح الرجل نفسه كمتنافس على قصر المرادية.

ودعا معارض سياسي يقيم في لندن ومقرب من جبهة الإنقاذ الإسلامية المنحلة، إلى "التريث لمعرفة مواقف وشخصية الرجل، في ما يتعلق بوقف المسار الانتخابي، ودوره في عشرية الحرب الأهلية، والفساد، لإصدار حكم معيّن عليه"، وهو ما يوحي باطمئنان نسبي لدى هؤلاء للجنرال المتقاعد، وهو مؤهّل لاستقطاب الإسلاميين الراديكاليين، الذين يشكّلون وعاء انتخابيا معتبرا، رغم أنه لم يفصح عن تفاصيل برنامجه السياسي.

عسكرة السلطة

وجد بعض ما يوصف بـ"الذباب الإلكتروني" الموالي للسلطة، في الخلفية العسكرية للرجل، مطيّة للتحذير من عسكرة السلطة، واستحضار الأحكام النمطية حول توجّهات أبنائها في فرض أنظمة سياسية شمولية في البلدان التي يستولون على قيادتها، وانتقاد انقياد بعض القوى السياسية والإعلامية والحقوقية، في دعم الرجل تحسّبا للاستحقاق القادم.

وهو ما يوحي إلى أنّ بعض أطراف الموالاة، استشعرت الخطر السياسي الذي يشكّله الجنرال المتقاعد على مرشحها، رغم أن الرجل لا يستند إلى قوى حزبية أو جمعيات أهلية، باستثناء ما يوصف بـ"جيوب" أو امتدادات النخبة العسكرية العاملة أو المتقاعدة داخل المؤسسة العسكرية، الرافضة لاستمرار بوتفليقة في السلطة.

ورغم أن الرجل صرّح بطلبه التقاعد المهني، للرد على من يرددون خبر إقالته العام 2015، في خضم حملة التغييرات التي مسّت ضباطا وجنرالات في الجيش، لاسيما المحسوبين على مدير الاستخبارات السابق الجنرال محمد مدين "توفيق"، إلا أنه أبدى في رسالته للرأي العام مشروع جمهورية ثانية تقطع مع موروث المرحلة السابقة.

ووصف غديري، ترشحه للانتخابات بـ"التحدّي الكبير"، وقال إنه "خيار لا يمكن أن يتحقق دون مساندة ومشاركة الشعب، وذلك من أجل إعادة النظر، دون تابوهات، ولا يمكن أن يتجسّد إلا في إطار مشروع اجتماعي مبدع متبلور حول هدف واضح وهو القطيعة دون تنكّر".

ومن آرائه أنّ تلك القطيعة مصطلح قويّ قد يقلق على حدّ سواء الأقلية التي تسعى إلى استمرار النظام القائم أو ما تبقى منه لضمان الاستفادة غير الشرعية، كما قد يقلق الأغلبية الساحقة التي وإن كانت تدعو إلى التغيير فهي غير مطمئنة لعواقبه.

يعلّق غديري على مخاوف الجزائريين بالقول "أقول لهذه الأغلبية الساحقة بأن ما يجب أن يخيفنا فعلا هو تلك الآفات وليدة هذا النظام، والتي تدفع بأبنائنا إلى هجرة وطنهم، وتمنع شعبنا من العيش في طمأنينة ورفاهية، ومن التمتّع الكامل بخيرات البلاد، التي يمكن للدولة أن توفرها للجميع وبكيفية عادلة. القطيعة تفرض نفسها على الجميع كمسألة وجودية للأمة، قصد تجديد العهد مع مفجّري ثورة نوفمبر 1954 لإنقاذ الجزائر التي ضحّوا من أجلها بالنفس والنفيس، ومن أجل المضيّ قدما، والقطيعة التي أنادي بها ليست مجرد شعار لصدم العقول، ولكنها كمنهج لحل ناجح ضد كل الآفات التي تهدّد مجتمعنا وأمتنا والنظام الجمهوري، وسنحدث هذه القطيعة دون أي تنكّر لقيم نوفمبر التي نغير عليها كل الغيرة".

أوراق قوية للعب

يعتبر المحامي والناشط السياسي مقران آيت العربي أول الشخصيات التي عبّرت عن دعمها لترشيح غديري، من خلال رسالة ذكر فيها "لقد قرّرت، بعد تبادل الحديث عدة مرات مع علي غديري حول الخطوط العريضة لمشروعه، أن أساند ترشحه للرئاسيات وأن أشارك فعليًا في حملته الانتخابية"، وأضاف العربي "في جوّ يسوده القلق والتوتر والاحتراس من المستقبل المجهول الذي ينتظر البلاد على المدى القريب، يأتي هذا الترشح، المعاكس لتيار القوانين القمعية التي وضعها النظام منذ الاستقلال، وجاء ترشح الجنرال المتقاعد كبادرة خير سياسية من شأنها أن تعيد توزيع الأوراق عن طريق اللجوء إلى الإرادة الشعبية، باعتبارها المصدر الوحيد للشرعية".

يضرب غديري نوعاً من الغموض حول تفاصيل وهيكلة مشروعه السياسي والانتخابي، فالترشح المستقل والتعاطي المباشر مع الشعب، لا يغنيانه عن إقامة تحالفات مع قوى سياسية في الساحة، خاصة مع القبول المبكّر الذي حظي به من طرف بعض الفعاليات، كما هو الشأن بالنسبة لحركة "مواطنة" المعارضة، التي استقبلته في مقرها، وتبادلت معه النقاش حول مشروعه السياسي.

لا يزال غديري، يحتفظ بكامل أوراقه. وباستثناء فتح المداومة المركزية في أعالي المركزية، لإدارة حملة جمع التوقيعات، وتسمية معاونيه في محافظات الجمهورية للقيام بنفس المهمة، لم يصدر عن الرجل أيّ إضافات أو تفاصيل أخرى، بشأن الجدل المحتدم بشأن الاستحقاق الرئاسي، خاصة في ما يتعلق بغلق اللعبة لصالح بوتفليقة، للمرور إلى الولاية الخامسة. وعودة المرشحين المنافسين مع بقية الجزائريين إلى الصندوق المغلق بأحكام.

> الغموض يشوب تفاصيل وهيكلة مشروع غديري السياسي والانتخابي. لكن الترشح المستقل والتعاطي المباشر مع الشعب، لا يغنيه عن إقامة تحالفات مع قوى سياسية في الساحة، خاصة مع القبول المبكر الذي حظي به من طرف بعض الفعاليات، كما هو الشأن بالنسبة لحركة «مواطنة» المعارضة، التي استقبلته في مقرها

● المرشح الرئاسي الجديد لا يستند الى أي تاريخ سياسي، ولا يمتلك قاعدة حزبية. ومع ذلك فقد تمكن من أن يرسل إشارات قوية تعكس وجود تيار داخل المؤسسة العسكرية يعارض استمرار بوتفليقة في السلطة.

● غديري ينتمي إلى نمط من العسكريين يفضل العمل في الظل، وهو ما ظهر أثناء خدمته العسكرية. ورغم رتبته السامية، إلا أن العديدين لم يجدوا اتجاهات واضحة في مساره المهني.

ذهب بفلسطين إلى العالم

تيسير بركات

الرسام الذي يقاوم بالجمال

فاروق يوسف

❏ حياته كلها هناك. في مرآة أو في صندوق. لا فرق. بالنسبة له فإن الرسم في إمكانه أن يستدعي الكائنات التي علقت بخيط حياته.

لن يسمي الحكايات التي يرويها بما يشبه الشعر ذكريات. ليس لزمن الرسم ماض لكي نتحرر منه عن طريق الذكريات. لذلك تحاكي رسومه "خفة الوجود" وهو عنوان أحد معارضه في تخليها عن أشكالها.

تيسير بركات لا يراكم طبقات المعنى. يلذ له أن يستعرض الوقائع التي عاشها كما لو أنها حدثت في زمن واحد. إنه زمن الطفولة. تتساوى في ذلك الأحلام المنسية والأحداث اليومية والأمنيات العابرة.

الباحث عن عالم أكثر عدالة

كل ما عاشه ويعيشه وسيعيشه يجتمع على السطح نفسه في رؤية منصفة للزمن الذي يرافقه في الذهاب إلى اللوحة والعودة منها. وهو ما يكسب مفرداته حركة تنبعث من داخلها. سيكون عليه أن يتحكم بذلك الإيقاع الذي يسحره قبل أن يتحول إلى واحدة من حقائق أعماله القائمة على فكرة تلمّس الطريق إلى الموسيقى التي تنطوي عليها العلاقة بالآخرين.

> تيسير بركات لا يراكم طبقات المعنى. يلذ له أن يستعرض الوقائع التي عاشها كما لو أنها حدثت في زمن واحد. إنه زمن الطفولة. تتساوى في ذلك الأحلام المنسية والأحداث اليومية والأمنيات العابرة

يرسم بركات ليجد نفسه بينهم. أولئك البشر الذي لم يتخل عنهم ولم يودعهم وكان دائما يسهر على أحلامهم من أجل أن يصورها.

ولأن الرسم بالنسبة له سلوك حسّي قبل أن يكون ضالة تأملية، فهو يبقي عينيه مفتوحتين ليرى ويصور، لكن بطريقة هي أشبه بالهذيان. هذيان ينفتح بالوقائع على الزمن الذي يضيفها إلى منمنماته. وهو ما تعلمه بركات حين صار يحتفي بمفرداته باعتبارها لقى نادرة، بالرغم من أنها لا تعدو أن تكون مجرد أشياء مهملة.

يدرك بركات أن الفن يهب الأشياء قيمة استثنائية، لذلك يحرص أن يحتفي بالأشياء التي لا يزال يبصرها بالرغم من أنها لم تعد موجودة. يهبها حياة لتهبه سعادة.

صورة الواقع غير المرئي

ما يفتن في هذا الرسام أنه يضفي قدرا من المرح على فكرته الحزينة عن العالم الذي أحاط حياته بالظلم. فلسفته في ذلك تكمن في طريقة تفكيره في الفن، كونه خلاصا جماليا ينطوي على كثير من الحلول التي في إمكانها أن تجعل العالم أجمل وأكثر عدالة.

ولد تيسير بركات في مخيم جباليا، قطاع غزة عام 1959. درس الفن في جامعة حلوان بمصر. وأقام أول معرض شخصي في القدس. أقام معارض شخصية وشارك في معارض احتضنتها مدن عالمية مثل ساو باولو وفيينا ودمشق والإسكندرية وروما وستوكهولم ونيويورك وباريس في معهد العالم العربي عام 2000 والشارقة وهيوستن بمتحف الفنون المعاصرة.

يقيم بركات في رام الله. وهو عضو في جماعة "التجريب والإبداع" كما أنه من مؤسسي "مركز الواسطي للفنون" في القدس. أما معرضه الأخير فقد أقامه عام 2017 في مدينة البيرة الفلسطينية وهو الذي حمل عنوان "خفة الوجود". مكان إقامته يهبه الكثير من القيم الرمزية التي صار يرنو إليها من خلال رسومه. تلك واحدة من أعظم حكاياته. كان عليه أن لا يغير مكانه من أجل أن يتمكن من الإمساك بالزمن الذي صار يلعب بساعاته مثلما ووقتما يشاء. تلك لعبة طفل.

غير أنه الطفل الذي رأى بعينيه كل شيء ولا يزال حريصا على أن لا يكون شاهدا. ذلك لأنه حين فتح عينيه على الرسم اهتدى إلى الحقيقة التي صنعت منه خالقا لطريقة جديدة في النظر إلى العالم. فبركات لم يغره الواقع ليرسمه. لقد ترك الواقع خلف ظهره ومضى مستلهما حياة، لم يعشها غير أنها كانت الحياة المطلوبة.

وبما أن حياة الآخرين وهو ابن مخيم قد اشتبكت بحياته، فقد كانت مسؤوليته رساما فلسطينيا تضعه أمام خيارين. أن يرسم الواقع، كما لو أنه يعيد إنتاج الحكاية الفلسطينية رسماً. وهذا ما فعله

> الرسم بالنسبة إليه سلوك حسّي قبل أن يكون ضالة تأملية، فهو يبقي عينيه مفتوحتين ليرى ويصور، لكن بطريقة هي أشبه بالهذيان. هذيان ينفتح بالوقائع على الزمن الذي يضيفها إلى منمنماته

معظم الرسامين الفلسطينيين في تقليد بدأه إسماعيل شموط أو يخلق واقعا، لا يخون الحقيقة غير أنه ينتمي بإخلاص إلى عالم الرسم، الذي يحرّض بجماله على البحث عن قيم واقعية جديدة تليق بالإنسان الحر. لقد قبض بركات على الخيار الثاني وصار يحتفي بألمه كما لو أنه يلعب، غير أنه في الحقيقة كان يمتحن قوة الإنسان الكامنة فيه وهي تقاوم صورة الواقع المفروض عليه. كان يصنع صورة فردية للألم الذي يشعر به الآخرون من غير أن يتمكنوا من القبض عليه. تحدي الواقع بالجمال

رأيت بركات أول مرة في عمان عام 2015. لم أكن بعد قد رأيت عمله "حياة في صندوق". لو أني رأيت ذلك العمل قبل أن أراه لكنت فهمته أفضل. كان رجلا يحب الحياة بطريقة مَن يسعى إلى اقتناص لحظاتها السعيدة قبل أن ينفخ إسرافيل في بوقه معلنا نهايتها. لقد ألهمه الرسم أن يكون موجودا بقوة في اللحظة التي تتفتق فيها أحاسيسه عن شهواتها. بعد ذلك قرأت له سطورا في سيرته التي أعتقد أنه لم يرسمها بعد.

أكبر من غزة

يقول بركات "لا اسم لي ولا شكل ولا قيمة في هذا الزمن. يمكن أن تجدوني ميّتا في نفق على الحدود المصرية أو متسولا في أحد شوارع نواكشوط أو في حاوية قمامة في جباليا أو طائرا مبللا بالبترول على شواطئ الخليج العربي. أنا كيس طحين. أنا بيت مهدوم. أنا جرح نازف. أنا جرة غاز. أنا جدار ينتظر أن ينهدم".

هل علينا أن نبحث عن القاسم المشترك في لوحاته؟

هذا كلام رجل يائس. غير أن المفاجأة تكمن في أن كل ما يقوله بركات إنما يعبّر عن الحقيقة، غير أنها حقيقة تصنع معجزات مضادة لما يُفهم منها. هناك شيء من التحدي للنفاق الذي يتم من خلاله صنع الرأي العام. وهو ما جعل من الواقع الفلسطيني خيارا وحيدا. بركات يقاوم بطريقته لا بالطريقة التي يمليها عليه الآخرون.

سيعرف الآخرون قيمة ما يفعله الرسم من خلال رسومه. ذلك هو رهانه. وهو رهان سيهبنا تاريخا من الجمال لا علاقة له بالتاريخ الرسمي للقضية.

لمَ لا تكون غزة هي ذلك الصندوق؟ لقد صنع بركات عالما سردياً، مخلوقاته كلها مستلهمة من الحياة في غزة. الطيور والحشرات والأسماك وصولا إلى البشر. كلها كائنات تشدّه إلى تربيته البصرية الأولى، غير أنه حين صار رساما عرف كيف يقود تلك الكائنات إلى مرسمه لتكون أشبه بالبشارة التي تمهد للربيع. لقد استولى عليها وقطع صلتها بجذورها. صارت جزءا من حياته التي وجدها في صندوق، هو أكبر من غزة، بل هو أكبر من العالم الذي تعرّف عليه. ما تعلمه من الرسم أن لا يستسلم لعاطفته. ذلك درس بليغ.

الرسام يرى بعينيه غير أنه يحتكم إلى خبرته. ومنذ البدء تعلم بركات أن يتجنّب الانزلاق إلى العاطفة. كان فلسطينيا بعقله لا بعاطفته. وهو ما ساعده على عصيان الوصف. لذلك لم يرسم كائناته باعتبارها كائنات جاهزة.

أخذها إلى ملعبه. أخذ كل شيء رآه إلى ذلك الملعب الذي صار الآخرون يتعرفون على تفاصيله من خلال رسوم ستضعهم على خارطة الفن العالمي. حينها لن يسأل أحد "ما الذي يحدث هناك؟".

تيسير بركات فنان ذهب بفلسطين إلى العالم.

> الرسام يرى بعينيه غير أنه يحتكم إلى خبرته. ومنذ البدء تعلم بركات أن يتجنب الانزلاق إلى العاطفة. كان فلسطينيا بعقله لا بعاطفته. وهو ما ساعده على عصيان الوصف. لذلك لم يرسم كائناته باعتبارها كائنات جاهزة

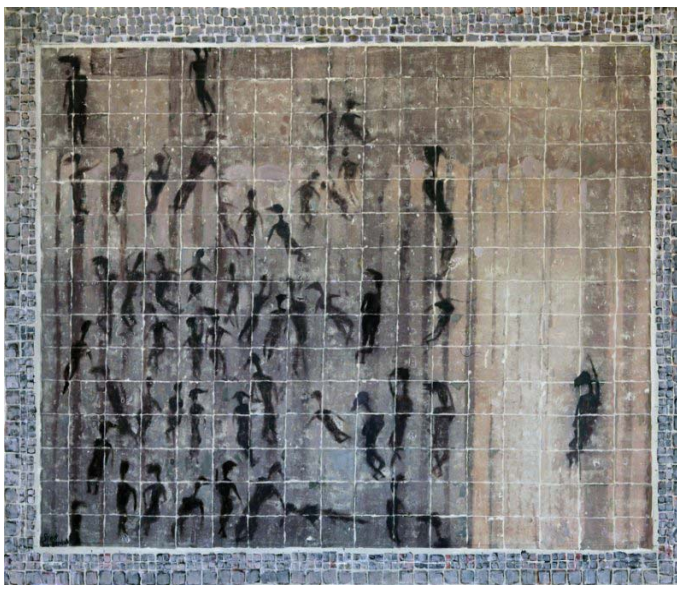

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

هذيان الذاكرة الجماعية

في ثقافة الزمن التكنولوجي وهيمنة الموبايل

أسماء الغول
ناقدة من فلسطين

❏ أصبحت تراودني هذه الوَسَاوس؛ أن كل لحظة جميلة تمر بي لن أتذكرها إذا لم أصورها بهاتفي المحمول، فإذا ذهبت إلى مدرسة ابنتي ورأيتها ترسم أبحث سريعا عن هاتفي لأصورها، وإذا ذهبنا إلى البحيرة المجاورة أفعل الشيء ذاته، وغالبا ما تكون ذاكرة الهاتف ممتلئة بالصور ما يجعلني آخذ وقتا كي أحذف الفيديوهات والصور غير المهمّة لألتقط صورا جديدة، وغالبا ما ينفد صبر ابني وابنتي ويفقدان الرغبة في اللعب، وفي حال رضخت ولم أصور، تمسكني تلابيب الشك بأن اللحظة لم تكتمل.

كأنني استغنيت عن ذاكرتي التي كانت أهلا للاحتفاظ بسنوات طفولتي ومراهقتي دون أن أعرف الهاتف المحمول، أو كأن الهاتف غدا عقلي وتاريخي، ولم أعد مطالبة بأن أسترجع تلك اللحظات الجميلة بنفسي، وهذا لا أقترفه وحدي، بل هناك الملايين من البشر الذين لم تعد لديهم تلك الثقة بذاكرتهم وبأنها ستحفظ اللحظات الجميلة، بل حتى أن الذاكرة أصبحت موضوعا غير مفكر به، طالما أن هناك الهاتف الذكي (Smart Phone) أو الحاسب اللوحي (Tablet).

وليس هذا فحسب بل أصبح بالإمكان تلقي ردود أفعال وتعليقات على ذاكرتك تلك، وسجل أيامك ولحظاتك بفرحها وحزنها من خلال محيط تفاعلي، فأنت لم تعد تملك ذاكرتك وحدك، بل تشارك بها العالم.

لقد ربى لدينا الهاتف كسل الذاكرة، فهو يذكّرك بصورك في الوقت ذاته العام الماضي أو الذي قبله، والفيسبوك يفعل ذلك أيضا، بل يكفي أن تلج إلى أستوديو الصور على هاتفك كي تتنقل بين سنوات عمرك، ناهيك عن أنه لم يعد هناك خوف من فقدان الصور بفقدان جهازك الصلب، لأن كل شيء محفوظ في نسخة احتياطية بفضاء التخزين الإنترنتي على حسابك في غوغل.

توقفنا عن التذكر، تماما كما توقفنا عن بذل المزيد من أنفسنا من أجل أن تكون اللحظات جميلة لنا، وليس فقط لصور الهاتف والإنستغرام والفيسبوك.

ربما لم يكن المبرمجان الأميركيان كيفن سيستروم ومايك كريجر يعرفان ما الذي سيفعلانه بالعالم حين أطلقا تطبيق إنستغرام على متجر أبل في أكتوبر 2010 كأول منصة اجتماعية لالتقاط الصور ومشاركتها، فرغم بساطة التطبيق إلا أنه استطاع أن يحقق رواجا هائلا حتى بلغ عدد مستخدميه بعد شهرين فقط من إطلاقه مليون شخص حول العالم، وقبيل نهاية العام الأول بلغ عدد مستخدميه 10 ملايين شخص يتداولون 150 مليون صورة.

وفي أبريل من العام 2012، تم طرح التطبيق على متجر أندرويد، وبعد ستة أيام تم الإعلان عن شرائه من قبل فيسبوك، وتضاعف عدد مستخدميه إلى 80 مليون مستخدم في يوليو من العام نفسه، وعقب خمس سنوات وصل عدد المستخدمين النشطين شهريّا إلى 700 مليون في أبريل 2017، يتداولون 40 مليار صورة.

إذن لقد استغنينا بكليتنا عن رؤية حياتنا كما تبدو على حقيقتها، بل غدونا نراها من خلف الشاشات لنلتقط لحظات النجاح، ولقاء الأصدقاء، وولادة الأبناء، والإجازات، وحفلات الزفاف، وأولى خطوات مشي أطفالنا وبداية لثغهم للأبجدية. لم يبقَ شيء يحتفظ بلحظته الأصيلة حين تلتقطها عيوننا، بل تفعل ذلك عيون

> أدرّب نفسي على ألا أخرج هاتفي النقال من حقيبتي إذا قامت ابنتي بأداء أغنية جديدة، وألا ألتقط لابني صورة في أول مباراة له بكرة السلة، ولنتذكر هذه الأيام معا ثلاثتنا كما ينبغي أن تكونه بعد عشرة أو عشرين عاما دون وسائط، لكن ماذا عن البشر؟، عن ماذا سيستغنون غير ذاكرتهم والحقيقة؟

لوحة حسين جمعان

الهاتف المحمول، فنرى الأشياء من خلف زجاج، حتى إذا أردنا أن نتذكّر نجد أن هذه الصور هي التي تكوّن ذاكرتنا أكثر من تدفق اللحظة الحقيقية في رؤوسنا.

من الطبيعي أن يحدث كل هذا، خاصة أن عدد من بحوزتهم هواتف محمولة بلغ 4.9 مليار مستخدم، أي أن كل ثانية هناك سبعة أشخاص جدد حول العالم بدأوا باستخدام الهواتف المحمولة، ستة منهم يستخدمون هواتف ذكية.

ولكن الثورة الحقيقية لم تبدأ فقط عند امتلاك الهواتف الذكية، بل من انتشار التطبيقات على هذه الهواتف، فقد أصبح لكل موقع إلكتروني تطبيق خاص به يمكن من خلاله دخول الموقع ببساطة وسرعة وانتقائية، دون الحاجة إلى فتح صفحة "ويب"، ما يجعل الاتصال بالإنترنت وسرعة التقاط الصورة وتحميلها ونشرها توازي لحظة التقاطها في رأسك.

إن ما أحدثه "الموبايل" وما جلبه من ثقافة وتفاعل بين الإنسان والآخر في الفضاء السيبرني زاد من انفصاله عن واقعه؛ بين أصدقائه ومع عائلته، بل إن استخدامه مبني على عزلة الفرد الكاملة، ما أحدث تغييرا على عقله وبيئته، وهو ما تحدثت عنه عالمة الأعصاب سوزان غرينفيلد حين وصفت عقولنا بأنها تتأقلم بشكل حسي ويعاد ترتيب "خلاياها" بشكل جديد أو ضمور بعضها، بحسب الوسائط.

فالإنسان حين كان يعتمد على التواصل الشفوي كوسيط، كان مختلفا تماما بصفاته العقلية عن اليوم، كذلك بيئته وتكيّفه، فالوسائط القديمة تضمن جماهير غفيرة تكاد تتجانس، لكنه اليوم في عصر التكنولوجيا الحديثة يحدث التجانس افتراضيا، ما يتركه في الواقع في حالة تأزم مروّعة إذا لم يكن "هاتفه" في يده. فغدت عزلته عزلتين؛ عزلة الإنسان الوجودية عن الآخر التي ليست لها من حل منذ الأزل، والآن عزلته المركّبة داخل هاتفه المحمول.

إن تعاملنا اليوم مع العالم عبر الهاتف المحمول يشعرنا بالمزيد من الثقة والتحكم والتمكين إلى حدّ أصبحت تسيطر علينا فكرة التشكيك بكل ما هو خارج عنه وعن تطبيقاته، كما أصبحت مصادرنا غير ذات ثقة إذا لم تمر عبر هذه الوسائط، فطريقة التعامل مع المعلومة وتلقيها اختلفت، كذلك استقبال الأخبار التي غدت عبارة عن فيديوهات وصور ونصوص بنفس اللحظة، وكأننا نشهدها بأبعادها الثلاثة، لذلك يختلف تخيلنا لزمان ومكان المعلومة التي تصلنا عن شكلها في السابق عبر الأوراق أو الصحف أو الكتب.

والأهم أن هذه الوسائل تضمن الانتقائية الشديدة، فنختار ما نقرأ ونحدد الأجزاء ونتحكّم بما نريد، فنحن نرى الصورة التي نحب والفيديو الذي نريد والكلمات التي نفضّل بأقل تكلفة معنوية وفيزيائية، ونتحكّم بها عبر مختلف تطبيقات الأخبار والتقارير الإعلامية، بأصابعنا وما تضغطه من أزرار، فهل كان الإنسان أبدا سيد مزاجه ونفسه كما هو في هذه اللحظات؟ أو هكذا يحب أن يعتقد، وربما هكذا يراد له أن يعتقد! فلا ننسى أن هذا العالم السيبرني كله متحكم به.

ويوضح تقرير مؤسسة إريكسون العالمية "أبرز 10 توجهات للمستهلك في العام 2017 وما بعده" أن من سلبيات هذه التكنولوجيا ما يسمّى بالصوامع الاجتماعية (Social silos)، فعادة ما تقوم لوغاريتمات مواقع التواصل الاجتماعي بحجب بعض المعلومات ما يقلل من إمكانية تعرفها على الأفكار المختلفة، ومن ثم تصبح هذه المواقع صدى لأفكارها (Echochamber) أكثر من كونها مواقع تهدف للتواصل بين المجموعات ذات الأفكار المختلفة.

وبالتالي الهاتف المحمول لم يعد وسيطا تقليديا بين شخص وآخر بمقدار أنه أصبح وسيلة اتصال بين الشخص ونفسه، ففي النهاية هذا الشخص يرى انعكاساته على مواقع التواصل الاجتماعي، فهو حبيس التطبيقات في عالم "مرآوي".

ومن هنا بالذات، ومن خلال هذه الانتقائية الوهمية التي يسعى عبرها لتلبية رغباته وقناعاته تصبح الحقائق

> لقد استغنينا بكليتنا عن رؤية حياتنا كما تبدو على حقيقتها، بل غدونا نراها من خلف الشاشات لنلتقط لحظات النجاح، ولقاء الأصدقاء، وولادة الأبناء، والإجازات، وحفلات الزفاف، وأولى خطوات مشي أطفالنا وبداية لثغهم للأبجدية. لم يبقَ شيء يحتفظ بلحظته الأصيلة حين تلتقطها عيوننا، بل تفعل ذلك عيون الهاتف المحمول، فنرى الأشياء من خلف زجاج

لا معنى معها، وتظهر لدينا جليّا أهمية استخدام مصطلح "ما بعد الحقيقة" (Post-truth)، وللوهلة الأولى تعتقد أن المصطلح يقصد أن الإنسان تجاوز إدراكه للحقيقة بأنه عرف أهميتها وأخذ بدلائلها ووصل بمعرفته لما بعدها، ولكن المقصود بالمصطلح كما أورده قاموس "أكسفورد" أنه يدلل على "الظروف التي تكون فيها الحقائق الموضوعية أقل تأثيرا في صياغة الرأي العام مقارنة بالاحتكام إلى العواطف والقناعات الشخصية".

الآن أدرّب نفسي على ألا أخرج هاتفي النقال من حقيبتي إذا قامت ابنتي بأداء أغنية جديدة، وألا ألتقط لابني صورة في أول مباراة له بكرة السلة، ولنتذكر هذه الأيام معا ثلاثتنا كما ينبغي أن تكونه بعد عشرة أو عشرين عاما دون وسائط، لكن ماذا عن البشر؟، عن ماذا سيستغنون غير ذاكرتهم والحقيقة؟

إن أكثر ما أخشاه أن ما قاله الفيلسوف الفرنسي بول فاليري عن التاريخ سينطبق يوما على الهواتف النقالة وتطبيقاتها "هو المنتج الأكثر خطورة من بين ما حضرته كيمياء العقل.. يقود إلى هذيان العظمة أو هذيان الاضطهاد".

الخال والمديفر خارج الصورة

زكي الصدير
كاتب من السعودية

❏ كان عبده خال محقا حين قال "لم يقرأوها" في إشارة إلى الغذامي والحمود وإلى أصحاب الآراء الناقدة لتجربته، متهما إياهم بأنهم يسوقون آراءهم دون قراءة منتجه الروائي.

هذا الحكم أجده ينطبق تماما على الكثير ممّن علّق على لقاء خال مع عبدالله المديفر الذي أجراه معه في برنامجه "في الصورة" على قناة روتانا خليجية، حيث أن أغلبهم لم يشاهد الحلقة كاملة، وإنما اكتفوا بمشاهدة مقاطع تبثّ من هنا ومن هناك، كانت قد اجتزئت من سياقاتها العامة لتأخذ المتلقين إلى نتيجة حادة جدا تجاه المديفر وحكمنا عليه بين السطحية والعمق، وبين الحوار والمحاكمة، وبين إسلاميته وليبرالية ضيفه.

لست هنا حكما على أيديولوجية المديفر، وكيف تشكّلت خلفيته الثقافية، ومن أين انحدرت مواقفه الفكرية، سواء تخيّلناه مقدّما لبرامج في "أم. بي.سي"، أو في روتانا خليجية، أو الرسالة، أو حتى في قناة المجد الدينية.

يجب أن نتنبّه إلى أننا في الحقيقة أمام حلقة حوارية فقط، كان لا بدّ لأي إعلامي محترف أن يكون فيها محامي الشيطان، وأن يتمثّل بجميع الآراء الموجودة على الساحة الثقافية، سواء راقت له أو لم ترق، وسواء أعجبته أو لم تعجبه. وهكذا -في ظني- فعل المديفر بأدب كبير ومن دون انفعال يذكر، وكان ردّ خال مؤدبا وعميقا رغم مرضه عافاه الله.

لقد تعامل المثقفون السعوديون مع الحوار باعتباره جزءا من ساحة الحرب الكبيرة الدائرة بين الليبراليين والإسلاميين في السعودية، فتم التعامل مع ردود الفعل وفق ذلك، ولنا أن نتخيّل لو أن الأسئلة نفسها التي قدّمها المديفر قام بتقديمها علي العلياني، كيف كانت ستكون ردود الفعل إذ ما علمنا بأن الأخير يحسب على جماعة الليبراليين السعوديين؟!

السؤال لا يحتاج إلى إجابة، لكنه يحتاج إلى فهم المكوّنات الثقافية التي صنعته، وشكّلت الثورة على نتائجه منذ التدافع الأول لمشايخ الصحوة الدينية بعد قضية جهيمان، وصراعهم مع أي مكوّن حداثي في الداخل السعودي، حيث تمثلت أوضح معاركهم الثقافية أواخر الثمانينات في كتاب "الحداثة في ميزان الإسلام" (1988)، لعوض القرني الذي قدّم له مفتي المملكة آنذاك الشيخ عبدالعزيز بن باز قائلا "أحمد الله الذي قيض لهؤلاء الحداثيين من كشف أستارهم وبيّن مقاصدهم وأغراضهم الخبيثة وأهدافهم الخطيرة بهذا الكتاب الذي يقدمه مؤلفه فضيلة الشيخ عوض للقراء، فقد كشف لنا القناع عن عدو سافر يتربص بنا ويعيش بين ظهرانينا ينفث سمومه باسم الحداثة، وهو بهذا الكشف والبيان يلقي مسؤولية عظيمة وجسيمة على علماء هذا البلد وقادته ورجاله وشبابه وغيرهم للتصدي لهذا الخطر، وإيقاظ الهمم، وتنبيه الغافل عنه، ونصح وتوجيه الواقع فيه".

ورغم أن الصراع كان ومازال لم يتجاوز الحالة الأدبية وعلاقتها باللغة وبالشكل، وبالمنتج الأدبي في حيّز مفاهيمي ضيق، إلا أنه استطاع أن يجعل من نفسه هوة عظيمة بين مكوّنين سعوديين يقفان تحت مظلة الدولة الملتزمة بالإسلام في نظامها الأساسي للحكم.

اللقاء كان عاديا، والمحاور التي تمّ التطرق إليها كانت تقليدية، لكن ردود الفعل كانت أكبر من الحدث نفسه، حيث حملها تياران محافظان يقفان في مواجهة بعضهما البعض تحت مسميات مختلفة تناوب على اللعب في ملاعبها المشايخ والمثقفون مستخدمين مريديهم كرات للعب، غير أن اللعبة انتهت Game Over، ومن المضحك الجلوس أمام الشاشة بعدها، فخال والمديفر أصبحا خارج الصورة.

الرواية الجديدة والسّرد المعرفي

تحولات البنية الروائية في «وطن الجيب الخلفي» لمنى الشيمي

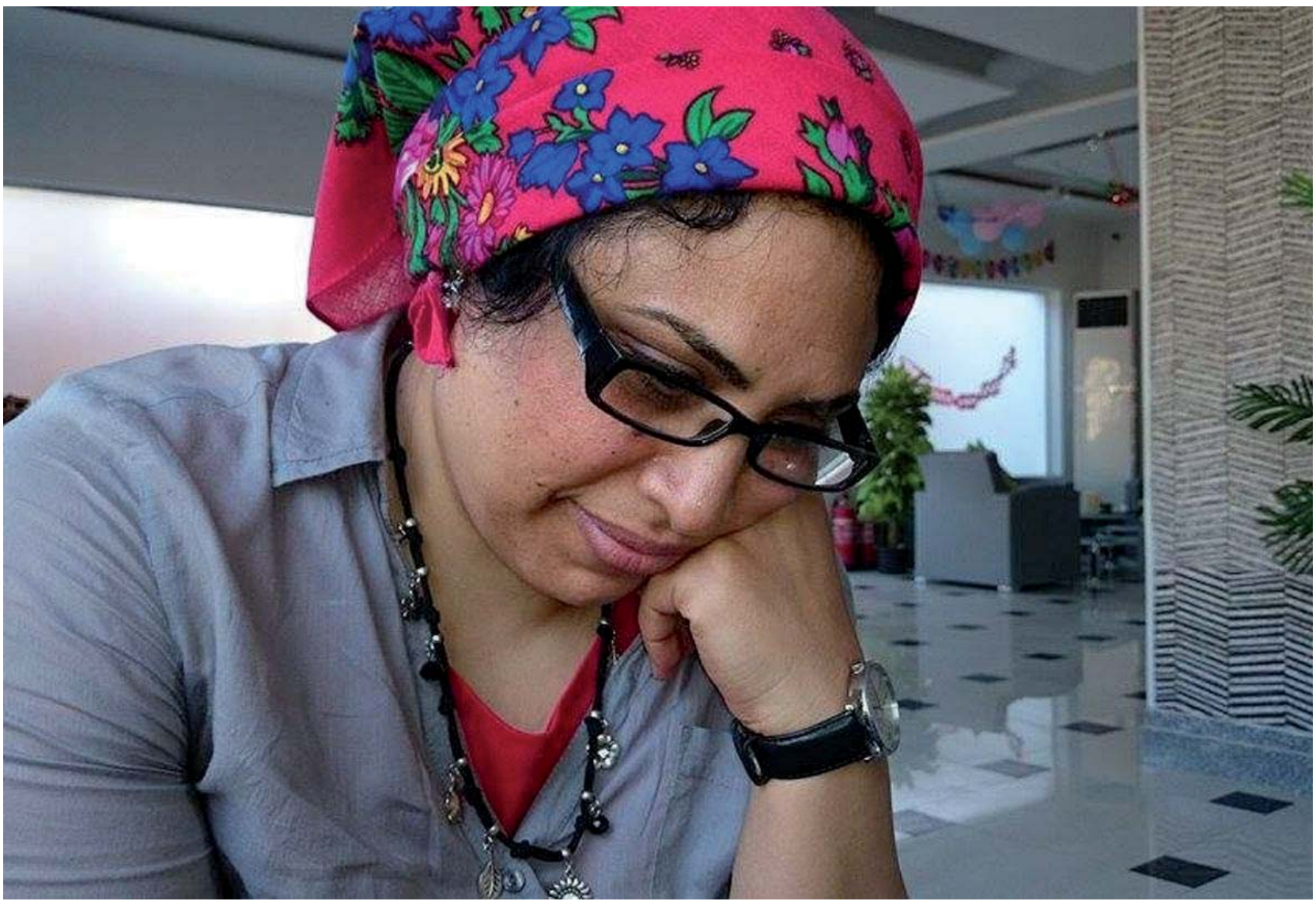

منى الشيمي.. روايتها تستلهم فكرة وقوام البحث العلمي

تتســاءل الناقدة فدوى مالطي دوجلاس، فــي كتابها الجديد "من التــراث إلى ما بعد الحداثة" عــن إمكانية إدراج الرواية تحت صيغة البحث العلمي. نظرا إلى ما لاحظته في الروايــة من اطراد الهوامش بعد الفصول. إشارة فدوي مالطي توحي بأنّ الروايــة وهي تطــرق موضوعاتها، التي هي مطروحة في الطرقات، ويعرفها العجمــي والعربي والبدوي والقروي كما أنبأنا الجاحظ من قبل في ســياق آخر، انشــغلت على الجانب الموازي بطرائق تشــكيلها، وهو ما جعل الرواية منفتحة ليست فقط على أنواع قريبة، وإنما أيضا على علوم ومعارف جديدة.

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

❑ يمكننــا اليوم أن نعيد طرح الســؤال من جديد، عن إمكانية إدراج الرواية تحت صيغة البحث العلمي، بعد قراءة رواية منى الشيمي "وطــن الجيــب الخلفــي" الصــادرة مؤخرًا. فالتــرددات التي لاحظتهــا دوجلاس من قبل حاضــرة هنــا، وبكثافــة، وإن زادت عليهــا بعض الخصائص الجديدة التي تشــدُّ النص بقوة إلى البحث المعرفــي. وإن كنّا نزيد: ما الغرض من وراء هذا؟

رواية ما بعد الحداثة

الجــواب بــكل بســاطة، يكمــن فــي هذه الحقيقــة، بــأن واحدة مــن تجليّــات الرواية الجديــدة، أو روايــة ما بعــد الحداثــة، أنّها تخلّت عن مفهوم الحكاية الكلاسيكيّة، وتبنّت صيغــة الرّوايــة المعرفيّة، فصــارت الرواية أشــبه بالبحث العلمي، بما يضيفه الروائي / الباحث (حيث تجلّت صفة الباحث في الروائي في بحثه وجمعه مادة روايته وتقصّيه أيضا) لنصه مــن قائمة بمصادره، وهوامش يشــرح فيها الغريب الوارد في متنه، فحفت الروايات بالمعلومــات العلمية كما شــاهدنا في "اســم الوردة" لأمبرتو إيكو، و"شــيفرة دافينشــي" لدان بــراون، خاصّــة بعدما اضطلــع بمهمّة الروايــة، محترفون وأحيانا علمــاء. فصارت الرّواية كما تقول لطيفة الدليمي أشبه بـ"مَعلم حضاري وثقافي تنهض به العقول الراقية في مختلف الاشتغالات المعرفية".

أهــمّ سمة مــن سمات الرواية مــا بعد الحداثية، إضافة إلى محافظتها على التشظي الزماني (أي رفــض الترتيب الزمني للحوادث وكسر خطية الزمن الكرونولوجي) والمكاني، هو تركيزها على الثيمات الصغرى. فانشغلت الروايــة بقضايا صغرى، كما هو متحقّق هنا، حيث تُولي الروائيّة عناية فائقة بقضية تهريب الآثار، التي تعدُّ واحدة من القضايا العصرية، ونتائجها المرعبة في طمس الهُويّات.

وأيضــا تنفتــح علــى روايــة التعدديــة الثقافية، بالانشغال بفكرة التسامح والتعددية الثقافية والحفاظ على موروثات الشعوب بما فيها البدائية وطقوسها الفلكلورية لما تحمله من خبرات وثقافة ثرية ومكتنزة، وهو ما نراه واضحــا في هذه المروية بمــا أبرزته الرواية المتفرعة عن الرواية الأصلية من تســامح كان ســائدا على الجزيرة في فتــرة ما قبل احتلال الفرس لها.

رواية منى الشيمي الجديدة "وطن الجيب الخلفــي" إذا طبّقنــا عليهــا توصيف فدوي مالطي دوجلاس، هي أشــبه بالبحث العلمي، فالنصّ مُدرج أســفله هوامش متنوّعة ما بين الإشــارة إلى تفسير معاني كلمات، وتوضيح حــوادث مُعيّنة خاصّــة وما متعلّقٌ بســرقة الآثار ونهب المتاحف بعد أحداث الثورة.

بل لم تكتفِ بهــذا، وإنما قدّمت في نهاية روايتها قائمةً بأسماء المراجع التي اعتمدت عليها فــي الجزء الخاص بالســيناريو الذي يقــوم بكتابته توم وليبــور. وقد تنوّعت هذه القائمة بيــن كتب آثار وكتــب تاريخ، عربية وأيضا أجنبية.

عــلاوة علــى مصــادر صحافيّــة خاصّة بتوثيق حوادث ســرقات الآثار في مصر بعد الثــورة، وآثار العراق أثنــاء الغزو الأميركي عام 2003، وصولا إلى الجرائم البشــعة التي تحــدُث الآن فــي ســوريا بعد دخــول داعش والتناحر الأيديولوجي على أراضيها.

كمــا تذيّل نهاية الروايــة بملحق تعريفي تحــت عنــوان "أســماء شــخصيات الدراما الوثائقيــة". تضطلــع فيه بشــرح وتفســير الأســماء، وأيضا توضح التسلســل الزمني لخروج الشخصيات إلى النص. وهذه أشياء لم نعهدها في الرواية إلا في حالات نادرة على نحو ما فعل محمد مستجاب في "من التاريخ الســري لنعمان عبدالحافظ "، وبالمثل أحمد إبراهيم الشــريف في روايته "موسم الكبك". يُضــاف إلــى هــذا التوثيق المرجعــي الذي يشــدّ النص إلى ســرد معرفيّ ثــريّ، يُضفي بُعــدا عميقا علــى النص. فتطــرد معلومات عــن ســيدات الأنقاض فــي ألمانيــا، والدور المهمّ الذي قُمنَ به، بعد دخول قوات الحلفاء واغتصــاب أكثــر من مليــون ســيدة وطفلة وتدميــر المصانع والمبانــي، وما إن تمّ منع الرجال تحت ســن الخمسين من العمل خوفا من أن يكون خروجهــم بداية المقاومة، حتى أخذت النساء على عاتقها مهمّة رفع الأنقاض، بل واعتبرن أدوات رفْع الركام أســلحة "وفي مدة لم تتجاوز التســعة أشهر، سقطَ خلالها الآلاف منهن ودُفن بعضهن أحياء، تم رفْع كل شيء، ليبدأن بناء البلاد من جديد!".

اللافــت أن مثل هذه النصوص تســتدعي قارئــا مُعيَّنا، ليس بالقارئ الهاوي (العادي)، وإنما القارئ المُشارك (وليس الطاغية). وهو ما يشــير إلى دلالة مهمة تفيد بأن غياب هذه الهوامش ســيفقد النص تواصله مع القارئ، وهــذه إحدى الحيل لربــط القارئ بالنص أي متفاعلا، وليس استحضاره كمرويّ عليه كما كان سابقا.

رواية داخل الرواية

يمكن اعتبار الرواية "رواية داخل رواية" فثمة حكايتان متداخلتان عبر خيوط ســردية وإن تبــدو خفيّــة، إلا أنها تنســلّ وتمتدّ في مرونــة بين الحكايتيْن، التــي يفصلهما زمن قديم طويل نســبيًا، يصل إلى القرن الخامس قبــل الميلاد، حيــث احتلال الفــرس لمصر، وتجلّــي رُوح المقاومــة لصدّ وطــرد المُحتل الفارسيّ.

قــد يبــدو الرّابط بيــن الحكايتيْــن، ماثلا في الثورة على الظلــم، ومقاومة الظالم بكافة أشكاله؛ كمحتــلّ أو حاكم فاســد، وأيضا في تناقض الحيــاة بين العالميْــن، فالحياة على الجزيرة بسيطة، قائمة على التسامح والتعاون والعشــق، في مقابل العالم الماديّ الذي يسود في أجواء الحكاية الثانيــة، فالإخوّة يحكمها إطار مــاديّ، وبالمثل علاقــات الحب والزواج تحكمها المادة تارةً والأنا تارة ثانية. ومن ثمّ الفشل في العلاقتيْن.

الحكاية الأولى تبــدأ بحكاية ناصر خبير الترميم، البطل الإشكالي بمفهوم لوسيان غولد مان، وهو يحكي حكايته بين زمانين مختلفين أيضــا، وإن كان أحدهما ماضيا قريبا والثاني بعيدا نســبيًا حيث يعود إلى طفولته وأسرته ووالده الــذي هجرهم، وهو ما راكم لديه عُقدة الأب. مرورا بدراســته وحكاية حبّه المجهض من هالة وأهلها الذين رفضوه لأنه فقير بعدما عجز عن إحضار الشبكة التي طلبوها منه، إلى تخرُّجه وجلوســه في طابــور العاطلين حتى أتيحت له فرصة عمــل عن طريق صديقه، بعد أحــداث زلزال عام 1992، حيث يطلب منه كتابة تقرير عن الآثار التي تضررت بالزلزال.

وهنا يبدأ طور جديد في حياة ناصر، بعد معرفته بالبعثــة الألمانيــة وكلاوديا ورالف. كما كان يتطوّر عجــزه، أمام كلاوديا ورفضها التواصــل مع أهله، وأيضًا أمــام المنظمة في ما تطلبه منه.

الحكاية الثانية التــي يُمرِّرها توم لناصر أثنــاء جلساتهما، لكتابــة ســيناريو الفيلم (الدوكودرامــا) المزمــع إخراجه عــن الجالية اليهودية، التي اســتوطنت جزيــرة "إلفنتين" في أســوان في القــرن الخامس ق.م. من خلال الاعتماد على مجموعة البرديات الآرامية.

يقــف توم الســيناريو على حالــة الجالية اليهودية قبل تشــتتها مــن الجزيرة، فيتوقف عنــد الحياة على هذه الجزيرة وعادات الزواج والبيع والشراء، والطقوس الدينيّة في الصلاة وغيرهــا، وكذلك الأعياد وتنوّعها وطقوســها المُصاحبــة لها، كعيــد الســكوت والطقوس التي تحدث، كالذبح والسعف المجدول والآس والصفصاف والطواف حول المذبح، وســكب الماء والتطهر، في اليوم الثامن، وأيضا ارتداء الكتان الأبيض.

فترصــد الرواية هذه التفاصيل الحياتيّة، وكأنّهــا وثيقــة حيّة عــن الماضــي، أو لوحة كرنفاليّة عن مظاهر الحياة والتعايش، وهو ما نعيش نقيضه الآن حيث الإقصاء والاستبعاد. كما تشــير إلــى المكائــد والدســائس، ووقوع اليهود للفرس، ثــمّ خيانة الفرس لهم، وصولاً إلى التوريث ومســاوئ الحكــم والثورة على الظلــم، وغيرها مــن أنماط حياتيّــة متنوّعة. فتتقاطــع الحكايــة القديمــة مــع الحكايــة الحديثة، في وقائع الحياة اليوميّة والعشــق، والإحساس بالظلم.

رف الكتب

تفتت اليسار الأميركي

❑ بعد كتاب "الإله الذي ولد ميتا" عن الدين والسياسة والغرب المعاصر، صدر للأمريكي لمارك ليلا أســتاذ علم الاجتمــاع بجامعة كولمبيا كتاب عنوانه "اليســار الهووي"، يفسر فيه هزيمة هيلاري كلينتون أمام دونالد ترامب بتشــظي اليســار إلى عدة تيــارات من لاتينييــن وأفارقة وخضر ومثلييــن منعت الحزب الديمقراطــي من إيجاد رؤية شــاملة عن البلاد بأســرها كان يمكن أن تجمع مواطنين من أصول مختلفة، للفوز بالانتخابات، وتلبية مطالب تلك الجماعات الهووية. وفــي رأيــه أن اليســار الأميركي ترك الإقناع الديمقراطي لينخرط في الإدانة العلنية المتعالية، والجدل العقيم حول الجندرة والحرية الجنســية والمسائل العرقيــة، فوقــع في فخ نصبه لنفســه ولــم يســتفد منه غيــر اليميــن، الذي يحســن اســتغلال الخلافــات. يقــول الكاتب: "بعد صــراع الطبقات، وغواية التمرد المســلح، والحلم الرومانســي بالعالم ثالثية، وأمام تحديات العولمة، حان الوقت كي يعيد اليســار اكتشاف فضائل التضامن الجمهوري."

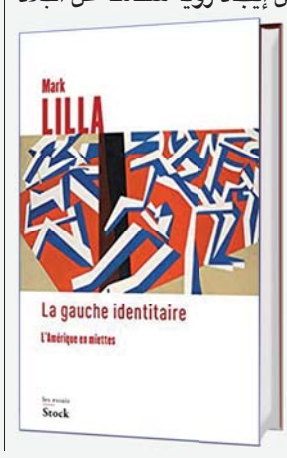

نظرة شاملة لتاريخ الإنسانية عبر الآثار

❑ مــن خلال مقاربــة أنثروبولوجيــة وتاريخية للأركيولوجيا، يقــدم كتاب "تاريخ للحضارات" حصيلة للمعرفة الراهنة عن الأصول والتطور المادي للمجتمعات، منذ أقــدم العصور إلى الآن، بغــرض وضع كل حضارة في إطارهــا عبر خصوصياتها الاجتماعيــة والثقافية. في هذا الكتاب الذي أشــرف عليه جان بول ديمول أســتاذ التاريخ الأوائلي في السوربون، ودومنيك غارسيا أستاذ علم الآثار في جامعة إيكس مرســيليا، وألان شــناب أســتاذ الأركيولوجيا اليونانيــة في الســوربون، الذي يعــد من أهم العارفين بتاريخ الآثار فــي العالم، تركيز على الثــورة الهادئة التــي غيرت معرفتنــا بتاريخ البشــرية منذ الثمانينات، بفضل المستحدثات التكنولوجيــة وتطور منهجية علم الآثار، حيث تم اكتشاف جوانب هامة من ذلك التاريخ كانت مجهولة. ولكن رغم تعدد المنشــورات العلمية في هذا المجال، ظلت تفتقر إلى نظرة شــمولية تقربها من غيــر المتخصصين، وهو ما حرص الكتاب على الاشتغال عليه، فقد تضافرت جهود مجموعة من العلماء لصياغة رؤية شاملة تعرّف بالمغامرة الإنسانية منذ بدء الخليقة، وتغطي مجمل العصور في شــتى القارات، لا تســتثني حتى المجتمعات التي لم تعرف الكتابة.

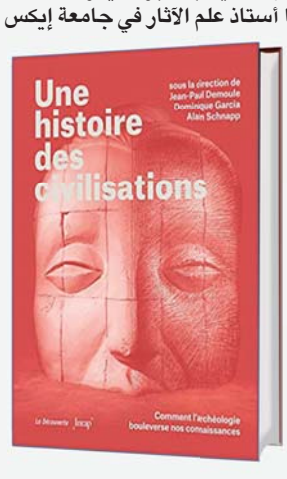

جنون الفلسفة

❑ في كتابه "الفلسفة جُنّت" يتوقف جان فرنسوا برونشتاين أستاذ الفلسفة المعاصرة بالسوربون عند ثلاث مسائل مثيرة للجدل هي الجندر، وحقوق الحيوان، والموت الرحيــم، تحظى باهتمام ثلاث مواد في رحاب الجامعة هي دراســات الجندر، ودراســات الحيوان، والبيو إيثيقا. بيد أننا عندما نقرأ نصوص مؤسسي تلك المواد أمثال جون موني، وجوذيث بتلر، وبيتر سنغر، ودونا هاراوي وآخرين، نكتشف أن خلف النوايــا الطيبة عواقب عبثية بــل وضيعة. يقول الكاتــب: إن لم يكن الجندر مرتبطــا بالجنس، فلم لا نغيره كل صباح؟ وإن كان الجســد في خدمة وعينا، فلم لا نغيره على الدوام؟ وإن لم يكن ثمة فرق بين الحيوانات والبشــر، فلــم لا نجــري تجاربنــا العلمية على البشر بدل الحيوان؟ ولم لا نقيم علاقات جنسية مع حيواناتنا الأليفة؟ وإن كانت ثمة حيــوات جديرة بأن تعاش وأخرى لا، فلم لا نتخلص مــن "المعوقين" بمن فيهــم الأطفال "المرضــى"؟ ولم لا نؤمم أعضــاء الذيــن هــم في عــداد الموتى ونعطيها لبشر واعدين؟

النزعة التجريبية في الكتابة السينمائية بالمغرب

السينما ليست وسيطا لقص الحكايات بل لتوليد الأفكار

بعد أن اغتنت الفيلموغرافيا المغربية بمنجز سينمائي يفوق الثلاثمئة شريط روائي طويل، وحققت بذلك تراكما كمّيا ملحوظا، صار بالإمكان تصنيف هذا المنجز ضمن اتجاهات فنية تحدد على وجه التقريب الخطوط الكبرى لنزعات السينمائيين المغاربة الفكرية وتوجهاتهم الجمالية. وفي هذا الإطار بدا لنا أن المنجز السينمائي المغربي الطويل لا يخرج في أحسن الأحوال عن توجهات ثلاثة: توجه تقليدي يعطي الأولوية للحكاية ويعتني بالمتلقي ويسعى للاستجابة إلى أفق انتظاره، وتوجه حداثي يحتفي بالحكي وما يتصل به من تجريب على مستوى وسائل التعبير وأشكاله، وتوجه توفيقي يوزع اهتمامه بين الحكاية والحكي ويسعى إلى تحقيق معادلة الإبداع والتلقي في آن معا.

بوشعيب الخياطي
باحث سينمائي من المغرب

❑ بخلاف التوجه التقليدي، سعى التجريبيون المغاربة -وهم يصنعون أعمالهم السينمائية- إلى الاحتفاء بعملية الحكي، باعتبارها المدخل الرئيسي للكشف والتجريب والبحث. فوجهوا اهتمامهم نحو الصورة وتعاملوا معها باعتبارها بلاغة تثوي بداخلها دلالات الفيلم وإيحاءاته. فالمعنى في هذا التوجه غامض وملتبس ولا نهائي، ينبغي على المشاهد الحفر في أخاديد الصورة من أجل تلمس بعض من إشراقاته. لذلك يأتي الفيلم مكسوًا بالعلامات العميقة، محتشدا بالرموز المستغلقة، مزدحما بالرؤى المتنافرة، موغلا في الخيال، مغرقا في الذاتية. وبالتالي فإن صانعه لا يعبأ كثيرا بالحكاية، بل ينسفها نسفا، ويعوضها بشذرات تحيل على عوالم يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي، والخيالي بالواقعي، والماضي بالحاضر.

ويدين الفيلم الذي ينحو هذا المنحى بالولاء إلى فلسفة ترى أن السينما ليست وسيطا لقص الحكايات، وإنما هي وسيط لتوليد الأفكار، وبالتالي فإن المخرجين السينمائيين ليسوا فنانين عاديين، بل هم مفكرون عظام، تقتضي مرتبتهم أن يعملوا على تقويض أركان أنماط الإنتاج الفني المألوفة والمتداولة والمبتذلة، التي تتوافق مع النشاطات الحسية والحركية، وأن يبتدعوا عالما إشاريا طازجا خاصا بهم، حتى يتمكنوا من التعبير عن رؤاهم المتفردة.

ومن معالم هذا العالم، التعامل مع الفيلم باعتباره استشرافا وتأملا، يستثير الأسئلة في ذهن المشاهد، أكثر مما يقدم إجابات، أو يروّج لأطروحات، بل قد لا يهتم بالجمهور إطلاقا، لأنه لا يلقي بالا للقضايا التي من الممكن أن تشغله. فالفيلم الذي يدين بالولاء لهذا التوجه، لا يحكي قصة مترابطة الوحدات، بل يشكك في وجودها، ولا يعتبرها إطلاقا وسيلة من الوسائل التي بإمكانها أن تحقق الغاية المرجوة، إنه يتحاشاها، ويستكشف جوانب جمالية لا علاقة لها بالحكاية، كما أنه يبدو بمثابة الحلم الذي يصوغ الجمال من القبح، ويحول المأساة إلى جمال. لذلك فالقضايا الأخلاقية لا تهمه، وإنما الذي يؤرقه هو توجيه انتباه المشاهد إلى العناصر التي تضمن للفيلم سينمائيته، كما أنه يحرص أحيانا على تقديم تجربة جمالية تحطم حرمات الجمهور وتنتهك مقدساته.

ومن الملامح الفنية والجمالية لهذه السينما، التباطؤ في السرد، والتطويل في عرض الصورة، وتجزئة السرد التتابعي بالتركيز على استقلالية الصورة، واستخدام اللقطات غير المنسابة التي تترك للمشاهد مجالا كبيرا للتأمل في الصورة، واعتماد صور سريعة ومفككة وصادمة، وتوظيف طرق ملتوية في السرد من خلال التلاعب بالأزمنة بغية اللعب على توقعات المشاهد، وخرق الأسلوب التقليدي في تأطير اللقطات، وزوايا التقاط الصورة، إضافة إلى العزوف عن استخدام المونتاج التتابعي بغاية تخريب توقعات المشاهد، وتكسير الاستمرارية الزمنية، واللجوء إلى المونتاج الإيقاعي حيث الأولوية لا تنبع من منطقية التتابع، وإنما من إيقاع الفيلم، والزمن الذي استغرقته اللقطات طولا وقصرا، أو تقنية القطع المونتاجي، حيث يتم تقطيع الصورة مونتاجيا إلى العديد من اللقطات، ثم إعادة تركيبها من جديد. فهذه السينما ترنو للوصول إلى أفق جمالي في شكلها، وذلك عبر تقديم بنية درامية مضادة للدراما التقليدية، وتفكيك السرد، وتشويه قواعد التكوين داخل اللقطة، وكسر قواعد المونتاج، وإلغاء علاقة التعاطف بين المتفرج وأحداث وشخصيات الفيلم.

ويمكن في هذا المقام الإشارة إلى الموجة الفرنسية الجديدة التي استحدثت لغة سينمائية، مفرداتها من الصور واللقطات، يستخدمها السينمائي كما يستخدم الأديب والشاعر مفردات اللغة، يصوغ بها الرواية أو المقال أو القصيد، وبذلك أصبح بإمكان السينمائي أن يعبّر عن وجهة نظره الفنية والإنسانية بالكاميرا. فالفن ليس عظة أو مواعظ تقدم للمتلقي، وإنما هو إحساس يقدمه السينمائي، ويترك للآخر حرية الاستجابة، منطلقا من حجم الوعي الجمالي والفكري في ذات المتلقي. كما راهن هذا النوع من السينما على استحداث وسائل تعبير جديدة، من قبيل التصوير عبر لقطات مختلفة الأحجام والزوايا، ومن ثم تركيب هذه اللقطات على نحو جديد باستخدام المونتاج، وكذلك بناء الحدث على نحو متواز بما يطور من إمكانات السرد السينمائي، واستخدام الحلول البصرية القائمة على الخدع السينمائية. كما تحولت السينما مع هذه النزعة إلى خطاب مدثر بالمجاز والاستعارة والخيال، قابل لعدد لا متناه من القراءات والتأويلات، نظرا لما أحدثه من خلل في مسار الحدث السينمائي.

ويمكن القول -دون مجازفة- إن مجمل المتن السينمائي السبعيني -على قلته- كان تجريبيا، ما عدا بعض الاستثناءات القليلة. فمعظم السينمائيين المغاربة الذين أنجزوا أعمالهم الأولى خلال هذه الحقبة، كانوا منبهرين بالاتجاهات الطليعية التي عرفتها السينما الأوروبية خلال فترة الستينات من القرن الماضي في فرنسا وإيطاليا وبولونيا. ونشير في هذا المجال إلى فيلم أحداث دون دلالة لمصطفى الدرقاوي، وفيلم الشركي أو الصمت العنيف لمومن السميحي، وفيلم جرحة في الحائط للجيلالي فرحاتي، وفيلم القنفودي لنبيل لحلو.

وانتقلت النزعة التجريبية في صنع الأفلام المغربية إلى المرحلة الثمانينية مع استمرار الدرقاوي والسميحي ولحلو في نهجهم السابق. فقد وقع الدرقاوي أيام شهرزاد الجميلة، وعنوان مؤقت، ووقع السميحي 44 أو أسطورة الليل، وقفطان الحب، ووقع لحلو الحاكم العام لجزيرة شاكرباكربن وكوماني وإبراهيم ياش. كما برزت في هذه المرحلة أسماء أخرى استهواها التجريب ومفارقة النمط السائد، كمحمد أبي الوقار من خلال فيلم حادة الذي اعتبر في حينه لوحة فنية جميلة حازت رضى العديد من النقاد والسينمائيين، لكنها لم تستطع في المقابل استقطاب جمهور المشاهدين. وأحمد البوعناني من خلال فيلم السراب، وأحمد ياشفين من خلال فيلم كابوس.

وستواصل النزعة التجريبية رحلتها في الزمن السينمائي المغربي خلال تسعينات القرن الماضي، وسيواصل معها الدرقاوي والسميحي نهجهما السينمائي، الأول من خلال فيلم قصة أولى، وفيلم أنا الماضي، وفيلم أبواب الليل السبعة، والثاني من خلال فيلم حكايات مغربية. كما سيوقع -وفي نفس المنحى- التيجاني الشريكي فيلمه الأول إيمير أو الأشواك المزهرة، وداود أولاد السيد فيلم باي باي السويرتي.

وسينضم إلى القافلة التجريبية في العقد الأول من القرن الحالي وبداية العقد الثاني من القرن نفسه عمر الشريبي من خلال فيلمه السر المطروز، وحكيم بلعباس من خلال أفلامه خيط الروح، وأشلاء، ومحاولة فاشلة لتعريف الحب، ونورالدين لخماري من خلال فيلمه النظرة، وإدريس شويكة من خلال فيلمه لعبة الحب، ولحسن زينون من خلال فيلميه عود الورد وموشومة، ومحمد مفتكر من خلال فيلمه البراق، ومحمد أشاور من خلال أفلامه جوع فيلم، وهشام العسري من خلال أفلامه جوع كلبك، والبحر من ورائكم، وضربة في الراس.

وعلى الرغم من انتماء هذه الأفلام إلى النزعة التجريبية، فإنها تختلف في بعض التفصيلات، فالبعض منها حاول أن يبقي على خيط رفيع بينه وبين الحكاية، إلا أنه جعلها وسيلة لمراكمة أكبر عدد من الرموز والإيحاءات (قفطان الحب لمومن السميحي، وجوع كلبك لهشام العسري) والبعض الآخر غاص في عالم الأحلام وصنع كونا عبثيا وفق أسلوب ساخر وهجائي (القنفودي، وإبراهيم ياش لنبيل لحلو) والفريق الثالث أغرقه الصورة فرسم لوحة تشكيلية تجريدية جميلة محصّنة بالسلاسل والأقفال (حادة لمحمد أبي الوقار، وإمير للتجاني الشريكي).

إن معظم هذه الأفلام قد جعل من الكفر بالتواصل مبدأ أثيرا لديه، لذلك ظل معزولا عن الجماهير، إذ لم تتح له فرصة التوزيع داخل القاعات السينمائية، ما عدا بعض الاستثناءات القليلة كفيلم قفطان الحب لمومن السميحي. وهناك من صادفه الحظ فعرض في بعض الملتقيات السينمائية كجوع كلبك لهشام العسري وحادة لمحمد أبي الوقار، وهناك من مرّ على حين غفلة في التلفزيون المغربي كالقنفودي لنبيل لحلو، وهناك من نال رضا الجامعة الوطنية للأندية السينمائية فوزعته على روادها كفيلم عنوان مؤقت لمصطفى الدرقاوي.

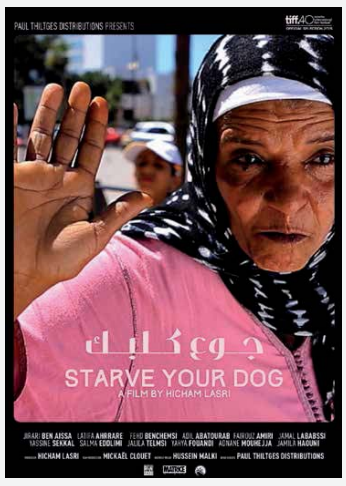

في جوع كلبك إيهام للمشاهد أيضا بأن الفيلم يقوم على قصة مرتبطة بوزير الداخلية المغربي السابق إدريس البصري

وإذا كان بعض من هذه الأفلام قد نال إعجاب النقاد السينمائيين والنخبة المثقفة ورواد الأندية السينمائية، فإنه لم يظفر بالأمر نفسه مع جمهور المشاهدين الذين استثقلوا متابعته، نظرا لبنيته المفككة، وإفراطه في الغموض، وعرضه لعوالم غريبة، وتكسيره لقواعد الحكي المتعارف عليها، وتشييده لبلاغة سينمائية غير معتادة. وهنا يطرح إشكال التلقي مرة أخرى بصدد هذه النوعية من الأفلام. ففي غياب تفكير استراتيجي يجعل من الصورة مكوّنا من مكونات الفعل التعليمي بجميع أطواره ومراحله، سيبقى المشاهد ضحية لنمط واحد من التلقي رسخته الألفة في وجدانه، وكرسته العادة في مخيلته.

نماذج متعددة لأسلوبية واحدة

يحفل "الريبرتوار" السينمائي المغربي بمجموعة من النماذج الفيلمية التي جسدت بوضوح المنحى التجريبي في الكتابة السينمائية، وكشفت في غاية من الجلاء عناصره ومكوناته، ويمكن أن نذكر في هذا الإطار فيلم السراب لأحمد البوعناني، وفيلم جوع كلبك لهشام العسري، وفيلم محاولة فاشلة لتعريف الحب لحكيم بلعباس.

ففي السراب محاولة لإيهام المشاهد بأن الفيلم مبني على قصة مستلهمة من واقع الناس، ويتعلق الأمر برجل بدوي فقير معدم، عثر بالصدفة على قدر وفير من المال داخل كيس من الدقيق، الأمر الذي سيفجّر بداخله طاقة هائلة من الحلم، ستتكسر في آخر المطاف على عتبات الواقع المحكوم بإرادة فوقية، لا سلطة للمغلوبين والمقهورين عليها، ولا مشاركة لهم في صنعها. هو إيهام إذن لأن هذه الحكاية لم تكن هي قوام الفيلم ولا أساسه، بل كانت فقط مطيّة لحفز المشاهد على التفكير والتأمل في جملة من القضايا التي حبل بها السياق الذي كان يحف المرحلة التاريخية المؤطرة للحكاية، كالقهر الاجتماعي والنفسي، والانشداد إلى الموروثات المتأصلة في الوجدانين الفردي والجماعي، والاحتفاء بالعقل والعقلانية والتحديث والحداثة. ومما يدعم التعامل مع الحكاية بوصفها سندا لا غاية، الانصراف عن السرد الكرونولوجي، والتركيز على المشاهد البصرية المحمّلة بالدلالات والرموز، والاحتفاء بالكلمة الشعرية المشحونة بالإيحاءات والمجازات، واستلهام الفنون الشعبية المتجذّرة عميقا داخل النسيج الثقافي المغربي، والتي تشكل خزانا لا ينضب من الرؤى والأحلام والتعبيرات، إضافة إلى شحن الفيلم برؤية يمتزج فيها النقد اللاذع بالحس العبثي الغرائبي.

وفي جوع كلبك إيهام للمشاهد أيضا بأن الفيلم يقوم على قصة مرتبطة بوزير الداخلية المغربي السابق إدريس البصري، لكن المتأمل المتأني في الفيلم يدرك أن هشام العسري لا يعبأ إطلاقا بالحكاية، بل إنه يتخذها فقط وسيلة لنسج عالم تخييلي، يفتح من خلاله النار على فترة عصيبة من الفترات التي عاشها المغاربة إبان أن كان البصري وزيرا للداخلية. لكن العسري وهو يفتح نار مدفعيته، لم يستعمل سلاح الخطابة والوعظ والإرشاد والسرد التقليدي، بل فعل ذلك وفق أسلوب سينمائي لعبت فيه الصورة الدور الأول والأخير. كاميرا محمولة على اليد، وصورة تكاد تكون في حكم المضببة، وتوضيب متلاحق سريع زاحف، ومؤثرات صوتية صاخبة تملأ فضاء الشاشة ضجيجا، هذا بالإضافة إلى استلهام تقنيات لا سينمائية وافدة من جنس الصحافة، ويتعلق الأمر بتقنية الروبورتاج. أما الحوار فإن جنوحه نحو الالتباس والغموض، وتكسيره لأحادية المقصد قد زاده عمقا وبلاغة وقدرة على حفز المشاهد على التأمل والتفكير.

وفي فيلم محاولة فاشلة لتعريف الحب، سيعتمد حكيم بلعباس أسطورة بحيرة أسلي وتيسلت إطارا عاما لبناء حكيه السينمائي. وتروي هذه الأسطورة حكاية حبيبين استعصى أمر زواجهما لظروف قاهرة عاتية تجاوزت قدرتهما على التصدي والمواجهة، فلم يجدا سبيلا للتخفيف من وطأة ما لقياه، والتعبير عن همها وحزنهما غير الاستمرار في عملية البكاء، فامتلأت بدموعهما بحيرة أسلي وتيسلت. فاستحضار بلعباس لأجواء هذه الأسطورة لم يكن الهدف من ورائه تقديم حكاية تستلهم الخط السردي الناظم لبنية هذه الأسطورة.

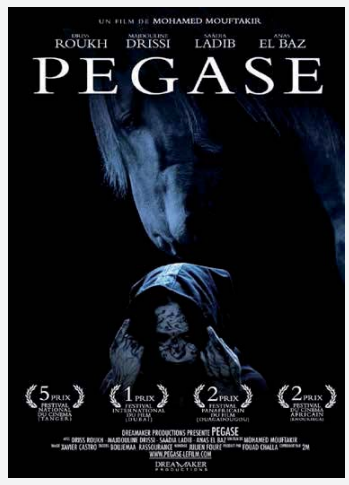

بخلاف التوجه التقليدي، سعى التجريبيون المغاربة -وهم يصنعون أعمالهم السينمائية- إلى الاحتفاء بعملية الحكي، باعتبارها المدخل الرئيسي للكشف والتجريب والبحث

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة الجديد نص كاملا على الموقع الإلكتروني

الطاهر بن جلون: أكتب معانداً القدر

العربي كائن مضطهد ولا بد من حل جذري لأسباب الهجرة

الطاهر بن جلون روائي وشاعر ومفكر مغربي يقيم في فرنسا ويكتب بلغتها عن قضايا العرب والمسلمين في بلدانهم وفي أوروبا، وفي رحلاتهم وهجراتهم المحفوفة بالموت والعنصرية والضياع. قبل ثلاثين سنة من اليوم، تُوج مبدع رواية "ليلة القدر" بجائزة غونكور الرفيعة، التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية، مثلما توج بجوائز أخريات، منها جائزة إيمباك الأدبية سنة 2000، وجائزة دبلن للآداب سنة 2004، وجائزة إيريك ماريا ريمارك للسلام سنة 2011... كما ترجمت أعماله إلى 47 لغة. بينما يبقى هذا الكاتب العربي المثير للجدل من أكثر كتاب الرأي متابعة من لدن القراء في الصحف الأوروبية، مثل "لوموند" و"لاريبوبليكا" و"لافانغواردیا"...

هنا في شاطئ أشقار بطنجة المغربية، تحت شمس غشت الحارقة... وقبل الوصول إلى مقر إقامة الطاهر بن جلون، الذي يتردد على المدينة في فصل الصيف، أصر كل شيء على أن يذكرنا بعوالم هذا الروائي العالمي. عشرات المهاجرين الأفارقة التحقوا بنا في سيارة الأجرة بعد فشل محاولة أخرى من محاولات الهجرة السرية نحو إسبانيا. ركب ثلاثة منهم إلى جانبنا، وهم يحكون بمرارة إحباط محاولتهم في هذا الصباح الطري. بينما خاطبنا أحدهم بحسرة كبيرة: الهجرة السرية مغامرة تعرض حياتنا للخطر. ولكن، هنا نحن نفشل حتى في الموت!".

مخلص الصغير
كاتب من المغرب

■ الجديد: وصلتُ للتو، رفقة مهاجرين أفارقة لم يتمكنوا من الهجرة نحو إسبانيا، فعادوا أدراجهم نحو طنجة. أما راديو الطاكسي، فكان ينقل خبر موافقة الرئيس الفرنسي على استقبال 50 مهاجرا من أصل 141 إفريقيا نزلوا في ميناء مالطة، في ما يعرف بكارثة "أكواريوس"، حيث رفضت إيطاليا استقبالهم، وتقاسمتهم دول فرنسا وإسبانيا والبرتغال ولوكسمبورغ وألمانيا. إلى متى ستظل أوروبا تتقاسم هؤلاء الأفارقة والعرب المهاجرين واللاجئين النازحين؟

● **الطاهر بن جلون: لا يكمن المشكل في دول الاستقبال وحدها، مثل فرنسا وغيرها، بل يكمن، أيضا، في تلك الدول التي ينطلق منها المهاجرون الأفارقة وسواهم، وهي الدول التي تكابد أوضاعا اقتصادية قاسية.**

صحيح أن ثمة دولا أفريقية تتوفر على إمكانيات مهمة، على غرار نيجيريا والغابون والجزائر، لكن كل هذه الدول لا تعبأ بمواطنيها، ولا تعتمد سياسة لضمان عمل وعيش كريم، كيما يقتنع هؤلاء بالاستقرار في بلدانهم، دون التفكير في مغامرة الهجرة نحو أوروبا، تلك المغامرة المحفوفة بالموت دائما، كما قلت في سؤالك، انطلاقا من الشهادة البليغة لذلك المهاجر الأفريقي.

أما بالنسبة إلى فرنسا، مثلا، وكما قال ميشيل روكار، رئيس الوزراء الفرنسي في عهد فرانسوا ميتران، فإنها "لا تستطيع استقبال كل مآسي العالم، ولكنها تتحمل مسؤولية تجاه هذه المأساة".

لذلك، وجب على فرنسا أن تساهم في مواجهة هذه الظاهرة بما أوتيت من إمكانيات وقدرات.

اليوم، ما عادت ظاهرة الهجرة تقتصر على الدول الأفريقية. فالحرب في سوريا، وقبلها الحرب في العراق، إلى جانب الحروب الأهلية في الدول الأفريقية، أرغمت الكثير من الناس على الهروب نحو أوروبا فرارا من الاعتقالات وجرائم الحرب التي لا تضع أوزارها أبدا.

في هذا السياق علينا أن نفرق بين المهاجر الذي يفر من بلده لظروف اقتصادية، حيث لا عمل ولا أمل في حياة كريمة، وبين اللاجئ الذي يهرب من دكتاتورية إجرامية قمعية، ومن حرب ضروس. لكن الأمور تشابهت علينا اليوم، وغدونا نلفي لاجئين سوريين وعراقيين إلى جانب مهاجرين أفارقة على متن الباخرة الواحدة، وقارب الموت نفسه. وحين تختلط الأمور إلى هذا الحد، فإنه من الصعب إيجاد حل للمأساة والفجيعة.

■ الجديد: في روايتك "رحيل" Partir، يتساءل أحد أبطال الرواية "ما سبب هذا الهوس بمغادرة المغرب؟ ما سبب هذه الفكرة؟ ما سبب إلحاحها؟"، فرغم أن أوروبا باتت تعيش أزمات اقتصادية ومالية منذ ما يزيد عن عشر سنوات، لا يزال المغاربة والعرب يحلمون بالهجرة إلى أوروبا. ما سبب هذا الحلم الذي كثيرا ما يتحول إلى كابوس على متن قوارب الموت، ويصير هروبا من الموت نحو الموت؟

> كثيرا ما اتهمت من قبل البعض بأنني كنت مساندا لنظام الحسن الثاني، وكانوا يزعمون يوما أنني مقرب من القصر. وهذا كله إنما كان كذبا وبهتانا كبيرا، بينما بقيت أتعالى عن هذه الاتهامات المغرضة والدنيئة

● **الطاهر بن جلون: كان المغرب ولا يزال أول بلد يقاسي هذه الظاهرة بشكل يومي (يشير إلى البحر). لأجل ذلك، على كل الدول المعنية بموجات الهجرة والنزوح أن تتحمل مسؤوليتها لوقف هذا النزيف. ولا بد من حل جذري ونهائي للظاهرة. ولي اليقين في أنه لا أحد يمكن أن يكون سعيدا في المهجر، مهما تكن المغريات.**

اليوم لم تعد الأسباب التي تقف وراء ظاهرة الهجرة أسبابا اقتصادية فحسب، بل صارت ثمة أبعاد سياسية، خاصة مع تراجيديات اللاجئين النازحين من سوريا وباقي الدول العربية في عرض البحر المتوسط. وللولايات المتحدة الأميركية مسؤولية راسخة، ما دامت هي المسؤولة عن تخريب العراق، حين قامت بتدمير هذا البلد شعبا وحضارة وذاكرة، ووفرت الشروط الجهنمية لنمو الإرهاب وقيام ما يسمى "دولة إسلامية"، لم تكن إلا نتيجة للسياسة الأميركية الإجرامية في العراق في بداية الألفية الحالية. لذلك، ما زلت أطالب، من زمان، بضرورة محاكمة الرئيس الأميركي جورج بوش محاكمة جنائية عالمية، على غرار محاكمة الرئيس اليوغسلافي سلوبودان ميلوسوفيتش، لأنه أباد الشعب العراقي، بناء على أسباب مغرضة، واتهامات كاذبة، وادعاءات واهية، دون العودة إلى الأمم المتحدة وقراراتها.

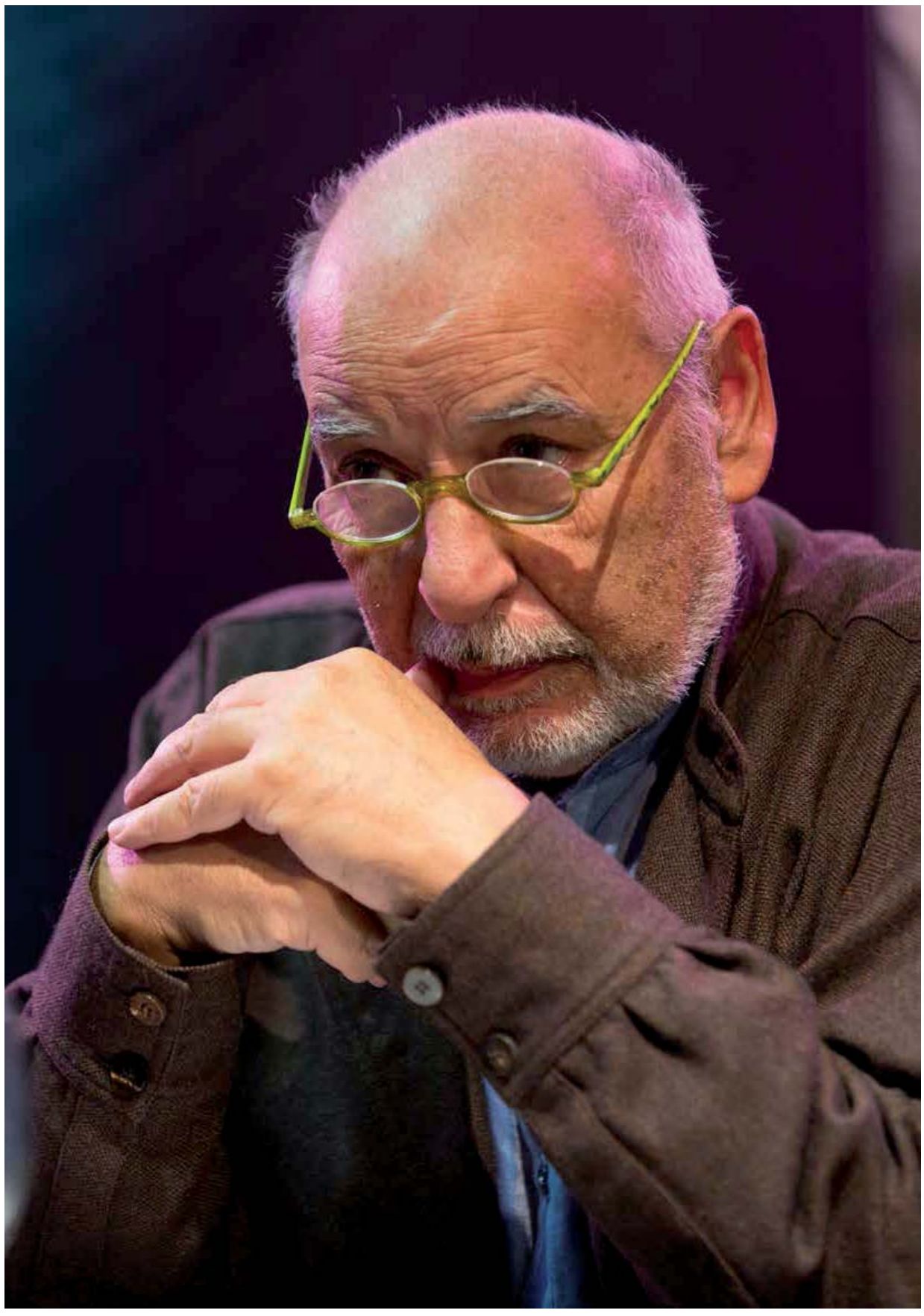

الطاهر بن جلون: الكاتب الذي لا يتحدث إلا عن نفسه شخص فقير

السجن والذاكرة

■ الجديد: بعد نصف قرن على اعتقالك سنة 1966، إثر مظاهرة طلابية في الدار البيضاء، أصدرت مؤخرا محكيات بعنوان "العقاب" La punition. لماذا انتظرت كل هذا الوقت لتدون تجربتك السجنية، وإن كنت كتبت من قبل رواية في أدب السجون بعنوان "تلك العتمة الباهرة" Cette aveuglante absence de lumière عن سجن تازمامارت. وثمة فصل صريح في روايتك "الكاتب العمومي" عن تجربة الاعتقال؟ كيف استطعت الاحتفاظ بآلام تلك المرحلة وتفاصيل هذه التجربة إلى اليوم؟

● **الطاهر بن جلون: مبدئيا، لم تكن هنالك خطة لكي أحكي هذه الفترة العصية والتجربة الحدية من حياتي؛ مرحلة تعرضت فيها لعنف وتعسف وتعذيب، لأن الدولة كانت خائفة يومها من كل المطالب وكل الحركات الاحتجاجية.**

نتحدث هنا عما يعرف بسنوات الرصاص في المغرب. كنا نظمنا تظاهرات في مدينة الدار البيضاء احتجاجا على أوضاع التعليم في البلاد، فتعرضنا لعنف دموي، وتم اعتقالي إلى جانب مجموعة من الطلبة، بحكم انتمائنا إلى الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، وجرى اعتقالي بدعوى أنني العقل المدبر لتلك المظاهرات السلمية.

بالنسبة إلي شخصيا، كثيرا ما اتهمت من قبل البعض بأنني كنت مساندا لنظام الحسن الثاني، وكانوا يزعمون يومها أنني مقرب من القصر.

وهذا كله إنما كان كذبا وبهتانا كبيرا، بينما بقيت أتعالى عن هذه الاتهامات المغرضة والدنيئة، ولم أرد أن أثبت لأحد أنني كنت مناضلا معارضا للنظام، لأنني أثق في نفسي ولا أزايد بأية تضحية من أجل بلدي. الآن، جاء الوقت لكي أحكي هذه القصة، لأنها قصة مهمة من تاريخ المغرب.

ذلك لأن الجيوش الضباط الذين عذبونا في الثكنة العسكرية "هرمومو"، واعتقلونا هنالك، هم أنفسهم الضباط الذين قاموا بالمحاولة الانقلابية الفاشلة على النظام المغربي سنة 1971، المعروف بانقلاب الصخيرات. لقد تعرضنا لمختلف أشكال التعذيب والإهانة والمس بالكرامة على أيدي هؤلاء، فقط لأننا كنا طلبة نطالب بتعميم التعليم على المغاربة، وننادي بالعيش الكريم. تصوروا معي لو نجح الانقلاب وحكم هؤلاء المغرب، يقينا كانوا سيقضون على البلاد بشكل نهائي، لأنهم كانوا عسكريين فاشستيين ومرتزقة.

■ الجديد: كذلك، أمكن القول إن رواية الطاهر بن جلون هي رواية الذاكرة. وأنت تشير إلى هذا في مقدمة روايتك "ليلة القدر" La Nuit Sacrée. وفي رواية "في البلد" au pays، وأعمال أخرى، حيث لا يحتاج الكاتب إلى خيال فقط، بل لا بد من ذاكرة قوية لكي يكتب؟

● **الطاهر بن جلون: نعم، لنقل إن الكتابة تحتاج إلى واقع وخيال معا. وإذا نحن حكينا الواقع من دون خيال فسيبدو كلاما بسيطا ومباشرا، عبارة عن تقرير بوليسي فقط. لكن، عندما تأخذ واقعا يوميا وتدمجه في لعبة الخيال يمكن أن تمس القارئ مباشرة وأن تثيره أكثر مما يثيره الواقع.**

للرواية قدرة على معرفة روح الشعوب، وإذا أنت أردت أن تتعرف إلى روح المجتمع المصري ما عليك إلا أن تقرأ نجيب محفوظ، وإن أردت أن تقوم بزيارة إلى كولومبيا، أمكن لك أن تجعل من روايات غابرييل غارسيا ماركيز أفضل دليل سياحي. صحيح أن الكاتب شاهد على الواقع، غير أن خيال الكاتب هو الذي يمنح هذه الشهادة صدقها الإنساني وعمقها الفني. إن حياتنا محكومة بالنقص دائما، والخيال هو من يملأ تلك الفراغات. كما أن ذاكرتنا لا تسعفنا في استعادة كل شيء، فلا بد من خيال لاسترجاع ما يضيع وينفلت منا بفعل الزمن. كما أن للخيال قدرة على تجاوز هذا الواقع الناقص، لنصير أحيانا أمام عالم فوق واقعي، أو سوريالي، على الأصح. ونحن المغاربة، مثلا، لنا خيال ثر، ونمتلك قدرة خارقة وفائقة على تأويل الأشياء. فإذا ما وقع حدث معين تجد كل واحد منا يقدم روايته الخاصة، ويضفي عليها مسحة من الغرائبية، ويضيف إلى الحدث تفاصيل كثيرة لا منتهى لها. وحين أقف في ساحة جامع الفنا بمراكش، مثلا، أصاب بالدهشة وأنا أنصت للحكواتيين وهم يسردون حكايات من ألف ليلة وليلة، فيضيفون إليها ما لا يخطر على بال أحد، ويختلقون حكايات جديدة لا وجود لها.

■ الجديد: بخصوص الذاكرة، فاس التي ولدت فيها حاضرة في الكثير من رواياتك، ثم طنجة، التي عشت فيها، قبل الوصول إلى فرنسا. في "الكاتب العمومي" و"حول أمي"، وروايات أخرى... يبدو أن هنالك أعمالا أدبية للطاهر بن جلون وغيره من كتاب العالم تجعلنا نقول بأن الرواية ما هي إلا اختراع اختلقه الكتاب من أجل إيهامنا بأنهم لا يتحدثون عن سيرهم وتجاربهم الإنسانية ومدنهم وطفولتهم؟

● **الطاهر بن جلون: ومع ذلك، فإن الكاتب الذي لا يتحدث إلا عن نفسه هو كاتب فقير. ومن يكون هذا الكاتب الذي يحق له أن يحدثنا عن نفسه ويحكي لنا حكايته الشخصية! لنأخذ كاتبا مثل خوان غويتصولو، هذا المبدع الإسباني والإنساني الكبير الذي عاش بين المغاربة ودفن بينهم... فهو في روايته "المقبرة"، كما في روايات أخريات، لا يكتب عن نفسه قَدْرَ ما يكتب عن العالم الإسلامي الذي عاش فيه وأثر في حياته. لنقل إن الكاتب لا يحكي عن الحياة التي عاشها بقدر ما يحكي عن تأثره بهذه الحياة. من هنا، وجوابا على سؤالك المتعب (يضحك)، أمكن القول إن العالم الذي نعيش فيه يؤثر في ما نكتبه. ولو كنت أعيش في الصين أو اليابان لكنت تأثرت حتما بواقع الحال والأشياء هنالك.**

صحيح أن الكاتب يستعير من حياته ومن الوقائع التي عاشها، والأحداث التي واجهها... سوى أنه لا يمكن أن يحكي حياته كما هي. لنأخذ كافكا على سبيل المثال، فروايات هذا الكاتب العظيم محض خيال، بل هي أعمال مفرطة في الخيال المجنح إن صح التعبير. لكننا حين نقرأ يومياته نجدها تتقاطع مع رواياته وسردياته التخييلية، المستمدة من اليأس ومن الإحباط الذي ظل يسكنه.

ولنستحضر محمود درويش في هذا المقام؛ هو شاعر عظيم، ليس لأنه فلسطيني، فتلك هويته. ولكن شعره تحدى هذه الهوية وتجاوزها. فلو أنه توقف عند حدود النكبة، وآلام القضية الفلسطينية لظل شاعرا محليا. لكنه صار كونيا، وواحدا من أهم شعراء القرن العشرين. ولا يمكن الخلط بين هويته كفلسطيني وبين قدرته الهائلة كشاعر. غير أنه لولا مأساة فلسطين لما كان محمود درويش شاعرا عظيما. وأتذكر هنا قولة جان جنيه "وراء كل كتابة جيدة ثمة مأساة كبرى". والكاتب الذي يبدع في عالم مثالي وجميل لا يمكن أن يقدم لنا عملا جميلا. صحيح أنا لسنا مع البؤس، غير أن المعاناة ضرورية ليكون ثمة شاعر أو كاتب مهم.

وعن سؤالك، دائما، دعنا نقل: ليس الكاتب الحقيقي هو الذي يكتب عن الحياة، بل ذلك الذي تكتب الحياة بيده.

ينشر الحوار بالاتفاق مع مجلة الجديد والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

كائنات هجينة تراوح بين حياة وأخرى

مع أعمال الفنان محمد منيصير في القاهرة

ناهد خزام
كاتبة من مصر

❏ في أعماله المبكرة لم يكتف الفنان المصري محمد منيصير بالابتعاد عن المعنى الدال والعبارة الموحية، بل نأى كذلك عن الهيئة المباشرة للحرف، مكتفيا باستحضار النسق الحروفي لشكل الكتابة، كنسق عام لا ينتمي إلى ثقافة أو لغة بعينها. في تلك الأعمال التي قدمها منيصير في بداية تجربته ثمة إيهام بصري بوجود ذلك النص المكتوب وحضوره الطاغي على سطح العمل، مضفيا عليه قدما لتبدو اللوحة أقرب إلى هيئة الرقاع أو المخطوطات القديمة. هي حبكة بصرية متعمدة تتركنا أمام حالة مغايرة من الحروفية العربية التي خاضها فنانون كثر على امتداد العالم العربي، بعيدا عن الشكل التقليدي لفن الخط العربي كما هو متعارف عليه، من توظيف الحرف كأحد العناصر البنائية داخل اللوحة، إلى الكتابة على الجسد وتوظيفه ضمن صياغات بنائية معاصرة.

اتجه الفنان هنا إلى فعل الكتابة في حدّ ذاته كسلوك إنساني وقيمة بصرية، قيمة تحمل ما تحمل من دلالات ورمزية خاصة مرتبطة بمسار التطور البشري، من الرسم على الجدران والصخور، إلى الكتابة على جلود الحيوانات والنباتات والأوراق، إلى ثورة الطباعة وما قدمته للبشرية من مجال رحب للتدوين. تحمل نصوص منيصير عبق كل هذه السنوات والقفزات التي خاضتها البشرية حتى الوصول إلى تلك اللحظة التي نشغلها حاليا بالنقر على أزرار لوحة المفاتيح لتتوالد الكلمات والأسطر خلف بعضها وفق نفس النسق القديم المدهش.

هو يلون بالأصباغ تارة، وتارة أخرى نرى اللون وقد تراجع مخلفا أثره على استحياء في هيئة بقع لونية تتداخل لتأكيد أثر الزمن. يغزل بالفرشاة والأحبار طبقات فوق بعضها من الأسطر المرسومة بدأب. ثم ما تلبث بعض الخربشات والعلامات التي تشبه الطلاسم في الظهور للربط بين الأسطر المنسابة بلا توقف. في مرحلة أخرى أضاف الفنان لتلك المساحات أشكالا متنوعة من الصور والرموز السحرية. لم يكتف منيصير ببث هذه الحالة الطلسمية من طريق مفرداته وعناصره المضافة، بل أمعن في تأكيدها والاحتفاء بها.

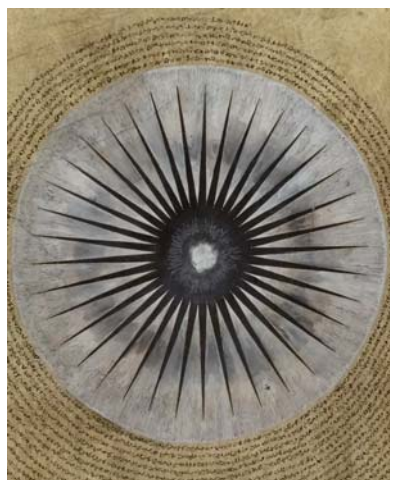

برزخ

اختار منيصير أن يطلق على معرضه الذي أقامه في القاهرة قبل ثلاثة أعوام تقريبا اسم "برزخ"، وهو اسم دال قريب الشبه بهذه الحالة البصرية التي يقدمها، فالبرزخ هو المكان الذي يفصل بين شيئين، وهو يُستعمل في علم الجغرافيا للدلالة على تلك المساحة بين مياه الأنهار والبحار، أو بين بحرين عظيمين يلتقيان في نقطة ما، وهو يفصل أيضا بين الحياة والموت. منيصير فنان شاب تشغله تلك المساحة الفاصلة بين الأشياء ويتوق إلى اكتشافها. يمكنك أن تلمح ذلك من خلال هذا التأكيد على رسم الدائرة وحضورها الدائم في معظم أعماله السابقة، الدائرة هنا هي المقابل لصيرورة الوجود واستمراريته، حيث المفردات والعناصر تتحرك في دوائر ومسارات لا نهائية. هو يحاول اكتشاف هذه الحدود الفاصلة التي لا تبدو ملامحها ظاهرة. أعماله مزيج من البحث والتأمل البصري في المساحة وفي الحياة أيضا.

أحلام تحنيطية

في معرضه الأخير الذي أقامه في مركز تاون هاوس للفنون في القاهرة تحت عنوان "أحلام تحنيطية"، وفي سبيل بحثه المستمر حول فكرة الحياة والموت، يفاجئنا محمد منيصير بتشكيلة مختلفة من المفردات والعناصر المقحمة على بنيته البصرية. بعض هذه المفردات التي تعامل معها الفنان لأول مرة بدت صادمة، فمنها ما كان مختلفا عن السياق العام لتجربته ككل، وبعضها الآخر كان له حضور صارخ ومباشر في ما يتعلق بالفكرة. بين هذه العناصر التي استخدمها الفنان أشرطة فيديو وصور ورسوم ومجسمات وأعمال تركيبية، بالإضافة إلى مجموعة مختلفة من عظام الحيوانات والرؤوس الحيوانية المحنطة.

يلفت انتباهنا بين هذه التركيبات جسد ضخم بطول عشرة أمتار مسجى على أرضية القاعة لكائن له جسد إنسان ورأس حيوان. مشهد الجسد وهو ممدد على أرضية القاعة وسط إضاءة خافتة كفيل ببث الرهبة في نفس الرائي. يمعن منيصير في تأكيد هذه الأحاسيس المتوترة بعرضه ثلاثة مجسمات لكائنات أخرى هجينة تنتصب إلى جوار بعضها في قاعة قريبة، وتبدو كأنها في حالة انتشاء طقسي راقص. في الجوار ثمة حامل خشبي يحمل عظاما لحيوانات نافقة مختلفة الأحجام. وبينما تهم بمطالعة المساحات القماشية المرسومة والمعلقة في منتصف القاعة تقتحم ناظريك شاشة عرض مخبأة خلف هذه المعلقات القماشية في تعمد مقصود للمباغتة، تعرض الشاشة شريطا قصيرا مكررا لكلب أسود يحدق في شراسة أمام الكاميرا. يربط بين هذه التشكيلات التي أنشأها الفنان وفق صيغ تركيبية في فراغ القاعة رسوم كثيرة مستوحاة من كتاب "كليلة ودمنة" عرضت على حامل دائري.

استلقاءة كائن عملاق

هذه العناصر التي تجمعها مساحة عرض واحدة ليست هي آخر المطاف، إذ يقدم الفنان عرضا آخر يشغل حيز القاعة الكبرى بكاملها في الدور الأرضي. تضم المساحة الأخرى خمسة أجهزة عرض تعمل بالتتابع، ويُعرض محتواها على شاشات قماشية متجاورة، مشهدا مكررا لفتى صغير يحاكي أصوات الحيوانات والطيور. في خلفية الشاشات وضع الفنان مجسمات مختلفة لحيوانات بالحجم الطبيعي، مراعيا ألا يرى المشاهد من هذه المجسمات سوى ظلها الذي يظهر منعكسا على خلفية الشاشة القماشية.

يستوقفنا هنا ذلك الحشد المربك بصريا لمجموعة العناصر والمفردات المشكلة لهذا العمل، كأن الفنان أراد جمع كل ما يملكه من صور، وما يحمله من أفكار في مكان واحد، أو بالأحرى في عمل واحد كبير ومتشعب. لا يفوتنا أيضا ذلك التضمين الخفي لفكرة السلطة، في احتفائه على نحو خاص بالرسوم المستوحاة من كتاب كليلة ودمنة، وهو في الأصل ليس سوى حيلة أدبية لجأ إليها صاحبها اتقاء للعقوبة. يحتال الفنان هنا أيضا في عرض فكرته على نحو غير مباشر، فهو يُضمن الأشكال والتكوينات التي أنشأها بمعان مباشرة، وأخرى خافية لها علاقة بالتأويلات المختلفة لفكرة الخلق وطبيعة الوجود. على جانب آخر تبدو هذه المراوحة بين الضدين: الحياة والموت، والانتقال من حال إلى أخرى أو من طبيعة إلى غيرها هي السمة المسيطرة على ذلك المشهد البصري المفكك، والذي يضعنا مباشرة في مواجهة حالة مربكة من عدم اليقين تلقي بظلالها على هذه المعالجات جميعا.

> يلفت انتباهنا بين هذه التركيبات جسد ضخم بطول عشرة أمتار مسجى على أرضية القاعة لكائن له جسد إنسان ورأس حيوان. مشهد الجسد وهو ممدد على أرضية القاعة وسط إضاءة خافتة كفيل ببث الرهبة في نفس الرائي

محمد منيصير من مواليد عام 1989، وهو فنان يعيش ويعمل في القاهرة. تخرج من كلية التربية النوعية، وشارك بأعماله في العديد من المعارض الجماعية التي أقيمت داخل مصر. أقام معرضه الفردي الأول في قاعة كمال خليفة في مركز الجزيرة للفنون بالقاهرة عام 2013، ثم تبعه بمجموعة من المعارض الفردية الأخرى، نذكر منها على سبيل المثال، برزخ، وصمت.

في بغداد ومن دون عنوان

منحوتات من القماش والخيوط للفنانة العراقية سرى مؤيد

"دكّانة" مشروع صغير بحجم صغير بدأ قبل فترة قصيرة في أهم شوارع بغداد الثقافية وهو شارع المتنبي، وفي مساحة تتسع بالكاد إلى بضعة زائرين، بما يشبه الرؤية السريعة لمعروضات شهرية فنية؛ لكنه برؤيا رسالية كبيرة تتخذ من الفن قاعدة له لتنطلق إلى آفاق الجمال برؤية عصرية ومفاهيمية فنية جادّة، وسبق لنا أن نوّهنا عنه منذ لحظته الأولى في انطلاقته الجمالية ورسالته الفنية في استقطاب ملامح التجديد في الفن العراقي الجديد.

وارد بدر السالم
كاتب من العراق

❏ سرى مؤيد شابة موهوبة بعيدة عن الأضواء وفي محافظة جنوبية لها طقوس التخفي الاجتماعي، وهذا ما يفاقم تواصلها مع الحياة الفنية والجمالية، وحتى في معرضها الصغير الذي أقامته "دكّانة" لم يكن سفرها إلى بغداد طبيعيا ولا سهلا لتحضر لحظة الافتتاح الأولى، فهي نتاج ظرف خارجي يملي عليها الكثير من القيود وبالتالي عندما ننظر إلى أعمالها الفنية العشرة التي توزعت في صالة العرض لا نعزل مثل ذلك الظرف عمّا تفكر به في محاولة التمرد الطبيعي الذي تُفصح عنه أعمالها الصغيرة التي اكتنزت بطفولة ترى الأشياء بمثل هذه العين السحرية.

وتُبقي على الأثر الاجتماعي قائما كأنما تدينه عبر عيون الطفلة – المرأة بمجموعة فنية صُنعت من القماش والخيوط بحرفية ذكية وإحساس فيه رهافة؛ مثلما فيه جرأة لكشف المستور في الحياة اليومية وفي مناخ اجتماعي ذكوري أبوي وهي تكشف "الداخل" الاجتماعي وخارجه أيضا في ثنائية تقود إحداها إلى الأخرى بطريقة "المنحوتات" لكن باستعمال بقايا القماش والخيوط ونسجها بمهارة حائكة تعرف الطريق إلى فكرتها، وتنوّع من أساليبها التي ستبدو "بسيطة" وطفولية لكنها عميقة بمفاهيميتها الجديدة وجريئة في اجتياز الموانع التي تسبب بها تهميش المرأة العراقية من أعراف عشائرية وتقاليد موروثة في بيئة محكومة بمثل هذا الاستلاب النفسي، لذلك فهذه المنحوتات القماشية والتشكيلات البسيطة تعبّر بطريقتها عن احتجاج واضح للهيمنة الاجتماعية على المرأة، وتقدّم من خلالها شحنات واضحة في مفاهيمية فنية صارخة اجتازت فيها الكثير من التقاليد الفنية السائدة في محاولة أن تُبقي أثرها الشخصي قائما في هذا العرض الصغير.

سرى مؤيد بعمر عشريني مبكر جدا على أن تقول فيه أفكارا كبيرة بهذا الحجم الذي وجدناه في معرضها النحتي- القماشي (أعمال بدون عنوان) وهي من مواليد (1996) لكن رؤيتها للحياة وما فيها من تناقضات كبيرة وتحولات مفاجئة، وما فيها من ضغط أبوي من جهة وما شكلته الحروب من ضغط نفسي كبير على الجميع وما تركته من شروخٍ روحية من جهة ثانية، أبصرَ فيها الكثير من الجدل وقراءة الواقع بالتفاصيل المفتوحة أمامها، وهي من بيئة معروفة بانغلاقها الأبوي – الذكوري وبالتالي كان عليها أن تقتحم الكثير من الأسوار وتقدّم احتجاجاتها بنبوءات عرّافة صغيرة تمتهن سحر القماش المتبقي والخيوط المتناثرة لتحيك منها أثرا بعد أثر في تناغم فكري لا تحتاج اللون فيه ولا الزيت ولا اللوحة، لكنها كانت تحتاج إلى هذه البقايا من الخياطة، لتعقد معها صلة فنية بطريقة الفن المفاهيمي الذي يتمرد على اللوحة بشكلها القار، ومن ثم تكون منتجة لأفكارها التي كانت تكبر كلما كانت (حائكة) لأفكارها بشكل جيد وواعٍ، لتقول في معرضها الاستثنائي هذا بأن "أعمالي بمثابة ثورة على ما تتعرض له المرأة اليوم من إجحافٍ وتهميش وتقيد..".

وأشارت بشكل واضح جدا من أنّ (الحكم العشائري) كان سببا لمثل هذه الثورة الفنية التي أخرجت فيها صرخات احتجاج واستنطقت القماش التالف والخيوط المتروكة لتبدأ ثورة القماش من هذا المعرض الصغير بعشر منحوتات جميلة لا أكثر، في استعادات طفولية لصيقة بها ولصيقة بنا، كما لو تقصّدت أن تحيل الحاضر إلى الماضي الأكثر بساطةً وجمالاً ورهافة حس.

حالات - نماذج من أعمال الفنانة

العالم بعيني سيغموند فرويد

رحلة على خطى مؤسس التحليل النفسي ومسيرته الطبية والثقافية

يعتبر سيغموند فرويد واحدا من أشهر أعلام العصر الحديث، إذ تجاوز كونه طبيبا ومحللا نفسيا، ليصبح رمزا يحضر شخصه إلى جانب نصوصه في القطاعات الفنيّة والتسويقيّة والثقافيّة، كما أنه عرّاب تفسير الأحلام في الثقافة الشعبيّة، وفي ذات الوقت مرجع هام لأي مهتم بدراسة الظاهرة الإنسانيّة، فالعوالم التي افتتحها بُكتبه شكّلت غواية للكثيرين، وأعادت تكوين رؤية الفرد لذاته، وساهمت بجعل البشرية تعيد النظر بشروطها وتاريخها.

عمار المأمون
كاتب سوري

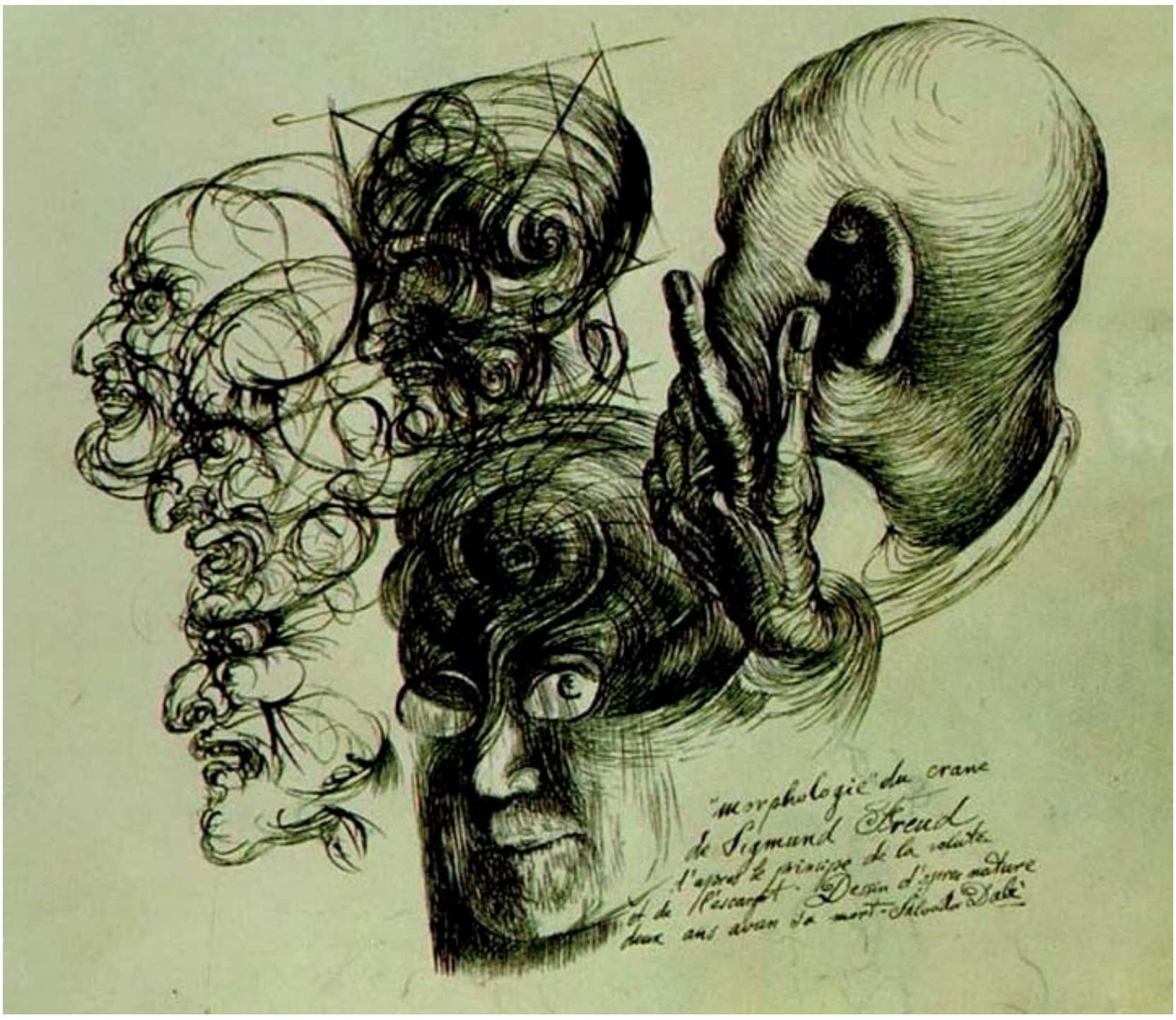

الرسم لسلفادور دالي الذي زار فرويد سنة 1938

❑ يحتفل متحف التراث والفن اليهودي في باريس بالذكرى العشرين لتأسيسه بمعرض بعنوان "فرويد من البصر إلى الاستماع"، وفيه نتتبع مسيرة طبيب الأعصاب والمحلل النفسيّ النمساويّ منذ كان طالبا إلى حين وفاته، إذ نتعرف في المعرض على الأدوات والمخطوطات والكتب واللوحات التي استخدمها أو رآها أو قرأها، ما يعطينا فكرة عن الأشكال الثقافيّة التي تعرض لها فرويد، وما كان يحيط به في كل فترة من حياته، لنكتشف تجليات هذه المُنتجات الثقافيّة في أفكاره وكتبه، إلى جانب تلمسنا للأسلوب الذي كان يبني فيه موضوعاته، سواء كان يعتمد على ما يراه ويقرأه من التراث الفني والثقافيّ، أو ما يستنتجه من "كلام" مرضاه الذين شكّلت أحلامهم وحكاياتهم الأساس التجريبي لنظريته في التحليل النفسي.

أول ما يثير الانتباه في المعرض هو عيادة فرويد (الكابينة) أو الغرفة التي كان يقوم فيها بالتحليل النفسي، والتي نلاحظ أنها أقرب لمتحف أو معبد من نوع ما، لنكتشف أنه تأثر بأستاذه في فرنسا جان مارتن شاكروت، الذي كانت عيادته مليئة باللوحات والقطع الأثرية، ما دفع فرويد للمواظبة على جمعها، لتتحول عيادته إلى مساحة بصريّة تعكس الموضوعات التي عمل عليها، فاهتمامه بالهيستيريا النسائية نراه في نسخة كان يمتلكها للوحة "درس طبيّ في المستشفى" للفنان الفرنسي أندريه بروي، كذلك نرى إناء يونانيا عليه رسم أوديب والسفينكس، وتمثالا مصغرا لموسى الذي نحته مايكل أنجلو في إحالة نوع ما إلى كتابه "موسى والتوحيد".

لم يقدم فرويد تفسيرا رسميا لسبب اقتنائه لهذه التحف التي تنتمي لعصور مختلفة، إلا أن المتابع يرى أنها حاضرة في نصوصه وآرائه، بسبب انشغاله بالظاهرة الثقافيّة بوصفها انعكاسا رمزيا للنشاط الإنسانيّ، كما أن اهتمامه بالأعمال الفنيّة بوصفها أعراضا مرضيّة، يجعل منها أقرب لأن تكون تأريخا غير رسمي للاوعي ورغباته.

المثير للاهتمام أن مكونات عيادة فرويد المادية أصبحت موضوعات فنيّة يتبناها الفنانون الآن، إذ تحولت من أثاث وظيفيّ إلى أدوات طوّرها فرويد لإنتاج "الكلام" من مرضاه، كما نرى في المجسمات الذهبيّة الصغيرة التي صنعها الألماني هانز هوليين، في احتفاء أيقوني بها، بوصفها تختزل مفهوم التحليل النفسي وترسم العلاقة بين الطبيب ومريضه، وتخلق وضعيّة "الاعتراف" لاكتشاف اللاوعي وما يختزنه.

يحوي المعرض أيضا الآثار الطبيّة التي تركها فرويد بداية عمله كطبيب أعصاب، إذ نشاهد مخطوطات ورسوما تشرح عمل الجهاز العصبيّ، بعدها نشاهد الكتب التي اطلع عليها بعد تأثره العميق بنظرية التطور الداروينيّة، وخصوصا الرسوم العلميّة التي توضح مراحل تطور عقل الإنسان، والتي أنجزها عالم الأحياء الألمانيّ إرنست هيكل لرصد التشابه ا لتشر يحي بين مختلف أنواع المخلوقات الحيّة.

نتلمس في المعرض اهتمام فرويد بتطبيقات العلوم والأدوات الكهربائية لعلاج الأمراض العقليّة، التي كان يعتقد بداية أن منشأها خلل في التيار المغناطيسيّ الذي يمرّ في الجسم، إذ نشاهد الوعاء المُمغنط الذي طوّره الطبيب والمعالج الفرنسيّ فرانز أنطوان مازمير، والذي ادّعى أن اختراعه هذا يعيد التوازن للجسم ويشفي من الأمراض، عبر استخدام الحقل المغناطيسي الحيوانيّ وإعادة توجيهه. كذلك نطّلع على المراجع التي استقى منها فرويد معارفه عن الهيستيريا والتي اتضح مفهومها له بعد اطّلاعه على المخطوطات والرسوم التي أنتجها الطبيب والرسّام التشريحي بول ريشير، لشرح آثار الهيستيريا وأعراضها وأطوارها، والمثير للاهتمام أن هذه الرسوم تتجاوز صيغة الملاحظات الطبيّة والشروحات التوضيحيّة، كونها تحوي خصائص فنيّة وجماليّة، تسللت إلى الأشكال الثقافيّة الأخرى كالبوسترات والإعلانات، وهذا ما نراه في صورة المرأة المقوسة الظهر، التي حسب تعبير فرويد لديها خلل في الشهوة الجنسيّة وأشكال تفريغها، ما جعلها توظّف أكثر في الثقافة الشعبيّة كنموذج للمرأة شديدة الشبق.

نطّلع في المعرض على المراسلات بين فرويد وأندريه بريتون، ونقرأ كيف خاب أمل بريتون حين زار فرويد في فيينا عام 1921 ليحدثه عن السوريالية، فعراب التحليل النفسيّ قال لبريتون حينها إنه لم يفهم ما هي السوريالية ولا المانيفستو الذي كتبه بريتون لاحقا وأرسله لفرويد، مع ذلك احتفت مجلة الثورة السوريالية بفرويد وترجمت عددا من مقالته، إلى جانب اعتماد روادها على الكثير من المفاهيم التي طورها فرويد لاكتشاف اللاوعي، كالكتابة الآلية والتنويم المغناطيسي وأحلام اليقظة، إلا أن موقف فرويد تغير لاحقا، حين التقى بسيلفادور دالي في لندن عام 1938، والذي كان معجبا بالمحلل النفسي الشهير ورسم ثلاثة بورتريهات احتفاء به، كما سمّاها "تحولات نرسيس".

القطع الأثرية التي كان يجمعها فرويد ودلالاتها الثقافية

التقاط صور لمناظر خلابة

المغامرة من أجل الحصول على جلد الأسد

محاولات عدة لحفظ الفيلة

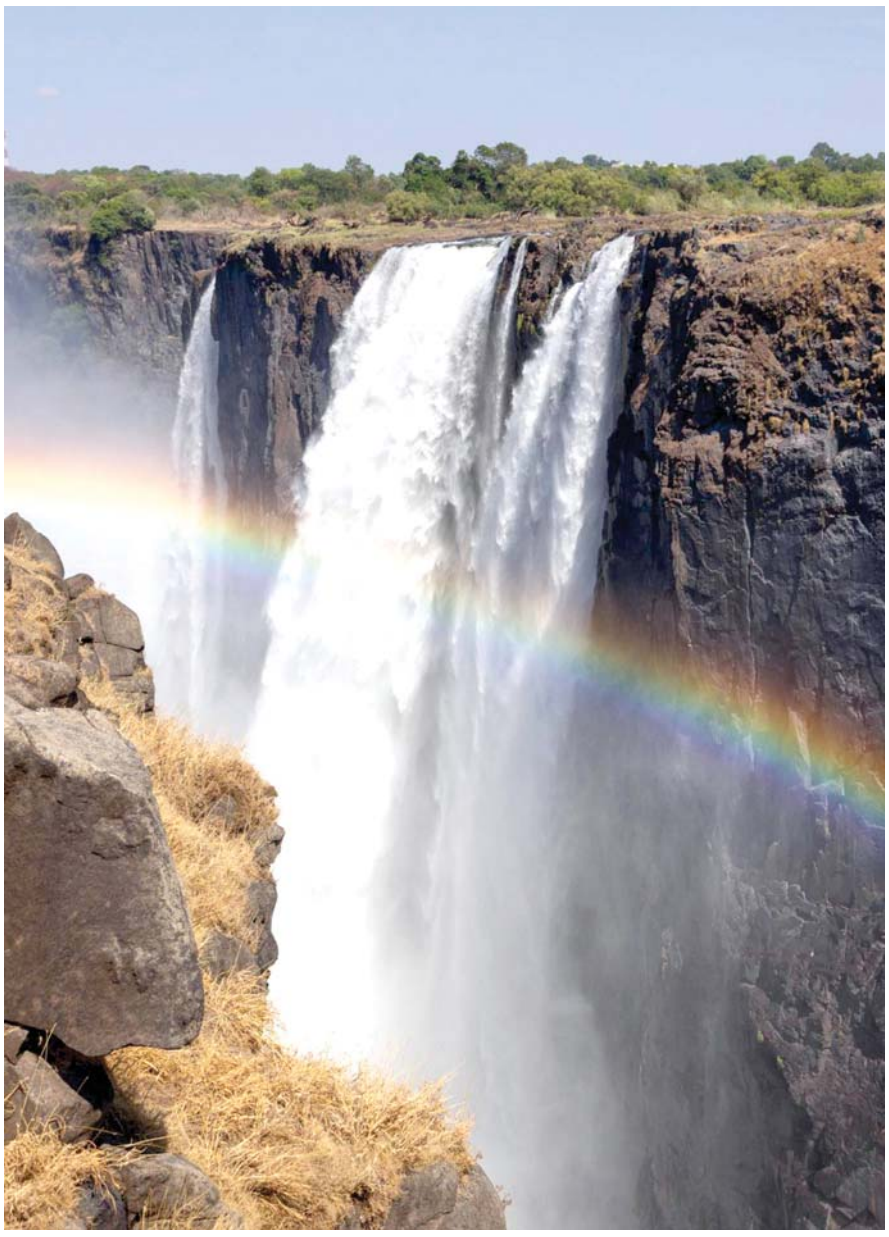

الطبيعة في أبهى حلة

أكبر محمية عابرة للحدود في العالم بانتظار زوار

كازا تعج بمناطق سفاري فريدة من نوعها في أفريقيا

يجد محبو رحلات السفاري في أكبر محمية طبيعية عابرة للحدود في العالم ضالتهم، وهي جنة طبيعية ظلت إلى الآن بمنأى عن تدفق السياحة الدولية، على الرغم من كونها مجهزة بأماكن إقامة للسياح وسيارات السفاري.

❑ **شلالات فيكتوريا** – تضم محمية كازا، وهي أكبر محمية طبيعية عابرة للحدود في العالم حيث أنها تمتد لتشمل خمس دول أفريقية، العديد من مناطق السفاري الفريدة من نوعها في أفريقيا.

وعادة ما تظهر مجموعة من السياح في سيارات السفاري، التي تنطلق على الطرق الرملية لمسافة 10 كيلومترات تقريبا بهدف مشاهدة الأسود والحيوانات البرية التي تظهر بلون الرمال في الظلال هروبا من الشمس الحارقة في أفريقيا.

وتعتبر محمية هوانغي الطبيعية في زيمبابوي بمثابة بوابة العبور إلى أكبر محمية طبيعية في العالم، كما تعد أيضا جزءا من مشروع أكثر طموحا، وهو منطقة كافانجو زامبيزي ترانسفرونتير كونسيرفاشن، والمعروفة اختصارا باسم كازا، التي تعتبر أكبر محمية طبيعية عبر الحدود في العالم.

وتمتد هذه المحمية على مساحة 520 ألف كيلومتر مربع، بمساحة أكبر من إسبانيا،

> هذه المحمية تمتد على مساحة أكبر من إسبانيا، وتضم بداخلها قرابة 36 من المتنزهات الوطنية إضافة إلى اثنين من المواقع المدرجة على قائمة اليونسكو

وتضم بداخلها قرابة 36 من المتنزهات الوطنية، إضافة إلى اثنين من مواقع التراث العالمي المدرجة على قائمة اليونسكو ألا وهما: شلالات فيكتوريا ودلتا أوكافانجو.

ويكافح المسؤولون في ناميبيا وزامبيا وزيمبابوي وأنغولا وبوتسوانا من أجل الحفاظ على المحمية الطبيعية عبر الحدود الوطنية، والسماح للسكان المحليين بالاستفادة من الحياة البرّية الغنية بالتنوع من حولهم؛ حيث كثيرا ما يقوم السكان المحليون بصيد الحيوانات البرية؛ حيث يدفع المغامرون الأجانب الآلاف من الدولارات نظير شراء جلد الأسد، وقد تم حظر الصيد في بوتسوانا بموجب القانون في العام 2014، وبالتالي فقدت مجتمعات كثيرة أحد مصادر الدخل الهامة.

وظهرت مشكلة أخرى في زيمبابوي، حيث ازدهر الصيد غير المشروع مرة أخرى بسبب الفقر.

وأوضح إينوخ زولو أن هناك مجموعة من الحراس لمكافحة الصيد الجائر تضم عشرة من الشباب والشابات يرتدون ملابس باللون الكاكي، مع اثنين من الرعاة، وتقوم وحدة مكافحة الصيد غير المشروع بعمل دوريات كل يوم من أجل الحفاظ على أعداد الظباء والأفيال، التي يتم صيدها بسبب تجارة العاج المزدهرة.

وتتدفق أموال مشروع كازا حتى الآن في مشروعات البنية التحتية مثل مشروعات الطرق والمقرات الرئيسية للحراس والمشروعات السياحية، ومنذ عام 2014 توجد فيزا مشتركة لزامبيا وزيمبابوي، وينصب الاهتمام في المرحلة الثالثة الحالية على ما يعرف باسم مناطق تشتيت الحياة البرية، والتي تعتبر من المناطق الهامة لهجرة الحيوانات دون عوائق وانتشار الحيوانات البرية المختلفة، حتى عبر الحدود الوطنية للدول.

وتوجد في هذه المناطق جنة طبيعية ظلت بمنأى عن تدفق السياحة الدولية؛ حيث يتحول نهر زمبيزي في أوسع منطقة له إلى شلالات فيكتوريا في زامبيا، وهو ما يلوح كثاني عجيبة طبيعية تحبس الأنفاس، كما توجد أيضا شلالات سيوما، والتي تنحدر المياه بها من حافة طويلة إلى الوديان العميقة.

ويتطور النشاط السياحي في زامبيا بدرجة أقل من بوتسوانا، التي تكثر بها أماكن إقامة السياح وسيارات السفاري على حافة محمية تشوبي الطبيعية.

وفي محمية سيوما نجويزي الطبيعية، التي تقع بين الشلالات والحدود الأنغولية، لم يكن هناك سياح خلال الشهور الأخيرة، وبالتالي فإن محمية كازا تسعى إلى إصلاح هذا الاختلال من خلال تحقيق التوازن بين محميات المنطقة الطبيعية، حتى تحظى جميعها باستقبال الزائرين.

❑ جمعية الفنادق السياحية في ولاية قسطموني التركية، غربي البحر الأسود، تخطط لإنشاء غرف إضافية في السنوات القادمة، تلبية للطلب المتزايد خلال موسم السياحة الشتوية.

زوم على السياحة

● قالت فهميدة ميرزا، وزيرة شؤون مجلس الوزراء الباكستاني، إن مواطني أكثر من 50 دولة بما في ذلك الولايات المتحدة وبريطانيا، سيكون بمقدورهم الآن الحصول على تأشيرات دخول لباكستان عند وصولهم البلاد.

وأضافت أن مواطني 175 دولة بإمكانهم الحصول على تأشيرات إلكترونية أو عبر الإنترنت، وهو خيار لم تقدمه باكستان من قبل.

وأشارت "لدينا بعض أفضل المواقع السياحية في العالم، من مرتفعات وقمم جبلية مثل كيه2 إضافة إلى الأودية والصحاري"، مؤكدة "نريد جذب السياح على مستوى العالم". وشددت على أن أجهزة الأمن الباكستانية سوف تضمن سلامة السياح من أجل إنعاش صناعة السياحة.

● أكد مسؤولون أن سلطات السياحة في المالديف طلبت من مشغلي المنتجعات في كافة جزر الأرخبيل التنبّه لسلامة السائحين بعد وفاة خمسة أشخاص غرقا في غضون أسبوع واحد.

وقال مسؤولون في القطاع السياحي، إنه تم الطلب من المنتجعات في الأرخبيل أن تراقب عن كثب زبائنها حرصا على سلامتهم بعد تزايد عدد الوفيات.

● دعت القاهرة بريطانيا إلى "مراجعة" قرارها بشأن حظر السفر إلى مطار شرم الشيخ شمال شرقي مصر. وجاء ذلك في كلمة لسفير مصر في لندن طارق عادل، خلال لقاء مع عدد من أعضاء البرلمان البريطاني.

وشدّد السفير المصري على "أهمية العمل على إزالة أي عوائق أمام تعزيز العلاقات، وعلى رأسها ملف تعليق الطيران من المطارات البريطانية إلى مطار شرم الشيخ".

وتعول مصر على السياحة باعتبارها أحد مصادر العملة الصعبة للبلاد.

● ارتفع عدد الأجانب الذين زاروا كوريا الجنوبية في عام 2018 بنسبة 15 بالمئة مقارنة بالعام الذي سبقه.

وأرجعت وكالة الأنباء الكورية الجنوبية "يونهاب" ذلك إلى عودة السياح الصينيين الذين انخفض عددهم في عام 2017.

● انطلقت وزارة السياحة البحرينية بالتعاون مع عدد من الشركات الخاصة ونوادي الغطس في البلاد في تنفيذ مشروع يهدف إلى استحداث متنزه بحري للغوص، مؤهل ليصبح الأكبر من نوعه في العالم.

ومن المقرر أن تبلغ مساحة المتنزه 100 ألف متر مربع، وستغمر في مياهه طائرة بوينغ 747، لتكون أكبر طائرة يتم غمرها في البحر حتى اليوم، كما سيتمكن الغواصون من الاستمتاع بالمنحوتات والشعاب المرجانية الصناعية المتنوعة الموجودة في المياه، والتي ستشكل مستقبلا بيئة ملائمة للأسماك ونمو المرجان الطبيعي.

كما سيُبنى حوله عدد من المباني التي توفر الخدمات المختلفة للسياح، ومحلات لبيع اللؤلؤ والمرجان، وغيرها من المرافق.

التكنولوجيا بدأت أتمتة البشر تحت مجهر المراقبة الدائمة

العالم في قبضة رأسمالية جديدة ترصد حركات وسكنات الجميع وتحولها إلى مصدر للإيرادات

جميع الأجهزة الذكية هي قنوات لتدفق البيانات السلوكية إلى شركات التكنولوجيا

سلام سرحان
صحافي عراقي

هناك حقيقة بسيطة تحاصرنا بدرجة أكبر يوما بعد يوم وهي أن التكنولوجيا أحكمت قبضتها على مصير هذا الكوكب بدرجة لم يعد بالإمكان الإفلات منها، وأننا ننزلق بشكل متسارع إلى عهد رأسمالية جديدة تسعى لأتمتة البشر وتحويلهم إلى بيانات ومصدر للإيرادات.

لا يمكن لأحد أن يعرف على وجه الدقة حجم البيانات التي جمعتها شركات التكنولوجيا عنه، بل إن مسؤولي تلك الشركات لا يمكن أن يعرفوا جميع تفاصيلها، وكل ما يهمهم أنها منجم لتحقيق الإيرادات.

وفي كل الأحوال يتواصل تدفق البيانات التي نتبرع بتقديمها بسرعة خارقة من سلوكنا على الانترنت والتطبيقات الالكترونية وملاحقة خارطة تحركاتنا من خلال الأجهزة الذكية التي نحملها والكاميرات المنتشرة في كل مكان والقادرة على التعرف على الوجوه.

التأثير الأكبر لا يكمن من انتهاك خصوصية الأفراد بل في صناعة توجهات المجتمعات إلى درجة تقارب الأتمتة الشاملة التي تصنع رغباتنا وحاجاتنا قبل إنتاج السلع والبرامج والألعاب لإرضائها.

لم نلمس حتى الآن سوى بعض الملامح مثل ظهور إعلانات عن سلع معينة بعد ثوان من بحثنا عنها في موقع آخر. لكن تلك البيانات ستجد حتما استخداما كبيرة في المستقبل.

من المستبعد أن تتمكن أي جهة في العالم وبضمنها الحكومات والجهات الرقابية المحكومة بقواعد تقليدية، من التأثير في زخم تلك التطورات المتسارعة ومطاردة المتواليات الرقمية المغلقة التي تقودنا.

ما هي حظوظ تلك الجهات في اللحاق بهدف يبتعد بسرعة تفوق سرعتها بآلاف أو ملايين المرات؟ لذلك فإن الإدراك المتأخر لطبيعة ما يحدث سيكون حتما سيد الموقف وبلا منازع.

ومع ذلك يتسابق الخبراء لرسم سيناريوهات افتراضية ومحاولة تفسير ما يحدث، ومنها التصورات المخيفة لنموذج عمل العالم الرقمي في كتاب شوشانا زوبوف الجديد "عصر رأسمالية المراقبة".

الأمر لا علاقة له بالتشاؤم والتفاؤل ولا يتعلق بوجهات النظر أو جبال الكتب والآراء والنظريات التي تحاول أن تتلمس تفسيرا لما تفعله التكنولوجيا الرقمية بنا وبعالمنا.

يقول تقرير تحليلي في صحيفة الغارديان البريطانية إن هناك الكثير من العلماء الذين يفكرون ويبحثون ويكتبون عن هذه الأشياء، لكنهم يشبهون الرجال المكفوفين الذين يحاولون وصف الفيل في الخرافة القديمة حيث يخرج كل شخص بوجهة نظر جزئية عما يستطيع لمسه فقط. ولكن لا أحد لديه الصورة الكاملة.

ورغم أن هذه التحولات الخارجة عن جميع التوقعات تعني قلة الثقة بتصورات المفكرين عما يمكن أن يحدث، إلا أن هناك أسبابا تدعم الاهتمام بكتاب زوبوف، والتي برزت قبل 3 عقود في جامعة هارفارد وغيرت الكثير من المفاهيم.

في عام 1988 نشرت زوبوف كتابا بعنوان "عصر الآلة الذكية" الذي غيّر طريقة تفكيرنا حول تأثير الحوسبة على طبيعة المؤسسات وسوق العمل. وقدمت تصورات صادمة في ذلك الوقت عن كيفية تغيير التقنية الرقمية لعمل المديرين والعاملين.

وبدا بعد ذلك أنها اختفت عن الأنظار، لكنها عادت وفجّرت عاصفتين من خلال بحث أكاديمي في عام 2015 ومقالة في صحيفة ألمانية لتمهد الطريق لمفاجآت الكتاب الجديد: عصر رأسمالية المراقبة أو الترصد، الذي يعتبره الكثير من المحللين المحاولة الأكثر طموحا لرسم الصورة الأوسع وتوضيح كيف حدثت وكيف تسللت آثار الرقمنة إلى حياتنا.

ويشير محور الكتاب إلى أن الأمر لا يتعلق بطبيعة التكنولوجيا الرقمية بل في ظهور نموذج جديد من الرأسمالية، التي تتأقلم وتروض التطورات التكنولوجية لخدمة أغراضها، وقد أطلقت عليه اسم رأسمالية المراقبة أو رأسمالية الترصد.

وتقول إن ذلك النموذج اكتسب ملامحه الشرسة من خلال توفير خدمات مجانية، يتلقفها ويستمتع بها مليارات الأفراد، وهي تمكن مقدمي تلك الخدمات من مراقبة سلوك المستخدمين بتفاصيل مذهلة ودون موافقتهم الصريحة في كثير من الأحيان.

ليس بالضرورة أن تكون هناك جهة قد اختارت هذا المسار، ولكن التطورات التكنولوجية قادت الشركات الكبرى إلى سباق في هذا المسار الجارف، الذي لا سبيل لمقاومته سواء من قبل الشركات أو الأفراد أو الجهات التنظيمية إلا بدرجة هامشية وتجميلية.

وترى زوبوف إن رأسمالية الترصد تستخدم التجارب الإنسانية كمادة خام مجانية وتترجمها إلى بيانات سلوكية. ورغم أنها تستخدم بعض البيانات في تحسين خدماتها، إلا أنها تحصل في النهاية على ثروة بيانات يتم استثمارها في سياسات التصنيع المستقبلية.

وتعرف تلك العملية باسم "الاستخبارات الرقمية" وهي تستخدم لتحديد ملامح المنتجات التي يمكن أن تلقى رواجا لدى المستهلكين في المستقبل.

وتضيف زوبوف أن تلك المنتجات المتوقعة أصبح لها سوق أطلقت عليه "سوق العقود الآجلة للسلوكيات" والذي اتسع الاستثمار فيه بشكل هائل حيث يتم بيع خلاصات الأفكار المستنتجة من سلوك المستهلكين.

وفي الوقت الذي يبدو فيه سلوك شركات مثل غوغل وفيسبوك معروفا على الأقل من قبل الخبراء، فإن الصورة الأوسع التي تعرضها زوبوف لما وراء ذلك السلوك لا تزال مجهولة إلى حد بعيد.

وتشير إلى أن معظمنا كان يعتقد أننا نتعامل مع مجرد خوارزميات غامضة، في حين أننا في الواقع نشهد آخر مراحل التطور الطويل للنظام الرأسمالي، الذي انتقل من تصنيع المنتجات إلى الإنتاج الواسع والرأسمالية الإدارية ثم إلى الرأسمالية المالية.

وأخيرا وصلت الرأسمالية إلى استغلال التنبؤات السلوكية المستخلصة خفية من مراقبة حركات وسكنات المستخدمين.

وتؤكد تلك القراءة العميقة أن سلوك شركات التكنولوجيا العملاقة بعيد عن مجرد هلوسة رقمية عشوائية، وأنها تتجه إلى ما يشبه أتمتة البشر وتحويلهم إلى بيانات ومادة خام لمشاريع رأسمالية المراقبة والترصد.

ويقول جون ناوتون كاتب تحليل صحيفة الغارديان إن النظر إلى الأمر من هذه الزاوية، يكشف عن قسوة استعمارية يمكن أن يفخر بها الرأسمالي الصناعي التاريخي جون روكفلر، في إشارة إلى قسوة فلسفة الرأسماليين الأوائل.

ويوضح أن رأسمالية الترصد الجديدة تعتمد أولا على الاستيلاء المتعجرف على البيانات السلوكية للمستخدمين، التي تعتبرها مادة خامًا مشاعة، رغم أن المستخدمين لم يصرحوا لها بذلك، ثم تستخدمها بطريقة غير شفافة لتكريس جهل المستهلكين وتبعيتهم للشركات العملاقة التي تقودهم حيث تشاء.

اللافت أن هذا التحول الخطير يجري في ظل غياب القوانين والسلطات الرقابية أو مجرد القليل جدا منها، حيث لا يمكن لأي جهة في العالم أن تسبر أغوار ما تجمعه تلك الشركات مهما بلغت الأدوات التنظيمية والرقابية.

وتظهر وقاحة هذا التوجه على سبيل المثال في قيام غوغل بتصوير جميع الشوارع والمساكن والبنايات في العالم دون أن تطلب إذنا من أحد، أو قرارها إنشاء نسخ رقمية لجميع الكتب على مرّ التاريخ وتخزينها دون أخذ حقوق الملكية الفكرية بنظر الاعتبار.

وفي مثال آخر إطلاق فيسبوك لتقنية "بيكون" المثيرة للجدل، والتي تأخذ أنشطة بعض المستخدمين وتنشرها في صفحات مستخدمين آخرين دون إذنهم أو حتى علمهم.

لم يعد قول الخبير الأمني بروس شناير قبل سنوات إن "الترصد هو محور نموذج أعمال شركات الإنترنت" يعبر سوى عن جزء بسيط من المخاطر، التي تسلط شوشانا زوبوف الضوء عليها في كتابها الجديد.

وتتفاقم المخاطر حين نجمع مراقبة الدولة مع ترصد شركات التكنولوجيا الرقمية وتؤدي إلى تقسيم المجتمعات إلى كتلتين، إحداهما أقلية غير مرئية تراقب الآخرين وغير خاضعة للمساءلة والأخرى أغلبية تجري مراقبة جميع حركاتها وسكناتها.

ويحذر ناوتون من العواقب الخطيرة لهذا الواقع الجديد على الديمقراطية. ويقول إن المجتمعات لا تزال تملك بعض السلطة على درجة الرقابة التي تمارسها الدولة، لكنها في المقابل لا تملك أي إشراف تنظيمي فعال على نشاط الشركات. ويرى أن ذلك أمر لا يمكن قبوله.

ويبدو أن الإيقاع السريع الذي تسير فيه رأسمالية المراقبة والترصد يجعل من الصعب وربما من المستحيل إصلاح الخلل لأنه يتطلب معالجة جوهر المشكلة التي أفلتت من أي إمكانية للمراجعة أو اللحاق بها.

وتقول زوبوف إن مطالبة الشركات التي تراقبنا باحترام الخصوصية أو الضغط من أجل وضع حد للمراقبة التجارية مثير للسخرية ويشبه مطالبة الزرافة بتقصير رقبتها، لأن هذه المطالب تمثل تهديدا وجوديا لتلك الكيانات وهي بالتأكيد لن تستسلم بسهولة.

وتشير إلى أن رأسمالية المراقبة بدأت عام 2001 وأن غوغل كانت خلف ظهورها كحل للطوارئ المالية، حين واجهت شركات الإنترنت الناشئة أزمة فقدان ثقة المستثمرين خلال الأزمة التي عرفت بفقاعة الدوت كوم.

وحين تصاعدت ضغوط المستثمرين قررت غوغل زيادة أرباح الإعلانات عن طريق استخدام وصولها الحصري إلى سجلات بيانات المستخدمين، إضافة إلى قدراتها التحليلية الكبيرة لإنشاء توقعات من الروابط التي يفتحها المستخدمون عبر محرّك بحثها العملاق لمعرفة الأماكن الأنسب لوضع الإعلانات.

ومن الناحية التشغيلية ومع تقدم الذكاء الاصطناعي، تمكنت غوغل من إعادة توظيف مخزونها المتنامي من البيانات السلوكية وطوّرت أساليب البحث عن مصادر جديدة لتلك البيانات بعد أن أدركت أنها تملك منجما لا ينضب.

كما طورت أساليب سرية لالتقاط البيانات يمكنها حتى أن تكشف عن البيانات التي اختار المستخدمون عن عمد الحفاظ على خصوصيتها، إضافة إلى استنتاج المعلومات الشخصية التي لم يقدمها المستخدمون.

هكذا أصبحت البيانات قاعدة للتنبؤات الجديدة، وظهر عالم جديد لم يكن في الحسبان يطلق عليه اسم "علوم فائض البيانات السلوكية".

ومع ارتفاع معدلات تصفح الإنترنت، أصبح الإعلان في نهاية المطاف حجر الزاوية لظهور نوع جديد من التجارة التي تعتمد على المراقبة الإلكترونية على نطاق واسع.

وتقول زوبوف إن هذه الآليات الجديدة أصبحت مرئية فقط عندما تم إدراج مجموعة ألفابيت المالكة لشركة غوغل في أسواق الأسهم عام 2004 حين أعلنت خلال العملية أن إيراداتها تضاعفت بنحو 36 مرة بين عامي 2001 و2004.

شوشانا زوبوف:
مطالبة شركات التكنولوجيا باحترام الخصوصية مثيرة للسخرية مثل مطالبة زرافة بتقصير رقبتها

وتضيف أن رأسمالية الترصد بدأت بالإعلان لكنها لم تعد تقتصر عليه، إذ سرعان ما أصبحت النموذج الأساسي لتراكم رأس المال في وادي السليكون، بعد أن احتضنتها جميع الشركات والتطبيقات الناشئة تقريبا.

وتشير زوبوف إلى أن شيريل ساندبرغ التي كانت تعمل مديرة تنفيذية في غوغل هي التي نقلت فلسفة رأسمالية الترصد إلى فيسبوك حين انتقلت في عام 2008 لتصبح المسؤول الثاني في إدارة فيسبوك بعد مارك زوكربيرغ.

اليوم لم تعد رأسمالية الترصد والمراقبة محور عمل عدد من الشركات فقط، بل انتقلت إلى عدد هائل من الشركات والمنتجات والخدمات والأعمال الاقتصادية وبضمنها قطاعات التأمين ومبيعات التجزئة والتمويل والترفيه والنقل.

وأصبحت محركا لتوليد أنظمة جديدة متكاملة من الموردين والمنتجين والعملاء وصانعي السوق، بل إنها انتقلت أيضا إلى النشاطات غير الربحية والخدمات العامة مثل الرعاية الصحية والتعليم.

وتقول زوبوف إن جميع المنتجات أو الخدمات التي تبدأ بكلمة ذكية وكل جهاز يدعم الإنترنت وكل مساعد رقمي، هي قنوات لتدفق البيانات السلوكية التي تنتهي في نهاية المطاف في مستودع لاستنتاج وتحديد ملامح مستقبل اقتصاد الترصد والمراقبة.

غوغل أطلقت شرارة رأسمالية المراقبة والترصد عام 2001 لمواجهة فقدان ثقة المستثمرين خلال أزمة شركات الدوت كوم

ساعة فقط من التمارين المعتدلة اليومية تطيل عمر النساء

تجاوز المدة المحددة للرياضة يقلب الفوائد إلى أضرار

تساعد ممارسة التمارين الرياضية على تحسين مستوى اللياقة والصحة لكل الأعمار وتتزايد أهميتها وفوائدها عند التقدم في السن، لكن فريقا من الباحثين بيّن أن الفترة المخصصة للتدريبات تختلف تأثيراتها بين النساء والرجال وقد يخلف عدم الالتزام بالقدر المسموح به من التمارين نتائج عكسية.

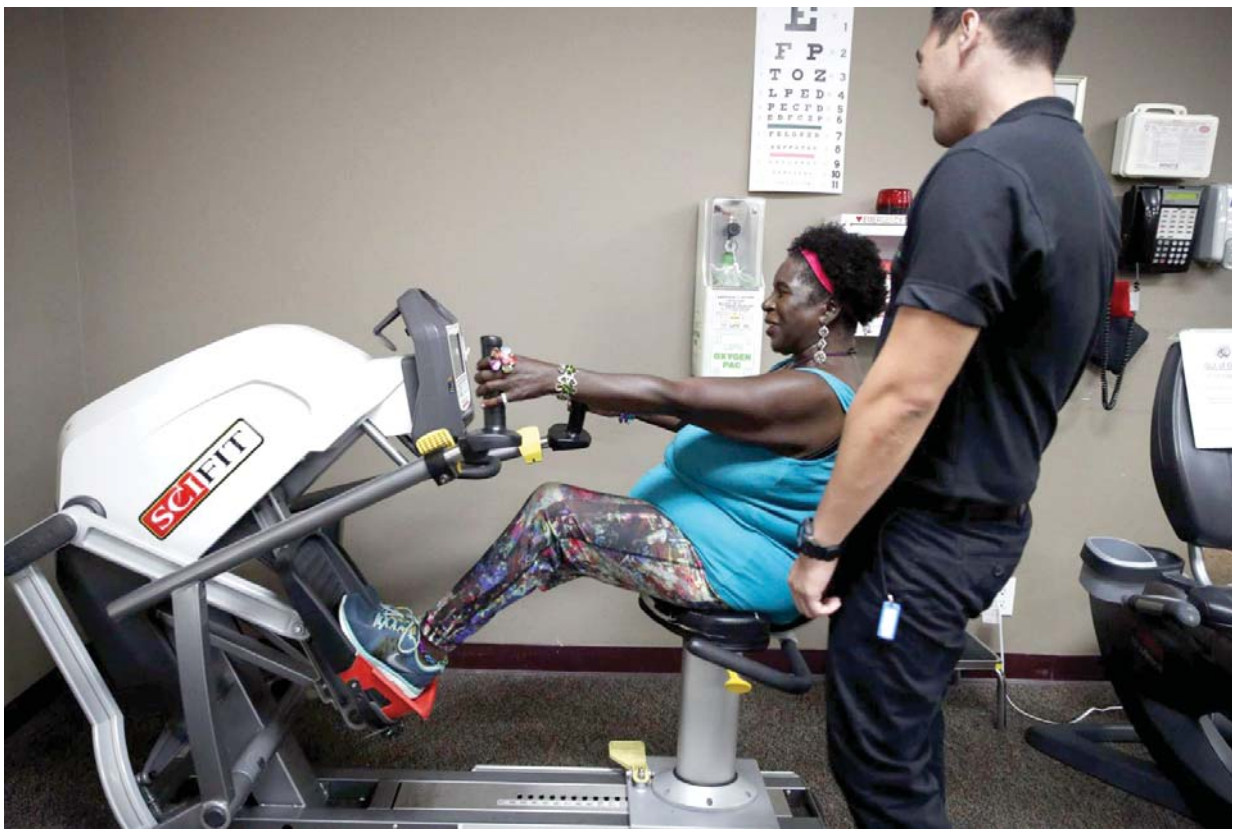

توازن الهرمونات يلعب دورا مهما في التخلص من دهون البطن

❏ **لندن** – توصلت دراسة جديدة إلى أنه لا ينبغي للمرأة ممارسة التمارين الرياضية لأكثر من ساعة يوميا في سن التقاعد، في حال رغبت في العيش عمرا أطول.

وتتبع الباحثون حالة نحو 8 آلاف رجل وامرأة، منذ أواخر الستينات من أعمارهم، مع مراقبة مقدار النشاط البدني الذي قاموا به خلال السنوات الـ22 اللاحقة أو نحو ذلك.

ونشرت صحيفة ديلي ميل البريطانية نتائج الدراسة التي بينت أن الرجال الأكثر نشاطا شهدوا زيادة محتملة في العيش حتى سن التسعين، وفقا لما كتبه الباحثون في مجلة "بي.أم.جي" لعلم الأوبئة والصحة المجتمعية.

ولكن بالنسبة إلى النساء، بلغت الفوائد المرجوة ذروتها عند ممارسة الرياضة مدة ساعة في اليوم، ثم بدأت في الانخفاض عند تجاوز هذه المدة.

> علماء هولنديون توصلوا إلى أن التمارين الرياضية لها تأثير كبير في فرص البقاء على قيد الحياة لأطول فترة محتملة

وشملت الدراسة التمارين الرياضية المعتدلة والبسيطة، مثل المشي أو ركوب الدراجات. وتوصل الباحثون إلى أن 17 بالمئة من الرجال و34 بالمئة من النساء، ظلوا على قيد الحياة حتى سن التسعين.

ولكن علماء المركز الطبي بجامعة ماستريخت في هولندا، توصلوا إلى أن التمارين الرياضية كان لها تأثير كبير في فرص البقاء على قيد الحياة لأطول فترة محتملة.

وشهدت النساء اللاتي مارسن تمارين رياضية مدة 30 إلى 60 دقيقة يوميا، احتمالا أكبر للبقاء على قيد الحياة حتى سن الـ90 عاما، بنسبة 21 بالمئة، مقارنة مع ممارسة الرياضة لأكثر من ساعة.

وقال الباحثون "بينما يرتبط النشاط البدني بطول العمر لدى الجنسين، يبدو أنه كلما زاد الوقت الذي يقضيه الرجال في النشاط البدني يوميا، كان ذلك أفضل لتعزيز فرصهم في الوصول إلى مرحلة الشيخوخة، في حين أن 60 دقيقة من التمارين الرياضية يوميا، ارتبطت بارتفاع فرص عيش النساء مدة أطول. وارتفع متوسط العمر المتوقع خلال العقود القليلة الماضية، ولكنه بدأ مؤخرا في الانخفاض في بعض الدول المتقدمة، مع زيادة مستويات السمنة وعدم النشاط الجسدي الذي يُعتقد أنه كان وراء هذا الاتجاه السائد".

ولا يعرف الباحثون بالضبط سبب وجود اختلاف بين الجنسين، فيما يتعلق بتأثير التمرين على طول العمر، ولكن يمكن أن يتأثر بعوامل مثل الهرمونات والولادة والجينات وأسلوب الحياة.

ووجد الباحثون أيضا أن النساء اللاتي كن نحيفات، لديهن فرصة أكبر للعيش حتى سن التسعين، ولكن الطول والوزن لم يؤثرا على بقاء الرجال.

كما أفادت دراسة ألمانية سابقة بأن رياضة الرقص بجميع أنواعها لها تأثير مفيد في إبطاء وتيرة انخفاض القدرات العقلية والبدنية المرتبطة بتقدم العمر والشيخوخة.

أجرى الدراسة باحثون في "المركز الألماني للأمراض العصبية التنكسية" ونشروا نتائجها في دورية "فرونتييرز ان هيومن نوروساينس" العلمية.

وقال فريق البحث إن الأنشطة البدنية المختلفة يمكن أن يكون لها تأثير على الحد من شيخوخة الدماغ لدى كبار السن، لكن الرقص على وجه التحديد له تأثير أقوى من غيره من الأنشطة الرياضية.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، راقب الباحثون عددا من المتطوعين، يبلغ متوسط أعمارهم 68 عامًا، لمدة 18 شهرًا، وقسموهم إلى مجموعتين، الأولى انخرطت في جلسة أسبوعية لتعلم الرقص طوال فترة الدراسة، فيما مارست المجموعة الثانية تدريبات تتعلق بالتحمل والمرونة.

وبعد انتهاء الدراسة، أظهرت المجموعتان زيادة في منطقة الحصين من الدماغ، التي عادة ما تكون عرضة للانخفاض المرتبط بالعمر، وتتأثر بأمراض مثل الزهايمر، كما تلعب منطقة الحصين دورًا رئيسيًا في الذاكرة والتعلم، فضلا عن الحفاظ على التوازن.

لكن المجموعة التي مارست رياضة الرقص، اكتسبت تغييرات سلوكية إضافية من حيث تحسين التوازن والحد من آثار الشيخوخة على الجسم والدماغ.

ونقلت الدورية عن الدكتورة كاثرين ريهفيلد، قائدة فريق البحث الذي أنجز الدراسة، قولها إن "ممارسة الرياضة لها تأثير مفيد في التصدي لانخفاض القدرات العقلية والبدنية المرتبط بالعمر".

وأضافت "مرضى الخرف يتفاعلون بشدة عند الاستماع إلى الموسيقى، ونحن نريد الجمع بين النشاط البدني والموسيقى للحد من آثار الشيخوخة على الدماغ".

واختتمت بالقول "النشاط البدني هو أحد العوامل التي تبطئ تراجع القدرات البدنية والعقلية المرتبط بالعمر، وأعتقد أن الرقص هو أداة ناجعة لوضع تحديات جديدة للجسم والعقل، وخاصة في سن الشيخوخة".

وكشفت دراسات أخرى أن ممارسة الرياضة بانتظام تقلل من خطر إصابة كبار السّن بمرض الزهايمر، حيث تزيد من إمداد المخ بالدم الكافي لعمل منطقة الإدراك في الدماغ.

وعندما أجرت الجامعة الاتحادية في ريو دي جانيرو دراسةً حول أمراض الخرف، تبيّن في نتائجها أن التمارين الرياضية تساهم في استعادة الذاكرة لمن فقدها، وذلك عبر هرمون يُنتجه الجسم خلال النشاط الرياضي.

أظهرت الدراسة –التي استمرت 7 سنوات ونُشرت في مجلة "طب الطبيعة"– التأثير الإيجابي لهرمون "إيريسين" الذي ينتجه الجسم خلال التمارين الرياضية، حيث يحمي وظائف الدماغ ويحافظ على الذاكرة والمهارات الفكرية.

أجريت التجربة على فئران مختبر تعاني من مرض الزهايمر، وبعد شهر من التمارين الرياضية تمكنت هذه الفئران من استعادة ذاكرتها عبر إنتاج هرمون إيريسين من خلال التمارين الرياضية.

لم تظهر النتائج إمكانية تعزيز هرمون إيريسين الوقايةَ من الزهايمر، لكنها أثبتت فعالية الهرمون الناتج عن التمارين الرياضية في معالجة العديد من أعراض المرض لدى فئران المختبر.

ومن ناحية أخرى أظهرت دراسة هولندية حديثة، أن النشاط البدني المعتدل يقلل من معدل الوفيات بين المرضى الذين يعانون من مرض السكري من النوع الثاني.

أجرى الدراسة باحثون في مركز ماكسيما الطبي في مدينة فيلدهوفن بهولندا ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية "يوروبين جورنال أوف بريفانتف كارديولوجي" العلمية. وأوضح الباحثون أن واحدا من كل 11 شخصا بالغا في جميع أنحاء العالم مصاب بالسكري، وأن 90 بالمئة منهم مصابون بالنوع الثاني.

وأضافوا أن معظم مرضى السكري من النوع الثاني تتطور لديهم مضاعفات المرض إلى الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، وهي الأسباب الرئيسية للوفاة بين مرضى السكري.

ولكشف العلاقة بين النشاط البدني والحد من الوفيات بين مرضى السكري، راقب الفريق مجموعتين من المرضى، الأولى أدخلت النشاط البدني ضمن حياتها الروتينية اليومية، فيما لم تفعل المجموعة الثانية ذلك.

> باحثون يؤكدون أن رياضة الرقص بجميع أنواعها مفيدة في إبطاء وتيرة انخفاض القدرات العقلية والبدنية المرتبطة بتقدم العمر

واكتشف الباحثون أن النشاط البدني المستمر يحد من عدد الوفيات بين مرضى السكري بين أفراد المجموعة الأولى مقارنة بالمجموعة الثانية.

وعن نوعية النشاط البدني المعتدل لمرضى السكري وخاصة المسنين، نصح الباحثون بصعود الدرج بدلًا من المصعد، والسير إلى السوبر ماركت، وهي أنشطة من شأنها تحسين نوعية الحياة.

ووجد الباحثون أن الأنشطة البدنية الخفيفة، يمكن أن تحسّن اللياقة القلبية التنفسية والسيطرة على نسبة السكر في الدم، إضافةً إلى خفض ضغط الدم المرتفع ودهون الدم الضارة، وجميع هذه العوامل يمكن أن تقلل الوفيات بين مرضى السكري.

وقال الدكتور هارلد كيمبس، قائد فريق البحث، إن "أنماط الحياة المستقرة والأنظمة الغذائية غير الصحية من أهم العوامل التي تزيد عدد مرضى السكري من النوع الثاني ومشكلات القلب والأوعية الدموية مثل الأزمات القلبية".

وأضاف أن "مرض السكري يضاعف خطر الوفاة، ولسوء الحظ فإن أغلب مرضى السكري لا يشاركون في برامج التمارين الرياضية".

وأشار كيمبس إلى أن "هناك خطوات يمكن أن يتّخذها المرضى دون الحاجة إلى زيارة الطبيب، ومنها القيام بتمارين معتدلة كالمشي وركوب الدراجات أو الذهاب إلى السوق المجاورة، وكلها تمارين تعزّز جودة حياتهم".

ووفقا لمنظمة الصحة العالمية، فإن السكري من النوع الثاني يظهر جرّاء فرط الوزن وقلّة النشاط البدني، ومع مرور الوقت يمكن للمستويات المرتفعة من السكر في الدم أن تزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب، والعمى والأعصاب والفشل الكلوي.

هل تتفوق البوديتاك على سحر التمارين الكلاسيكية

سمية قيزاني
صحافية تونسية

❏ يتعجل الإنسان الحديث في كل أمر ويرغب في الحصول على أفضل النتائج في أقصر وقت ممكن، حتى دون أن يكلف نفسه بذل الجهد. ينسحب هذا الاستعجال على جميع اهتماماته فهو يحلم بنجاحات قياسية وإنجازات فورية حتى في ما يتعلق بصحته ولياقته البدنية. وقد صارت ممارسة الرياضة وسيلة للحصول على أجسام رشيقة وذات بنية قوية، في وقت قياسي، دون الاكتراث لحاجة الجسم والروح معا إلى قضاء فترة أطول من التدرب في الهواء الطلق وتمتيع جميع الحواس، في الآن نفسه، بين أحضان الطبيعة.

تفنن أخصائيو اللياقة البدنية وصناع الأجهزة الرياضية في ابتكار آلات وتقنيات مختلفة لكسب الوقت وبذل جهد أقل. وهم بذلك يستهدفون من يقضون النصيب الأوفر من وقتهم في الوظيفة ولا تتوفر لهم دائما فرص مناسبة لممارسة الرياضة.

وهذا تماما ما ركز عليه مبتكرو تمارين "البوديتاك"، وهي تقنية تعتمد على تحفيز العضلات باستخدام الكهرباء التي تصل إلى الألياف العضلية في بضع دقائق. وهو ما أكده اللاعب الدولي التونسي السابق لكرة اليد، أنور عياد بقوله "البوديتاك تقنية متطورة جدا يقبل عليها الرياضيون المحترفون وهي موجهة أيضا للأشخاص الذين لم يتعودوا على ممارسة الرياضة... والذين يريدون تحقيق النتائج بسرعة دون الشعور بالتعب.. هؤلاء يمكنهم ممارسة تمارين البوديتاك مدة 20 دقيقة فقط في الأسبوع وهي فترة تعادل في نتائجها ما يتحقق بعد قضاء 4 ساعات من تدريبات كمال الأجسام".

وفي تفسير عياد فإن تدريبات البوديتاك المكثفة تكون في شكل انقباضات عضلية نتيجة استخدام الكهرباء ويمكنها استبدال التمارين الكلاسيكية لأنها قادرة على توفير جرعات النشاط المطلوبة، خلال أسبوع.

قد يضطر البعض إلى اللجوء لقاعات الرياضة المخصصة للبوديتاك التي تختصر الوقت، لكن هل توفر دقائقها المعدودة السعادة التي توفرها الرياضة الكلاسيكية في الهواء الطلق؟ عندما نركض أو نمشي أو نركب الدراجات ونتنقل من مكان إلى آخر نحرر هرمون السعادة (إندورفين) داخلنا وننشرها من حولنا. وفي تقدير الباحثين فإن تحقيق الهدف الأسبوعي المتمثل في 150 دقيقة من النشاط البدني المعتدل إلى القوي، مرتبط أساسا بمستوى أعلى من السعادة، بينما تضطرنا تقنية البوديتاك إلى البقاء داخل قاعة مغلقة وتجعل كل تركيزنا منصبّا على أداء الحركات التي تعزز عمل الكهرباء وتأثيره في عضلاتنا ولا تترك لنا المجال للاستمتاع، فقط الشعور بالألم نتيجة الانقباضات المكثفة للعضلات.

علاوة على ذلك، كشفت دراسة ألمانية سابقة أن ممارسة تمارين التحفيز الكهربائي للعضلات بشدة أو لعدة مرات في الأسبوع أو دون إشراف متخصصين في الرياضة، يمكن أن تؤدي إلى نتائج مضرّة بالصحة، بل إن المبالغة في ممارستها يوميا، بهدف تحقيق أفضل النتائج بأقصى سرعة، تستنزف العضلات وتلحق بها أضرارا.

ويحذر البروفيسور شتيفان كنيشت، رئيس الأطباء المتخصص في عيادة سانت موريتيوس للطب الرياضي، من أن المبالغة في هذه الرياضة قد تضر العضلات والكلية.

واستشهد الطبيب بدراسة أجراها الأطباء في جامعة كولون الرياضية، جاء فيها أن ممارسة رياضة التحفيز الكهربائي العضلي بشدة ترفع معدلات انزيم "كرياتين-كينيز" 18 مرة في الجسم أكثر من المعدل المعتاد في التمارين الرياضية الأخرى.

ومادة كرياتين-كينيز عبارة عن انزيم وظيفته توفير الطاقة للعضلات، ويمكن لارتفاع معدلاته أن يسبّب اضطرابا في عمل الكليتين، وأن يؤدي إلى إصابة العضلات بتمزقات وأضرار.

عبر عن نفسك بسيارتك الفاخرة: هوس الشباب لا يعيقه المال

سباق على استعراض أنواع السيارات بين شباب لا يملكون ثمن دراجة

اقتناء السيارات الفاخرة واستعراضها تحوّل إلى هوس لدى الشباب في السنوات الأخيرة، ولم تعد محدودية الدخل المادي عائقا أمامهم بوجود وكالات السيارات التي تؤمن للشاب رفاهية حتى ليوم واحد بسعر معقول.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

حلم الشباب

❏ تشكلت صورة الممثل المصري محمد رمضان بأذهان معجبيه من الشباب، مرفقة بأسطول من السيارات الفاخرة؛ فيراري، ماكلارين، لامبورغيني، لاند روفير ورولز رويس، بصفة استعراضية على مواقع التواصل الاجتماعي، غير آبه بالانتقاد والهجوم من قبل الكثيرين، لكن رمضان لا يشكل ظاهرة فريدة من نوعها، إذ لطالما كانت السيارات هوسا للشباب بمن فيهم ذوو الدخل المحدود.

وتسيطر ظاهرة شراء السيارات باهظة الثمن على سلوك بعض الشباب، الذين يتسابقون على اقتناء الأحدث والأغلى منها، ليس في دول الخليج العربي التي تعتبر سوقا نشطة مستهدفة من قبل شركات السيارات العالمية فحسب، بل تشمل أيضا دولا أخرى في المنطقة ولو أن الأمر فيها أقل انتشارا.

ويحيل الحديث عن اقتناء الشباب للسيارات بالضرورة إلى استعراضها والمغامرة بقيادتها في أماكن عديدة من الجبال والوديان إلى المناطق الصحراوية وتحولها إلى رياضة، لكن المشكلة تكمن في تجاهل الشباب لإجراءات الأمن والسلامة المتبعة، والمبالغة في الاستمتاع بأجواء الاستعراض التي تؤدي أحيانا إلى وقوع أخطار وأضرار جسيمة على سائق السيارة أو الآخرين.

ويعتبر موسم التخييم في الإمارات مناسبة ينتظرها الشباب لممارسة شغفهم بالقيادة واستعراض قدرات سياراتهم على رمال الصحراء، إلا أن التنافس بين الشباب يصل إلى حدود المغامرة غير المحسوبة أثناء الصعود والهبوط على الكثبان الرملية دون أن يحملوا رخصة سياقة وبالتالي تنتج عنها حوادث ومخاطر عديدة، وتتحول أجواء الترفيه والاستمتاع إلى كوارث، إضافة إلى تخريب البيئة الصحراوية والبرية وإبادة النباتات.

ويؤكد الممارسون لهذه الرياضة أن استعراض السيارات وفن القيادة يحتاج إلى الكثير من مبادرات التوعية والإرشاد، التي تسهم إلى حد ما في تقليل نسبة الحوادث الناتجة عن هذا النشاط، وتشهد منطقة العديد في الإمارات الكثير من الاستعراضات ولكنها ما زالت بحاجة إلى تنظيم قواعد تحكم المنافسات والسباقات وشروط أمان لمنع غير المؤهلين من الشباب لممارستها، تجنبا لوقوع الحوادث بين الحين والآخر.

ويعتبر الممارسون لهذه الرياضة، أن حماية الشباب والحفاظ على أرواحهم تعد مسؤولية مجتمعية، وهنا يأتي دور الرقابة من الجهات المعنية وتوفير آليات محددة وواضحة لتلك الاستعراضات وعدم تركها لمن يرغب في ممارستها أو في ظل غياب الرقابة والهدف من ذلك في المقام الأول هو الحفاظ على حياة الشباب من أيّ أذى أو أخطار.

واقترح البعض وضع لوحات إرشادية وتوعوية للشباب في أماكن الاستعراض فضلا عن وجود مشرفين من الجهات المعنية وتوفير عدد من المسعفين خاصة أن موسم التخييم يحصد عددا من الشباب بسبب رياضة الاستعراضات لذلك يجب أن تكون هناك ضوابط محددة تنظمّ هذه الرياضة.

وقبل أيام تم إنقاذ شابين إماراتيين بعد أن علقت سيارة الدفع الرباعية التي كانا يركبانها في رمال الصحراء على الحدود السعودية. حيث فُقدا إثر مرورهما بمنطقة تبعد حوالي 68 كم جنوب مركز الشبيطة في منطقة الربع الخالي.

وقد نشر حرس الحدود السعودي صورا للمركبة ومالكيها على موقع تويتر مع بيان يكشف كيف نجحت عملية الإنقاذ بعد خمسة أيام من تعطل المركبة في الربع الخالي بالصحراء السعودية.

وتنظم الإمارات العديد من البطولات في سباق السيارات، وتستقطب هواة القيادة، وتوجد في أبوظبي حلبة ياس وفي دبي أوتودروم وفي الشارقة نادي الإمارات للسيارات وفي أم القيوين نادي الإمارات موتوربلكس.

المال ليس مشكلة

وقيادة السيارات الفاخرة واستعراضها لم تعد حكرا على طبقات محددة من المجتمع، إذ انتشرت ظاهرة استئجار السيارات بين الشباب الجزائري بشكل كبير بمن فيهم ذوو الدخل المحدود، ووجد بعض الشباب أن امتلاك سيارة فاخرة، لا يمكن أن يتحقق إلا بعد سنوات طويلة من العمل الشاق في ظل الظروف الحالية التي تمر بها البلاد، فيختصر العديد منهم هذه السنوات باستئجار سيارة، في كل مرة تتوفر لديه القيمة المالية المطلوبة للحصول عليها.

ولا يحتاج الأمر سوى إلى جواز سفر ومبلغ ليس كبيرا لاستئجار السيارة، ويجري استعراضها في الشوارع العامة والساحات، وخاصة في المناسبات والأعياد، لهدف واحد وهو الاستمتاع بقدر من الرفاهية ولو ليوم واحد، ويختلف نوع السيارة بحسب قدرة الشاب المالية، لكنه في كل الأحوال لا يعتبر مرهقا له.

والمفارقة أن أحد الشباب دأب على استئجار سيارات متنوعة من عدة وكالات لتفوق القيمة الإجمالية ثمن سيارة حديثة، وهي حالة تشير إلى الكثير من الشباب اليوم الباحث عن الرفاهية وهوس قيادة السيارات الفاخرة.

وفي بعض الحالات، لم يكن الشاب يملك حتى رخصة قيادة لكنه لا يجد حرجا في القيام بحركات خطيرة في الشوارع العامة، كانت نتيجتها حوادث مرور مميتة أودت بحياة العديد من الناس، وأغلب هؤلاء لم يصلوا إلى السن القانونية للقيادة.

يهدف الشباب غالبا من استعراض السيارات والمفاخرة بها إلى نيل إعجاب الفتيات والاستحواذ على قلوبهن، ومع انتشار ظاهرة استئجار السيارات الفاخرة في الجزائر أصبح الأمر أشبه بوسيلة للتحايل والخداع، واستطاع البعض من الشباب إيقاع فتيات في شباكهم، ليكتشفن لاحقا حقيقة عدم امتلاك الشاب ثمن دراجة نارية.

واستفاقت الكثير من الفتيات على واقع الارتباط بزوج لا يملك سوى دخل شهري يعينه على إكمال المستلزمات الضرورية حتى آخر الشهر، وقد تكون أحيانا محظوظة بذلك.

وتشير الدراسات النفسية إلى أن حب الظهور والتميز بمظهر لا يعكس الواقع الصحيح للفرد، قد يعرض الإنسان إلى بعض المشاكل نتيجة سعيه إلى إشباع رغباته لعوامل عديدة منها الشخصية أو المادية أو الاجتماعية.

وهنا تأتي قدرة الإنسان الطبيعي على التكيف مع هذه الظروف وتحقيق التوافق المطلوب والعيش بحسب قدراته، لأن التكيف مع وضعه المادي يحمي حاضره ومستقبله.

إلا أن البعض من الشباب قد يصاب بأمراض وأزمات نفسية مثل الاكتئاب والإحباط بسبب عدم قدرته على التكيف مع ما يراه حوله من مغريات ومظاهر ثراء وتفاخر ونتيجة لقلة الوعي وثقافة المجتمع التي أصبحت تركز على المظاهر بشكل كبير، فيتحول تفكيره نحو البحث عن حلول مؤقتة وتعتبر حيلا دفاعية حتى يظهر بالشكل الذي يتمناه فيظهر مثلا كرجل ذي شخصية مهمة من خلال سيارته الفاخرة، لنكتشف بعد ذلك أنه شخص غارق في الديون ودخله محدود.

ولن يحقق هذا الشخص الرضا المطلوب لأن سعادته مؤقتة وسيعيش حالة من التوتر والاضطراب لأنه لا يعيش واقعا حقيقيا بل هو يعيش حالة من خداع النفس.

تعديل السيارات

انتشرت هواية تعديل السيارات بين الشباب في مختلف أنحاء العالم في السنوات الأخيرة مما دفع بعضهم إلى إنفاق مبالغ طائلة عليها، وبالرغم من الإبداعات الجميلة لهواة تعديل السيارات إلا أنهم يعانون من ملاحقة المرور والشرطة لهم بسبب مخالفة القانون، بعد تعديل مواصفات المنشأ. ويصبحون عرضة لحجز المركبات أو تغريمهم مخالفات كبيرة، كما يحدث في السعودية.

ويصف أحد الهواة تجربته في هذا المجال بالقول "السيارات الكلاسيكية تعتبر أحسن من الجديدة، ولأن صناعتها أفضل فتعديلها أيضا أفضل، مثل سيارات الكابرس، الكامري والألتيما، فالتعديل هواية جميلة لكن للأسف لا توجد مسابقات أو منافسات تتيح لنا التعديل بكل راحة وسهولة، كما أن الدوريات المرورية تخالفنا بشكل مستمر بسبب التعديل".

ويعتبر البعض أن هواية تعديل السيارات لا تحمل مخاطر مثل استعراض فنون القيادة الخطرة، وهي متنفس جيد للشباب تثنيهم عن سلوك دروب أخرى، وفق ما يؤكده أحمد المدني من الأردن، إذ يقول إنه تعرض لمخالفات عديدة بسبب تعديل مواصفات السيارات، ويتمنى أن يسمحوا للشباب بممارسة هذه الهواية.

> هواية تعديل السيارات لا تحمل مخاطر مثل استعراض فنون القيادة الخطرة، وهي متنفس جيد للشباب تثنيهم عن سلوك دروب أخرى

وأضاف، إنها "هواية مفيدة وممتعة في نفس الوقت ومن الممكن أن تبعد الشباب عن الانحراف أو المخدرات خاصة أنها تحتاج إلى جمع مبلغ من المال ليصل إلى التصميم الذي يريده، وهي أفضل استثمار لطاقة الشباب، فأيهم أفضل، أن يتوجه الشاب لتعديل سيارته الشخصية أو يتوجه إلى اهتمامات أخرى سلبية".

وفي مصر أيضا فقد أصبح اهتمام الشباب بتعديل السيارات من أجل التظاهر والتفاخر فقط، حيث توجد العديد من كماليات السيارات باهظة الثمن.

ولم يقتصر تزيين السيارات من أجل الشكل الخارجي فقط، كالملصقات والزجاج الملون، بل من الضروري عند الشاب، تعديل محرك السيارة من أجل تطوير السيارة والزيادة من قوتها، بالإضافة إلى تعديل حجم عجلات السيارة، وأيضا فرش المقاعد، إضافة إلى تطوير أنظمة الصوت، والإضاءة الخارجية لها، بمعنى آخر تعديل كامل للسيارة.

وتعد هواية تعديل السيارات صناعة إذا تم تبنيها وفق خطط وبرامج صناعية مدروسة وطموحة، فبحسب خبراء اقتصاد فإن تقنين ورعاية هواة تعديل السيارات سيشجع على دخول الشركات المهتمة بإكسسوارات السيارات في الداخل والخارج إلى السوق المحلية، والعمل على إيجاد هذا النوع من الصناعة، كما يحصل في بعض دول العالم.

مثنى وثلاث ورباع: اختبار ترفضه التونسيات

تعدد الزوجات يثير الجدل مجددا في تونس

المرأة التونسية ليست في حاجة إلى إثبات براءتها وعدم الانصياع وراء تنظيمات افتراضية تنادي بالحق في تعدد الزوجات، ذلك أن هذا التشويه المقصود هو ضريبة أخرى تدفعها المرأة ضد نجاحاتها وقدرتها على إثبات ذاتها وكينونتها داخل مجتمع آمن بها وبمهاراتها وحصّنها ضد كل الهجمات الخارجية والداخلية المقزّمة لها، لذلك لا يمكن اعتبارها وراء هذه الأفكار الرجعية، لاسيما وأنها تشكل ملفا ساخنا على طاولات بعض دول الجوار التي تناقش حصولها على حق المساواة في الميراث.

بنات الزعيم بورقيبة يرفضن الحياد عن درب الحداثة

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❑ **تونس** – "عندما يكثر الحديث عنك فتأكد أنك قد أشغلت من حولك لدرجة أنهم تركوا ما يعنيهم واهتموا بك، فواصل نجاحك ودع لهم متعة الحديث"، مقولة يمكن أن تصف بدقة وضع المرأة التونسية الراهن، حيث تحولت طيلة أسبوع إلى مادة دسمة تلوكها مختلف منصات التواصل الاجتماعي والمواقع الإخبارية الإلكترونية، وتحاول شدها إلى الوراء تحت مسمى المطالبة بتعدد الزوجات.

وكشف الانتشار السريع لإشاعة مفادها تنظيم وقفة احتجاجية نسائية، الخميس الماضي، عن تضارب في الآراء حاول أن يزعزع من مكانة المرأة التونسية وأن يعيد صراعها مع المجتمع البطريركي إلى الواجهة بعد سنين طويلة من الكفاح جاوزت بثمارها بقية نظيراتها بمختلف دول الوطن العربي.

هذه الإشاعة المغرضة التي يرجح البعض أن مطلقها فتحي الزغل، وهو محلل سياسي، معروف بمواقفه المطالبة بمراجعة مجلة الأحوال الشخصية وإقرار تعدد الزوجات، هدفها النيل من "إمبراطورية تونس النسائية" الناجحة، إذ كيف للمرأة التي لعبت دورا كبيرا في النهوض بوطنها وقطعت أشواطا في ذلك مقارنة بنظيراتها أن ترضى على نفسها أن تكون في مرتبة ثانية أو ثالثة أو حتى رابعة في حياة رجل، وهي التي تبادلت في دراما كوميدية مقتبسة من المسلسل السوري الذي نال أكبر نسبة مشاهدين "باب الحارة" تحت نفس العنوان الأدوار الرئيسية مع الرجل، لتصبح المتحكم والمسيّر للأحداث وتسحب البساط من تحت فحولة ذكورية كانت طاغية على النسخة السورية، وذلك في إشارة ضمنية لما وصلت إليه المرأة في المجتمع التونسي.

ولئن عجّت مختلف صفحات وسائل التواصل الاجتماعي بتعليقات ساخرة تحط من قيمة المرأة التونسية، فإنه لا يمكن إنكار وعي مجتمعي بأن هذه البلبلة دافعها تشويه مقصود للتونسيات ولنجاح التجربة التونسية التي راهنت على قدرات المرأة.

وفي الوقت الذي تشيد فيه الكثير من الدول بانفتاح تونس واستثمارها لكفاءاتها النسائية جنبا إلى جنب مع الرجل، حاولت عدة أطراف مجهولة تزعم أنها نسائية أغلبها تنشط تحت أسماء مستعارة وتنادي بتعدد الزوجات عبر عدد من "الغروبات" على فيسبوك، أن تحيد بالمرأة التونسية عن مسار رسمته العديد من التونسيات حتى قبل إقرار مجلة الأحوال الشخصية التي تحفظ لهن حقوقهن كافة، حيث برزت أسماء لمع صيتها إلى اليوم، تاركات بصمة في تاريخ حافل بالنجاحات النسائية، على غرار توحيدة بن الشيخ وهي أول طبيبة لا فقط في تونس بل وفي المغرب العربي، وأيضا حبيبة الجيلاني الحرشاني والتي كانت أول جرّاحة صدر تونسية وأفريقية.

وهناك شخصية نسائية تونسية نالت مكانة هامة غرست في تراث وتاريخ البلاد وكانت محط اهتمام العديد من الكتب والأبحاث التاريخية، بالإضافة إلى الكثير من الأعمال الفنية سواء في الأناشيد الصوفية أو في السينما، ألا وهي عائشة المنوبية التي اشتهرت بالسيدة المنوبية أو للاّ المنوبية، حيث اعتُبر بروزها كامرأة على قدر عال من التعليم والنّشاط الدعوي والخيري حدثا غير مألوف في عصرها.

والأمثلة كثيرة ولا يمكن حصرها فالمرأة التونسية قدمت ولا تزال الكثير من الإنجازات العظيمة وطرقت كل المجالات والاختصاصات دون استثناء وحصدت جوائز وإشادات محلية وإقليمية وعالمية.

إلهاء الرأي العام

يبدو أن الغاية من هذه الوقفة الوهمية التي حاول مروجوها إعطاءها صبغة أنثوية صرفة، إثارة شهية الذين يبغضون نجاح المرأة للنيل منها من خلال تعليقات ساخرة محملة بنعوت تقزمها من ناحية، وتصرف الرأي العام عن قضايا أكثر أهمية من مسألة تعدد الزوجات التي كانت تونس طوت صفحتها منذ صيف 1956 من ناحية أخرى.

وحول ما أثاره اعتزام مجموعة من التونسيات من تنظيم لوقفة احتجاجية أمام مجلس النواب للمطالبة بإقرار تعدد الزوجات من جدل واسع وهجوم شرس ضد المطالبات بالتعدد الزوجي، يرى الدكتور في علم الاجتماع الطيب الطويلي أن "تنظيم مثل هذه الوقفات يمثل شكلا طبيعيا من أشكال الديمقراطية، فالمفهوم الحقيقي للديمقراطية يكون مبنيا على تقبل الرأي المخالف واحترامه والسماح لمتبنيه بالتعبير عنه بأشكال سلمية وقانونية. وعلى الشعوب الواجة حديثا من بوابة الديمقراطية أن تتعوّد على تقبّل الآراء المخالفة مهما تكن درجة حدتها وتطرفها ما لم يكن فيها مساس بالأمن أو السلم الاجتماعي".

وأكد الطويلي في حديثه لـ"العرب"، "في تقديري أن هذه المسيرة هي شكل من أشكال إلهاء الرأي العام أو إشغاله عن قضاياه الأساسية التي تزداد تفاقما يوما بعد يوم مثل غلاء المعيشة والفساد والتهريب وغيرها، فهذا المطلب يعتبر رجعيا في مجتمع تونسي تطورت فيه المرأة وخرجت من أنماط التمثل التي كانت سائدة ونجحت في تأكيد دورها المجتمعي، وخروجها من قوالب الهيمنة الذكورية التي احتجزت فيها المرأة الشرقية منذ قرون".

وأضاف "صحيح أن هذه الحركة أكدت أنها عفوية لا سند حزبيا أو سياسيا لها، وهي قائمة على مجموعة من النساء الراغبات في إيجاد حلول لوضعياتهن المدنية، ولكن البعد السياسي والأيديولوجي بيّن، كما أن فيه استغلالا للظروف النفسية والاجتماعية لبعض النسوة اللاتي تأخر بهن سن الزواج ويبحثن عن مخرج لوضعياتهن".

وأوضح أنه على الرغم من أن "نسبة العنوسة في تونس جاوزت الستين بالمئة حسب بعض الإحصائيات، ولكن مردّ ذلك في كثير من الأحيان إلى أن المرأة التونسية تقدّم مسيرتها الأكاديمية والمهنية على الزواج، كما أنها لا تقبل بالزواج إلا بعد فرز دقيق للشريك، ووفق شروطها ومعاييرها الخاصة وبما يحفظ كرامتها، وإن وجدت في زواجها ما يضير توازنها النفسي والاجتماعي فهي تميل إلى الطلاق، فمشكلات الزواج أو العنوسة تمثل مشكلات ثانوية لدى المرأة التونسية التي مثلت فاعلا أساسيا في بناء الدولة الوطنية وشاركت في الثورة التونسية، وهي في طور المشاركة الفعلية في بناء مؤسسات المجتمع المدني في تونس".

ولهذا فإن المرأة التونسية بمنأى عن هذا التفكير الرجعي لأنه من غير الوارد أن تقدم ما حققته من مكاسب ونجاحات حتى الآن قربانا مقابل الحصول على نصف رجل أو ربع أو ثلث، فقد غاب عن من حمل شعار "يا واقفة في باردو يا درويشة كانك على مسعود خذاته عيشة" أن تأخر المرأة التونسية في الزواج غالبا ما يكون اختياريا تحكمه مثابرتها وإصرارها على ارتقاء سلم النجاح الدراسي والمهني، فهي تعطي الأولوية لتحقيق ذاتها قبل التفكير في الارتباط وتحمل تابعاته.

أول ناموس تونسي

يقول البعض إن الوقفة النسائية غايتها المطالبة بتعديل مجلة الأحوال الشخصية التي صدرت إثر حصول تونس على الاستقلال وكانت أول ناموس تونسي يتم إقراره حتى قبل صياغة دستور للبلاد، وهذا يظهر مدى أهمية المرأة التونسية في مجتمعها.

وعلى الرغم من حملة التشكيك في بنود المجلة التي قامت بإلغاء تعدد الزوجات، فإن الجميع يدرك أنها أعطت للمرأة مكانة هامة في المجتمع التونسي خصوصا والوطن العربي عموما، بالإضافة إلى أنها أفردت التونسية بعيد يحتفي بها في أغسطس من كل سنة يضاف إلى يوم المرأة العالمي في مارس، ليصبح عيدها عيدين.

ولم تكن هذه الدعوة لتنقيح مجلة الأحوال الشخصية هي الأولى من نوعها فقد سبق وأن طالبت خلال ندوة حول مكاسب المرأة التونسية عقدت سنة 2012، إحدى السيدات المشاركات إلى معالجة ظاهرة العنوسة بتغيير قانون مجلة الأحوال الشخصية الذي يمنع تعدد الزوجات، مبررة رأيها بأن التعدد هو حل مناسب لبعض المشكلات الاجتماعية والحد من "ارتفاع عدد العوانس وتزايد الانحلال الأخلاقي والليبرالية المفرطة التي تسمح بإقامة علاقات خارج الزواج".

لكن إذا طالبت المرأة التونسية بتعدد الزوجات للحد من انتشار العنوسة في بلدها، فماذا سيكون وضع بقية النساء في الدول العربية الأخرى حيث التعدد من الأمور المستشرية بين جميع الأوساط غنيّها وفقيرها. كما أن التونسيين الذين وقفوا في وجه سفير تونس السابق لدى قطر أحمد القديدي الذي قام بنشر مقال سنة 2015 دعا فيه إلى السماح بتعدد الزوجات في تونس مندد ببعض البنود الواردة في مجلة الأحوال الشخصية، لا يمكن أن يسمحوا بالتقهقر إلى الوراء.

وترى الباحثة التونسية في تحليل الخطاب الديني، زينب التوجاني، أنه "في الوقت الذي تثبت فيه المرأة التونسية يوميا إصرارها على التمسّك بمكتسباتها المدنيّة وسعيها لتحقيق المساواة التامة تنتشر أخبار زائفة عن وقفة احتجاجية للمطالبة بتعدّد الزّوجات فتثار ردود فعل عديدة يغلب عليها الطابع الهزلي السّاخر ولكن تطرح في نفس الوقت قضايا جادة. لقد تم منع تعدد الزوجات في تونس نهائيا في مجلة الأحوال الشخصية ونقح قانون سنة 1958 لينص على عقوبات لمن يخالف ذلك المنع. وانتهى موضوع تعدد الزوجات على هذا النحو وإن كان سببا من الأسباب التي أثارت غضب فئات عديدة ترى في تعدد الزوجات وسيلة للتحكم بالمرأة وإجبارها على الحفاظ على زوجها وأسرتها بإرضائه والحرص على خدمته خوفا من أن يدخل عليها ضرّة".

ولفتت التوجاني في حديثها لـ"العرب"، "نلاحظ أن تسمية الزوجة الثانية تحمل دلالة الضرّ أي الشرّ والسوء وتذكرنا بالآية الكريمة التي جاءت على لسان النبي أيوب (أني مسني الضرّ) شاكيا شدة ألمه وعذابه فهذا يلخص تجربة المجتمع في التسمية بأنها تجربة أليمة ومريرة وتعني إذلال النساء وقهرهن وإخضاعهن وهو ما رفضته مجلة الأحوال الشخصية وما رفضته القوى المدنية التونسية دون رجعة".

وتابعت "مهما علت أصوات تبرر ذلك بالشريعة فإنها لا تعبر حقا عن قناعة دينية أو إيمان بقدر ما هي بحث عن حلول خاطئة لمشكلة عزوف الشباب عن الزواج أو تأخر سن الزواج عموما وكل ذلك ناتج عن تبدل العلاقات الاجتماعية وأولويات الحياة وأولويات الفتاة التونسية التي تتلقى تعليما ثم تجد صعوبات في العمل بسبب انتشار البطالة وانعدام مواطن الشغل. وقد رأينا النساء حاملات الشهائد العليا يعتصمن بمقرات المحافظات وأمام البرلمان يطالبن بالشغل والكرامة والتنمية وقد رأيناهن يطالبن بحقوقهن الاقتصادية ويقدن المسيرات لأجل ذلك مما يؤكد عزمهن على التعويل على الذات لتحقيق الكرامة والعيش".

وأشارت إلى أنه "لا يمكن مع ذلك إنكار أن نسبة من النّساء والرّجال يدافعن عن تعدد الزوجات لأسباب أهمها بالنسبة إلى للمرأة اقتصادية وأيضا البحث عن الأمومة وكذلك البحث عن إشباع حاجاتها الطبيعية الجنسية التي تكبتها لسنوات وعقود حتى يمسي ذلك منافيا للطبيعة والحياة، فهم يتوهمون أن تعدد الزوجات يحل مشكلة هؤلاء اللواتي لم يتزوجن ويحلّ مشاكل الرجال ورغباتهم المتوهّمة ويحقّق لهم سلطة ما".

الطيب الطويلي:
العنوسة تمثل أمرا ثانويا لدى التونسية التي مثلت فاعلا أساسيا في بناء الدولة

زينب التوجاني:
رأينا النساء يطالبن بالشغل والكرامة مما يؤكد عزمهن على التعويل على الذات

وختمت التوجاني بقولها "هذه المشكلات الحقيقيّة المتعلقة بتصورات الفحولة وبمشاكل الكبت والجسد بحاجة إلى نقاش عميق وجريء وصادق لوضع كل المسكوت عنه فوق الطاولة ولفتح الملفات العالقة التي تتعلق بالجسد والحرية والجنس وعلاقات النسب والأطر الاجتماعية والمسؤوليات، وبذلك فإنه من المفيد التذكير أن عملا جبارا في انتظار القوى الحية لتبسيط مفاهيم الحريات وحدودها ولنشر ثقافة صحية جنسية تكون أساسا لتصوّرات بديلة عن الحلول التقليدية للمجتمعات الذكوريّة".

أما محاولة إثبات فاعلية فكرة التعدد في حل مسألة شائكة تلقي بظلالها على كل الأقطار العربية فقد أثبتت عدم جدوها في الكثير من دول الجوار. ولا تعد تونس استثناء في ارتفاع عدد العوانس، كما أن دراسات سابقة أرجعت سبب ارتفاع معدل العنوسة في الوطن العربي، إلى الاختلال بين عدد الذكور وعدد الإناث، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى اختلال في التوازن الاجتماعي وتغير في بعض المفاهيم. وبالتالي فإن ركوب الكثيرين لهذه الإشاعة يؤكد سعيا مبيتا للنيل من التونسية الصامدة في وجه كل العقبات والمحاولات الفاشلة لإحباطها وتشويه صورتها.

حتّى لا نخطّ ورقة تأبين المرأة التونسية

الشيخ بدري المدني
باحث في الفكر الإسلامي

❑ نجد اليوم أنفسنا في حيرة بين أن نفخر بالمرأة التونسية وبين أن نكتب ورقة "تأبين" لها بعد عقود من المكاسب الكبرى التي لا تضاهى في العالم العربي والإسلامي وبعد محاولات تدمير لهذه الصورة الناصعة للتونسية ونحن نراها تنزلق في أتون الظلامية والرجعية حدّ تنظيم وقفة احتجاجية مزعومة للمطالبة بمراجعة مجلّة الأحوال الشخصيّة عبر إقرار تعدّد الزّوجات.

وورقة التأبين هذه –حتى لا ننسى– سنخطّ عليها دعوات بعض الوجوه كون "صوت المرأة عورة" ودعوات بـ"قرن في بيوتكنّ" حتّى تفصل النساء عن العمل لحل معضلة بطالة الرجال والدعوات لمنع الاختلاط في الاجتماعات العامة وفي المؤسسات التربوية وفي وسائل النقل وغيرها والدعوات للزيجات الفاسدة كالزواج العرفي والدعوات للسماح بزواج القاصرات والدعوات لـ"ختان البنات" ولـ"النقاب عفتي" ولـ"منع المصافحة" وغيرها من الدعوات الرخيصة المبخسة للمرأة وجعلها آلة إنجاب وماكينة جنس.

وورقة التأبين هذه سنخطّ عليها كيف صار حال المرأة التونسية فبعد الشهيرات اللاتي أضأن التاريخ القديم والحديث عن عليسة القائدة والكاهنة وأم البنين الفهرية وخديجة بنت الإمام سحنون والجازية الهلالية وعزيزة عثمانة وأروى القيروانية والمناضلة مجيدة بولية وتوحيدة فرحات والنقابية شريفة المسعدي وليليا تاج وراضية بلخوجة وراضية الحداد وبشيرة بن مراد.. والقائمة تطول.. تتحوّل التونسية إلى إرهابية تخضع للدمغجة وتفجّر نفسها في شارع بورقيبة بتاريخ 29 أكتوبر 2018.

وورقة التأبين هذه سنخطّ عليها كيف حذّرنا منذ سنوات من خطر استبلاه الشابة التونسية وتوظيفها في جهاد النكاح.. وحذّرنا من فوضى الإفتاء حين تساقطت الفتاوى الهشة ومن بينها انتشار فتوى جهاد "النكاح" حيث عرفت تسميات متعددة مثل "جهاد المناكحة" و"جهاد السرير" و"جهاد المتعة " وإن تعددت التسميات فإن النتيجة الحاصلة هي العبث بكرامة المرأة وشرفها ومكانتها.

وورقة التأبين هذه سنخطّ عليها كيف أضحت بعض نساء بلادي لعبة في أيادي الطامسين.. والمعتدين على مكاسبهن وقد غرّتهن الشعارات البرّاقة.. والكلمات المنمقة وتجارة الدين والعفة المزيفة.. حتّى سقطن في هذا الزمن بكل انفتاحه ووعيه أسيرات فكر وهابي حرمهن من حقوقهن المكفولة بالقانون وقد اعتبر هؤلاء مجلّة الأحوال الشخصية كفرا بواحا في حين أن هذه المجلة هي مجموعة قوانين اجتماعية صدرت في تونس بتاريخ 13 أغسطس 1956 خلال فترة تولي الحبيب بورقيبة حكم تونس تحوي تغييرات جوهرية تصب في صالح التونسيات وتصون كرامتهن.

العفوية المفرطة تؤثر على التواصل السليم مع العائلة

زلات اللسان من أسباب الخلافات والانفصال بين الأزواج

عدم تحكم أحد الزوجين في كلامه وزلات اللسان وأحيانا التلقائية المفرطة قد تقف وراء نشوب خلافات بين الشريكين، ويمكن أن تكون سببا لإنهاء العلاقة في بعض الحالات. وقد يعرّض عدم سيطرة كلّ من الزوجين على لسانه في حالات الشجار والغضب مثلا إلى مشكلات كبيرة مع شريكه قد تصل إلى الطلاق لأنه تفوّه بكلام يرى الطرف المقابل أنه لا يمكن التفوه به أو التسامح بشأنه، وأحيانا أخرى يصل الشريكان إلى خراب البيوت بسبب زلة اللسان هذه، كأن ينادي أحدهما شريكه باسم الحبيب السابق.

سعاد محفوظ

❏ **القاهرة** - ينطق الشخص أحيانا سهوا أو عن حسن نية أو بعفوية بما لا يجب أن يقال أو أن يسمعه الطرف المقابل خصوصا أمام شريك الحياة في حالات الترصد وترقب الأخطاء بين الطرفين، وقد تتسبب مجرد كلمات في غير محلها ولا وقتها في خلاف بين الطرفين قد يبلغ أقصاه بالتصعيد من أحدهما أو كليهما إلى القطيعة ثم انتهاء العلاقة.

تروي هند علي ربة منزل، مشكلتها التي دفعتها إلى طلب الانفصال من زوجها؛ بسبب إصراره على أن يناديها باسم زوجته الأولى، وتقول "تزوجت من رجل سبق له الزواج لكن زوجته توفيت في حادث، وكان قطار الزواج قد فاتني ووجدته رجلا مقتدرا وسيما لا يُرفض... ولكن المشكلة أنه طوال زواجنا الذي مضى عليه أكثر من عام لا يناديني باسمي إلا مرات قليلة ودائما يناديني باسم زوجته الأولى".

وتضيف هند "كنت أشعر بالغرابة عندما أسمع عن زوجات يغرن من زوجة متوفاة، أما الآن فقد زال العجب؛ لأن تكرار خطأ زوجي في اسمي هو دليل على وجود زوجته الأولى في وجدانه ما أثر في علاقته بي كزوجة من بعدها، لقد يئست من أن يعتاد على اسمي فطلبت الطلاق؛ لأن أعصابي لن تتحمل هذا الأمر طوال حياتي".

> لتلافي آثار زلات اللسان يجب أن يحاول الشخص تخفيف وطأة ما تفوه به على المحيطين به بأن يقول مازحا «عذرا»

ويتحدث عبدالله وهو موظف عن تجربته الخاصة التي تشابه تجربة هند حيث يؤكد أنه سمع زوجته في نومها تردد اسم خطيبها السابق قائلا "سمعت زوجتي تكرر اسم رجل آخر وهي غارقة في نومها.. وقد جنّ جنوني لأنني أعرف أن صاحب الاسم هو خطيبها السابق، ومعنى أن تحلم به هو، بالنسبة لي، أنها لا تزال تفكر فيه، ورغم إدراكي لأنه غير منطقي أن أحاسبها على ما تقوله في أحلامها لكنني منذ ذلك اليوم بدأت أفكر في الطلاق، وحتى هذه اللحظة ما زلت حائرا في اختيار الوقت المناسب لتنفيذ الأمر".

لا مجال للكلام بتلقائية

وإلى جانب هفوات أو زلات اللسان غير المقصودة فإن بعض الأشخاص يكتسبون صفات العفوية أو التلقائية المفرطة إلى الدرجة التي لا يتحكمون فيها بأنفسهم فيقولون ما لا يجب أن يقال، وتعترض العديد من المتزوجات هذه المشكلة حيث يبحن بما يفكرن فيه أمام أزواجهن وعائلاتهن وأصدقائهن والمحيطين بهن ما يوقعهن في مشاكل ونقاشات كن في غنى عنها، لكن طباعهن قادتهن لخوضها.

وتعبر مريم عبدالرحمن، عن حزنها لعدم قدرتها على كتمان أي سر، وتعترف بأنها كثيرا ما تسبب لزميلاتها في الجامعة العديد من المواقف المحرجة.. ولكنها تنفي عن نفسها تعمدها لذلك تصف ما تفعله بأنه عفوي وناتج عن عدم تحكم في لسانها.

وتروي مريم أنها دُعيت لحضور خطبة إحدى زميلاتها وعندما وصلت وتقدّمت لتهنئة العروسين فوجئت بالعريس الذي تعرفه جيدا؛ لأنه كان على علاقة بصديقة أخرى لها.. ولم تتمالك نفسها من أن تسأله عن سبب ابتعاده عن صديقتها الأخرى.. عندئذ تفجّر الموقف وانتهى بفسخ الخطوبة.

ويرى الخبير الاجتماعي فؤاد عثمان، أن معظم المتعثرين في حياتهم الأسرية والاجتماعية بسبب أخطائهم اللفظية يمكنهم حماية علاقتهم وأنفسهم باتباع بعض التوجيهات البسيطة.. ويقول "في البداية نشير إلى قاعدة مهمة في التواصل الاجتماعي وهي بسيطة وسهلة التطبيق وتتمثل في عدم إطلاق أي تعميم سلبي على مجموعة أو فئة من البشر خصوصا حينما نتواجد مع شخص لا نعرف عنه كل شيء"، موضحا أن الأحكام المطلقة والشمولية تجعلنا نخطئ في حقائق الأشخاص وفي واقع الأمور والتصريح بهذه الأحكام وبالتفكير فيها قد يعرض صاحبه إلى مشاكل في التواصل ويدخله في خلافات هو في الأصل لا يريد خوضها.

ويضيف عثمان أن اتباع قواعد التواصل الاجتماعي السليم والمتزن مع الآخرين يكون أيضا من خلال قاعدة أخرى تتمثل في عدم طرح موضوعات خلافية تثير غضب الآخرين وعدم استفزاز الآخر بكلام قد يبدو لك بسيطا، ويفسر "يفترض أن لا نناقش الأمور المثيرة للجدل ثم نعلق تعليقات عابرة تدل على السخف ونمرّ..

وعلينا أن ندرك أنه في كل مناسبة اجتماعية يكون المرء محاطا بأشخاص هم في النهاية لا يقرأون أفكاره ونواياه وقد ينتظر أحدهم زلاته وأخطاءه لكي يثير بسببها المشاكل".

ويؤكد الخبير في علم الاجتماع أن هذه القواعد من المستحسن اتباعها لكنها ليست قواعد علمية ثابتة وصارمة يمكنها أن تفضي حتمًا إلى نجاح التواصل الاجتماعي، لكنها في النهاية تسهل الأمور خصوصا على أصحاب الشخصيات العفوية.

ويعتبر أن في الكثير من اللحظات التي يمر بها الإنسان قد يعمل فيها لسانه بشكل أسرع من عمل عقله، فتنفلت منه كلمات غير مناسبة قبل أن يستطيع إيقافها..

ويقترح عثمان لتلافي آثار زلات اللسان أن يحاول الشخص تخفيف وطأة ما تفوه به على المحيطين به.. موضحا "إذا كنت بين أشخاص تعرفهم حاول مثلا أن تقول مازحا "عذرا"، وتذكر أن الناس لا يتوقعون الكمال فقد وقعوا هم أنفسهم في أخطاء لفظية فادحة من قبل، كما يمكن أيضا أن تعالج هذه الزلة بذكاء وذلك ببعض التشويش الإيجابي، وإن كان لسوء الحظ أننا لا نتمتع جميعا بمثل هذا الذكاء الاجتماعي، فغالبا ما نقف من دون أن ننطق بكلمة واحدة، وفي هذه الحالة يكون الاعتذار هو السبيل الوحيد حتى لا نترك الأمور تتفاقم.. وإظهار الندم الحقيقي يمكن أن يعالج أسوأ زلات اللسان".

ويقول أستاذ علم النفس محمود عبدالمحسن، "زلة اللسان" قد تكون بإفشاء سر خاص أو عام أو بطرح وجهة نظر في غير محلها المناسب.. العشرات من القصص تروي المواقف المحرجة التي تعرض لها الكثيرون بسبب زلات اللسان، وخاصة في ما يتعلق بالعلاقات الزوجية.. فزلة اللسان بين الرجل والمرأة قد تؤدي إلى كارثة قد تنهي علاقتهما، وتهدم أسرة بكاملها.

بين جد وحفيدته.. سؤال مربك

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❏ "أين تضع لحيتك يا جدّي حين تخلد إلى النوم، تحت الغطاء أم خارجه؟"، هكذا سألت الطفلة الصغيرة جدّها الممدّد على فراشه ثمّ غادرت إلى غرفتها دون أن تنتظر الإجابة.

بدا السؤال غريبا على العجوز الذي اعتاد الإجابة بأريحية كاملة عن كلّ التساؤلات البريئة أو الماكرة التي تطرحها حفيدته المشاكسة.

لا، لم يكن السؤال غريبا فقط، بل كان صعبا، مربكا، محيّرا ومحرجا، ممّا جعله يتقلّب مرارا في فراشه وهو يجرّب كلّ وضعيات النوم ويسأل نفسه "صحيح، أين كنت أترك لحيتي طوال هذه السنين، تحت الغطاء أم خارجه..!؟".

ظلّ الجدّ يصارع الغطاء وشياطين الأرق حتى كاد يلعن الساعة التي أطلق فيها لحيته.

لقد ورّطته لحيته في سؤال غير متوقّع، لم يجد له جوابا شافيا ووافيا ثم إنه جاء من طفلة لن تنبت في وجهها الناعم الصغير يوما لحية حتى ترتبك بهذا السؤال.

قادت هذه الحادثة الجد الطيب إلى قضاء الليلة وهو يفكّر في كلّ ما ينبت من شعر على رأس الإنسان ووجهه.

حسنا -قال العجوز- لأفكر قليلا في هذه المعضلة كي يكون هذا الرأس جديرا بحمل هذه اللحية المربكة.. أليست هي ما يميز صور الفلاسفة عبر التاريخ؟

ظل العجوز يحدث نفسه ويجادلها "مهلا.. إن اللحى والذقون والشعور الطويلة لا تميز الإنسان وحده أمام كائنات حية أخرى، كثيفة الشعر وعديمة العقل. كفانا شططا، لنعد إلى اللحية "الآدميّة".. لماذا يطلق الفلاسفة لحاهم؟ هل لأنّهم لا يجدون الوقت الكافي لحلاقتها أم للتميّز والدلالة على أنّ غزارة الأفكار من غزارة الشعر. إذا كان الأمر كذلك فماذا يفعل الأمرد والأصلع والأقرع ليكون من المفكّرين؟ وكيف نميّزهم عن إنسان ما قبل أمواس الحلاقة، عن المجانين والمشرّدين، عن الإرهابيين والمجرمين و"البلطجية" الذين يخفون تحت لحاهم آثار السكاكين؟".

واصل الجد حديثه مع نفسه: شتّان، طبعا، بين من تعلن لحيته وقارا روحيّا أو إرثا فكريّا أو ثقلا اجتماعيّا وبين من قال فيهم الشاعر ابن الرومي في تصوير كاريكاتيري ماسخ، وهو يهجو صاحب لحية طويلة:

"إن تطل عليك لحية أو تعرض/ فالمخالي معروفة للحمير// علّق الله في عذاريك مخلاة/ لكنها من دون شعير".

استدرك الجدّ قائلا: لكن هذا الشاعر كان معروفا بأنه أمرد، ويبطن نزعة استعلائيّة شعوبية (أبوه من أصول رومية وأمه من أصول فارسية) كما جاء في رثائه للبصرة التي أحرقها الزنج في ثورتهم.

لا شك أن إنسان العصور الحديثة قد وقف متأملا ومفكرا في كيفيّة التعامل مع هذا الشعر الزاحف من جسمه، الأمر الذي يهدّد بإعادته إلى الهيئة البدائية، فاخترع، عندئذ، المشط والمقصّ والشفرة ومجفف الشعر (السيشوار) وشتى أنواع الكريمات والأصباغ، وغيرها من أساليب "تكريم" الشعر الذي تختفي تحته الأفكار والآراء.. وبرز فضاء لمهنة في الأسواق اسمه "صالون حلاقة".

تعدّدت التسريحات والأشكال والتصفيفات بتعدّد الأمزجة والأهواء فصار يسهل تصنيف الرجال من خلال الذقن والشارب والسالف وقصّة شعر الرأس، وحتى هيئة الصالون الذي يتردّد إليه، ذلك أن الكثير منّا لا يحني هامته ولا "يسلّم ذقنه" لأيّ كان.

أمّا المرأة فلقد أعفتها الطبيعة من اللحية والشوارب، وعوضتها بشعر رأسها الذي يستهلك جزءا محترما من المال والوقت والاهتمام، وقد استأنست الكثيرات إلى المقولة الذكورية الشهيرة "كوني جميلة واسكتي".

هل يحتاج الرجل الشرقي إلى شارب كي يساعده في القسم و"الحلفان" أو إلى لحية كثيفة كي يفكّر أثناء فركها؟

هل امتُحنت المرأة بشعر الرأس كي تحتار فيه بين التلوين والتقصير والإخفاء أو السفور؟ لماذا ظلت نساء كثيرات يمتثلن لذائقة الرجل التقليدية في تفضيل الشعر الطويل على القصير؟ هل في الأمر عودة إلى ما يشبه تمثل النص القديم في "نشيد الإنشاد" والذي يقول فيه أحدهم مغازلا حبيبته في الشرق القديم "شعرك قطيع ماعز يتسلق جبل جلعاد".

وحدها المقاصل وحبال المشانق عبر التاريخ، لا تفرّق بين التسريحات.. إنها تقرأ وتحاكم ما تحت الشعر من نوازع الخير والشر، حسب مقاصدها ونواميسها.

لم يكن رأس غاندي الأصلع الصغير يحتاج إلى شوارب وشعر كثيف كي يقسم على انتصار الشمس، ويقود شعبه نحو الاستقلال، ولم تكن قبعة وخصلة شعر غيفارا هما اللتان جعلتا منه أيقونة ثورية.

خواطر كثيرة جالت في رأس الجد الذي أخلدت حفيدته الصغيرة إلى النوم وتركته يتخبط في سؤالها المربك "أين تضع لحيتك أثناء النوم؟".

هل يقدم الجد على حلق لحيته كي يتخلّص من سؤال حفيدته؟ هذا ما تقدم أسر عربية كثيرة حين تواجه سؤالا مربكا؛ تتخلص مما تظنه سبب المشكلة قبل إيجاد الحلول والأجوبة المناسبة، كمن يحرم أطفاله من الكمبيوتر بسبب خوفه من مخاطر الإدمان على الإنترنت.

طبق اليوم

مقلوبة الباذنجان بالدجاج

*** المقادير:**

- كأس من الأرز الأبيض المغسول والمنقوع.
- 1 حبة باذنجان مقطعة إلى شرائح سميكة.
- 4 قطع من الدجاج منزوع الجلد ومسلوق.
- 2 أكواب مرق الدجاج.
- ملعقة كبيرة ملح وملعقة كبيرة بهار مشكل وقليل من الكركم والقرفة والهيل المطحون.
- نصف ملعقة صغيرة فلفل أسود وربع كأس زيت نباتي.
- ملعقتان كبيرتان من البندق أو الصنوبر.

*** طريقة الإعداد:**

- نضع قطع الباذنجان في صحن واسع، ونتبّلها بنصف كمية الملح ونتركها تتخلّص من مائها.
- نجففها ونضع الزيت النباتي في مقلاة على النار ونتركه حتى يسخن، ثم نقلي قطع الباذنجان ونتركها تتحمرّ جيدا.
- نضع الكمية المتبقية من الزيت النباتي في مقلاة على النار، ثمّ نضع الصنوبر ونحرّكه حتى يحمرّ.
- نضع نصف كمية الأرز في قدر كبير، ثم نضيف قطع الباذنجان والدجاج، وبعدها نضيف الكمية المتبقية من الأرز فوق الخليط ومرق الدجاج، وخليط البهارات.
- نحرك المكونات ثم نضيف مرق الدجاج فوق الأرز.
- نضع مقلوبة الباذنجان على نار متوسّطة الحرارة حتى تنضج.
- نسكب المقلوبة في صحن واسع للتقديم ونزيّنها بالصنوبر المقلي.

ديكور

اتجاهات الأثاث والديكور في 2019

❏ أوضحت خبيرة الأثاث والديكور الألمانية أورسولا جايسمان أنه يقل الاهتمام حاليا بالاتجاهات الفردية والتطورات الخاصة بالألوان والخامات والأشكال، في حين يزداد الاهتمام بالمفاهيم المعيشية والحياتية؛ حيث يتعلق الأمر بكيفية تعديل الوحدات المكانية مثل المطابخ أو غرف المعيشة أو حتى دمج هذه الوحدات معا، كما ينصبّ اهتمام الخبراء على كيفية تحقيق رغبات المرء في المنزل.

لقد أصبح نطاق المعيشة المفتوح حقيقة واقعة، وخاصة في المباني الجديدة، وقد يرغب المرء في تعديل المساحة المفتوحة وإعادة تصميمها، ولكن المساحات المعيشية المفتوحة تعتبر بمثابة خطوة للتطوير؛ نظرا لأن عدم وجود جدران يتيح للمرء فرصة لإزالة الحدود التصميمية والإبداعية. وأكد ماركوس ماجيروس، المتحدث الإعلامي باسم معرض الأثاث IMM Cologne، على ذلك بقوله "لم يعد هناك التزام صارم بوجود الغرف".

وقد أصبحت طاولة الطعام منذ فترة طويلة بمثابة مكتب في المنازل الصغيرة، كما أن تجهيزات المطبخ أصبحت تمتد إلى غرف المعيشة. وتتمثل الرؤية التصميمية في إلغاء الجدران الداخلية باستثناء الحوائط، التي تحيط بالسرير، وجعل المطبخ في مركز المنزل.

وينصبّ اهتمام الكثير من المصممين على جوهر قطع الأثاث مرة أخرى، وتراجع التركيز على الجوانب التصميمية لصالح تبسيط الموديلات إلى الحد الأدنى وتصغير الأشكال بشدة.

ولا تزال الأجواء المريحة من الموضوعات، التي تهيمن على اتجاهات عالم الأثاث؛ وعادة ما يرغب الأشخاص في الاعتماد على قطع السجاد والوسادات وقطع الأثاث الوثيرة والأشكال المستديرة من أجل الاستمتاع بالراحة في المنزل.

مواجهات قوية وحضور آسيوي في كوبا أميركا 2019

قرعة سهلة للبرازيل المضيفة وقطر في مجموعة الأرجنتين وكولومبيا

أسفرت نتائج قرعة بطولة كوبا أميركا 2019، التي أجريت بمدينة ريو دي جانيرو البرازيلية، عن مجموعة قوية تضم منتخبات أوروغواي، الإكوادور، اليابان وتشيلي. وتعد المجموعة الثالثة من بين الأقوى في النسخة الـ46 للبطولة، إذ أنها ضمّت منتخبين سبق لهما التتويج باللقب 17 مرة في ما بينهما. ويتقاسم المنتخبان الأوروغوياني والتشيلي التتويج باللقب 17 مرة، إذ فاز الأول به في 15 نسخة بينما توج الأخير باللقب مرتين.

منتخب السامبا يبحث عن أرقام جديدة في مسيرته

❏ **ريو دي جانيرو** – كشفت قرعة النسخة الـ46 من بطولة كوبا أميركا لمنتخبات أميركا الجنوبية، المقررة بين 14 يونيو و7 يوليو المقبلين، عن مجموعة سهلة للبرازيل المضيفة، فيما وقعت ضيفة البطولة قطر ضمن مجموعة صعبة للغاية تضم الأرجنتين وكولومبيا. وشارك في إجراءات القرعة التي أقيمت الخميس في ريو دي جانيرو نجوم مثل أسطورة منتخب البرازيل للسيدات مارتا إضافة إلى مواطنيها في صنف الرجال كافو وزيكو والأرجنتيني خافيير زانيتي والكولومبي فرانشيسكو ماتورانا الذين اختاروا الفرق الموزعة على ثلاث مجموعات.

وكبلد مضيف، وضعت البرازيل في المجموعة الأولى التي أوقعتها القرعة بجانب بوليفيا وفنزويلا وبيرو، ما يجعل رجال المدرب تيتي من أبرز المرشحين للحصول على إحدى البطاقات المؤهلة إلى ربع النهائي ضمن مسعى "سيليساو" لإحراز اللقب للمرة الأولى منذ 2007، حين توج به على حساب غريمه الأرجنتيني (3–0). ويتأهل إلى ربع النهائي من يحلا في المركزين الأولين في كل من المجموعات الثلاث إلى جانب أفضل منتخبين في المركز الثالث. لكن على المنتخب المضيف أن يكون حذرا رغم الأفضلية الواضحة على الورق، لأنه ودع الدور الأول من النسخة الأخيرة عام 2016 (4 مجموعات عوضا عن 3) بخسارته في الجولة الأخيرة أمام بيرو (1–0) التي يلتقيها مجددا في الجولة الأخيرة في 22 يونيو.

ويأمل نيمار وزملاؤه في المنتخب البرازيلي أن يعوضوا الجمهور على ما عاشه في مونديال 2014 في آخر بطولة كبرى على الأراضي البرازيلية، حين أذل "سيليساو" في نصف النهائي بالخسارة 1–7 أمام ألمانيا ثم بهزيمته بثلاثية نظيفة أمام هولندا ليحصل على المركز الثالث، وذلك في غياب نيمار الذي أصيب في مباراة ربع النهائي ضد كولومبيا.

ذكرى جميلة

للبرازيليين ذكرى جميلة من استضافتهم الأخيرة للبطولة القارية قبل 30 عاما، وتحديدا عام 1989 حين تألق الثنائي روماريو وبيبيتو وقادا بلادهما لفك صيام دام 40 عاما عن الألقاب في كوبا أميركا. ويمني البرازيليون النفس هذه المرة بأن يكون نيمار في قمة جاهزيته وعطائه، خلافا لمونديال الصيف الماضي في روسيا حين خاضه مباشرة بعد عودة من إصابة أبعدته طويلا عن الملاعب (خرجت البرازيل من ربع النهائي).

لكن نجم باريس سان جرمان الفرنسي تعرض الأربعاء لنفس الإصابة في مشط القدم اليمنى خلال مباراة فريقه ضد ستراسبورغ في كأس فرنسا. وتأتي هذه الإصابة الجديدة قبل ثلاثة أسابيع من لقاء فريقه المرتقب ضد مانشستر يونايتد الإنكليزي في الدور الثاني من مسابقة دوري أبطال أوروبا.

ولم تعرف مدى خطورة إصابة نيمار، لكن مدربه الألماني توماس توخيل أكد أن اللاعب قلق من الإصابة الجديدة بقوله بعد المباراة "نيمار قلق لأنها الساق ذاتها والمكان ذاته. لا أملك معلومات في الوقت الحالي وهو موجود في المستشفى وبالتالي يتعين علي انتظار ما سيقوله الطبيب لي".

وفي المقابل، أصدر نادي العاصمة الفرنسية بيانا جاء فيه أن "الفحوصات الأولية التي أجريت أظهرت إصابة جديدة في المشط الخامس للقدم. العلاج يتوقف على مدى التطور في الأيام المقبلة".

أما بالنسبة للغريم التقليدي المنتخب الأرجنتيني الذي خسر نهائي النسختين الماضيتين عامي 2015 و2016 بركلات الترجيح أمام تشيلي في المناسبتين، فلم ترحمه القرعة، إذ وقع في المجموعة الثانية بمواجهة كولومبيا والباراغواي.

ووقعت في هذه المجموعة أيضا قطر، منظمة مونديال 2022 التي انضمت في نسخة 2019 إلى لائحة ضيوف البطولة من خارج القارة، على غرار منافستها الآسيوية اليابان التي تعود إليها للمرة الثانية بعد عام 1999، لخوض الدور الأول في المجموعة الثالثة بجانب تشيلي بطلة النسختين الأخيرتين والأوروغواي حاملة الرقم القياسي بعدد الألقاب (15) والإكوادور.

ولا تزال الأرجنتين تبحث عن تتويج أول على الصعيد الدولي منذ عام 1993 حين أحرزت لقب البطولة القارية للمرة الـ14 في تاريخها، وهي تمني النفس بأن تكرر نتيجة آخر مشاركة لها في البرازيل وأن تذهب خطوة أخرى إلى الأمام والفوز باللقب، بعد أن حلت وصيفة في مونديال 2014 (خسرت أمام ألمانيا 0–1).

ويبقى التساؤل بشأن القائد ونجم برشلونة الإسباني ليونيل ميسي الذي اعتكف عن المشاركة مع المنتخب منذ الخروج من الدور ثمن النهائي لمونديال الصيف الماضي في روسيا.

وستكون المواجهة بين الأرجنتين وكولومبيا في الجولة الأولى المقررة في 15 يونيو في سلفادور، الأقوى في دور المجموعات إلى جانب مباراة الأوروغواي وتشيلي في 24 يونيو على ملعب "ماراكانا".

وفي سياق متصل قال رئيس الاتحاد الأرجنتيني لكرة القدم، كلاوديو تابيا، إن هدف "الألبيسيليستي" ليس الفوز ببطولة كوبا أميركا، ولكن الاستمرار في مشروع تجهيز فريق يتمكن من تقديم أداء مميز في كأس العالم 2022.

وأوضح تابيا أن "الهدف ليس الفوز ببطولة كوبا أميركا، ولكن الاستمرار في مشروعنا، فنحن نرغب في تكوين فريق مميز لكأس العالم 2022، نريد استعادة هوّيتنا وإحساس المنتخب الوطني".

وأضاف "لكوننا أرجنتينيين نفكر في أنه يجب أن نكون الأبطال في كل المسابقات، ولكن لا تسير الأمور هكذا، فقد ارتكبنا أشياء كثيرة سيئة ويجب علينا جميعا التعلم من هذا، أتمنى أن نقدم أداء جيدا في كوبا أميركا وأن نحظى بتوقعات جيدة للمستقبل".

وعلى جانب آخر، ألح تابيا إلى إمكانية عدم استمرار ليونيل سكالوني في منصبه كمدير فني للمنتخب قائلا "هذه هي كرة القدم، فمن الممكن أن يحدث أي شيء". وعبر رئيس الاتحاد الأرجنتيني عن قناعته بأن ليونيل ميسي، الذي لم يشارك مع "الألبيسيليستي" منذ انتهاء مونديال 2018 بروسيا، سيشارك في كوبا أميركا "إذا تم استدعاؤه للقائمة".

الملك والأمير

يعد منتخب أوروغواي أحد الفرق المرشحة دائما لنيل اللقب، بصفته حامل الرقم القياسي كأكثر المنتخبات تتويجا برصيد 15 لقبا، وهو ما يجعله ملكا على عرش القارة اللاتينية. ويعود آخر تتويج لأوروغواي إلى عام 2011، في النسخة التي استضافتها الأرجنتين، بعدما فاز على باراغواي في المباراة النهائية بثلاثية نظيفة.

وانتظرت تشيلي حتى عام 2015 لملامسة الكأس لأول مرة في تاريخها، بعد التغلب على الأرجنتين بركلات الترجيح في النهائي. وأكد منتخب تشيلي أن فوزه باللقب في النسخة الـ44 ليس من قبيل الصدفة، ليعود في العام التالي ليظفر به مجددا، للمرة الثانية على التوالي، ويتوج أميرا ضمن صفوة المتوجين باللقب على مدار التاريخ. وتضم المجموعة الثالثة أبطال الـ3 نسخ الماضية، أوروغواي وتشيلي، ما يجعلهما أبرز مرشحين للتأهل للدور الثاني على حساب اليابان والإكوادور.

ويتواجد المنتخب الياباني في البطولة للمرة الثانية في تاريخه، بعد مشاركته في وقت سابق خلال نسخة 1999، التي استضافتها باراغواي. وحصلت اليابان على دعوة من اتحاد أميركا الجنوبية لكرة القدم "كونميبول"، للمشاركة في البطولة هذا العام، إلى جانب منتخب قطر، ليكون هناك ممثلان لآسيا في البطولة اللاتينية.

ولم تشهد نسخة 1999 مشاركة مثالية لليابان، التي ودعت البطولة من الدور الأول، باحتلال ذيل مجموعتها بنقطة وحيدة، بعد الخسارة في مباراتين والتعادل في واحدة.

ويرغب المنتخب الياباني في استغلال تطور مستوى لاعبيه في السنوات الماضية، لتسجيل ظهور مميز هذا العام، والنجاح في عبور دور المجموعات رغم قوة المجموعة. وتملك اليابان خبرات هائلة في قارتها بعيدا عن كوبا أميركا، حيث تستحوذ على الرقم القياسي، كأكثر المنتخبات فوزا بلقب كأس آسيا، 4 مرات، ما يعزز حظوظها في الظهور بشكل جيد هذا العام.

ولا يملك منتخب الإكوادور تاريخا مميزا في كوبا أميركا، حيث تعود أهم إنجازاته إلى النسخة التي استضافها عام 1993، باحتلاله المركز الرابع. وبات المنتخب الإكوادوري بمثابة ضيف شرف في البطولة، دون إنجاز يُذكر في تاريخه، بحيث لا يختلف حاله عن حال منتخب اليابان، الذي يشارك بدعوة شرفية.

ويعد أنطونيو فالنسيا، ظهير مانشستر يونايتد الإنكليزي، أبرز اللاعبين في التشكيلة الحالية للمنتخب الإكوادوري، الذي لا يضم مجموعة هائلة من النجوم البارزين، عكس باقي منتخبات المجموعة. وتبدو الإكوادور الأقرب لوداع البطولة من الدور الأول، نظرا لضعف مستوى الفريق مقارنة بباقي منتخبات المجموعة، بما فيها اليابان.

وتحتضن البرازيل النسخة الـ46 من بطولة كوبا أميركا. وستكون نسخة 2019 هي الأخيرة في السنوات الفردية، على أن يبدأ خوضها باستمرار في ذات العام مع بطولة اليورو، مع بداية النسخة المقبلة في 2020.

> منتخب أوروغواي يعد أحد الفرق المرشحة دائما لنيل اللقب، بصفته حامل الرقم القياسي كأكثر المنتخبات تتويجا برصيد 15 لقبا، وهو ما يجعله ملكا على عرش القارة اللاتينية

ومن المقرر أن تحتضن 5 مدن برازيلية البطولة القارية، حيث تقرر خوضها في سالفادور، ريو دي جانيرو، ساو باولو، بيلو هوريزونتي وبورتو أليغري، لتقام المباريات على 6 ملاعب مختلفة.

وتقام المباراة الافتتاحية على ملعب مورومبي في ساو باولو، في حين ستتم إقامة مباراتي نصف النهائي على ملعبي جريميو أرينا في بورتو أليغري، ومينيراو في بيلو هوريزونتي. أما المباراة النهائية فيحتضنها ملعب ماراكانا في ريو دي جانيرو، والذي يسع لـ74738 ألف مشجع.

وتسعى البرازيل إلى تنظيم بطولة كوبا أميركا 2020 للمرة الثانية على التوالي، بعد نسخة 2019 التي ستنطلق الصيف المقبل على أرض "السيليساو". وكشفت صحيفة "أو غلوبو" رغبة الاتحاد البرازيلي في تكرار استضافة كوبا أميركا مجددا في العام التالي، حيث سيتم اعتماد إقامة البطولة في الأعوام الزوجية بالتزامن مع مسابقة اليورو، اعتبارا من 2020. وأوضح رودريغو كابوكلو، رئيس الاتحاد البرازيلي، الأسباب الكامنة وراء الرغبة في الاحتفاظ بتنظيم البطولة في نسختين متتاليتين، بعدما بات من الصعب إقامتها في الولايات المتحدة الأميركية.

وقال رودريغو "ليس لدينا أي مشكلة لتنظيم البطولة، نرغب في الاستفادة من الملاعب التي تحتضن مباريات النسخة المقبلة". ولن يكون استعداد الاتحاد البرازيلي لاستضافة البطولة القارية أمرا كافيا للفوز بحق التنظيم مجددا، حيث سينتظر موافقة بقية الاتحادات في الكونميبول.

الأرجنتين لا تزال تبحث عن تتويج أول على الصعيد الدولي منذ عام 1993 حين أحرزت البطولة القارية للمرة الـ14، وهي تمني النفس بأن تكرر نتيجة آخر مشاركة لها في البرازيل

ديوكوفيتش يمتحن نادال على اللقب الأبرز عالميا

أوساكا تحصد بطولة أستراليا المفتوحة وتعتلي الصدارة

سيحاول الصربي نوفاك ديوكوفيتش المصنف الأول عالميا ضرب عصفورين بحجر واحد عندما يلتقي منافسه الإسباني رافاييل نادال الثاني في نهائي بطولة أستراليا المفتوحة لكرة المضرب، أولى البطولات الأربع الكبرى في الغراند سلام، الأحد في ملبورن، فيما تمكنت اليابانية ناومي أوساكا من إثبات نفسها كإحدى النجمات المرشحات للهيمنة على عرش كرة المضرب في السنوات المقبلة بعد تتويجها بطلة لأستراليا المفتوحة لكرة المضرب بفوزها السبت على التشيكية بترا كفيتوفا.

في استعادة لنهائي عام 2012

❏ **ملبورن** – يسعى الصربي نوفاك ديوكوفيتش إلى إحراز لقبه الثالث الكبير على التوالي بعد تتويجه في بطولة ويمبلدون في يوليو الماضي والولايات المتحدة المفتوحة على ملاعب فلاشينغ ميدوز في سبتمبر الماضي، حين يلتقي الأحد منافسه الإسباني رافاييل نادال في نهائي بطولة أستراليا المفتوحة لكرة المضرب بملبورن، كما يأمل في الانفراد بالرقم القياسي من حيث عدد الألقاب في أستراليا، حيث يتساوى حاليا مع السويسري روجيه فيدرر ولكل منها 6 ألقاب.

> مواجهة الأحد هي الـ53 بين اللاعبين ويتفوق ديوكوفيتش بفارق ضئيل من خلال تحقيقه الفوز في 27 مباراة مقابل 25 لنادال، كما أنها المواجهة الثامنة بينهما في النهائي على لقب كبير ضمن الغراند سلام

ويأمل اللاعبان أيضا في تقليص الفارق في عدد الألقاب الكبيرة عن فيدرر صاحب الرقم القياسي بـ20 لقبا، حيث يملك نادال 17 وديوكوفيتش 14، وإذا نجح ديوكوفيتش تحديدا، سينفرد بالمركز الثالث الذي يتقاسمه حاليا مع الأميركي بيت سامبراس.

والمواجهة هي الـ53 بين اللاعبين، ويتفوق ديوكوفيتش بفارق ضئيل من خلال تحقيقه الفوز في 27 مباراة مقابل 25 لنادال، كما أنها المواجهة الثامنة بينهما في النهائي على لقب كبير ضمن الغراند سلام، ويتفوق نادال بنسبة ضئيلة أيضا لأنه فاز في أربع مواجهات، بينها الثلاث الأخيرة تواليا، مقابل ثلاث مواجهات للصربي.

وكانت أبرز مواجهة بينهما في نهائي أستراليا بالتحديد عام 2012 عندما استمرت المباراة الماراثونية على مدى 5 ساعات و53 دقيقة في أطول مباراة نهائية في الغراند سلام حسمها الصربي لصالحه في المجموعة الأخيرة بنتيجة 7-5، وقد وصف النقاد تلك المباراة بأنها الأفضل في تاريخ بطولات الغراند سلام.

كما التقى اللاعبان 14 مرة في إحدى البطولات الكبرى ويتفوق نادال أيضا بتسعة انتصارات مقابل 5 هزائم.

واعترف ديوكوفيتش بأن نادال هو الغريم الأعظم له طوال مسيرته بقوله "نادال هو بلا شك المنافس الأعظم لي في مسيرتي على مختلف نوعية الأراضي، المواجهات ضده هي ما جعلت ما أنا عليه الآن".

ولم يجد كلا اللاعبين أي صعوبة في تخطي الدور نصف النهائي، حيث تغلب نادال على اليوناني الشاب ستيفانوس تسيتسيباس 6-2 و6-4 و6-0 في ساعة و46 دقيقة، في حين وضع ديوكوفيتش حدا لمغامرة الفرنسي لوكا بوي وتغلب عليه 6-0 و6-2 و6-2 في ساعة و25 دقيقة.

وقال ديوكوفيتش عن مواجهته لنادال في النهائي "هذا النوع من المباريات هو الذي تتطلع إليه في مسيرتك، نهائي غراند سلام ومواجهة أفضل منافسيك في عز عطائه.. لا يمكنني أن أطلب أكثر من ذلك، هذا ما أريده".

وكان ديوكوفيتش تخطى الياباني نيشيكوري 6-1 و4-1 ثم بانسحاب الأخير في ربع النهائي، يجد نفسه في النهائي من دون أي ضغط بدني.

ويخوض اللاعبان النهائي بعد معاناتهما من إصابة العام الماضي، وكان ديوكوفيتش قد خضع لعملية جراحية في المرفق بعد خروجه مبكرا من بطولة أستراليا العام الماضي، وعاد إلى الملاعب في القسم الثاني من الموسم، فضرب بيد من حديد بإحرازه بطولة ويمبلدون ثم فلاشينغ ميدوز، ما سمح له باستعادة المركز الأول في التصنيف العالمي، والذي سيحتفظ به بغض النظر عن نتيجة المباراة النهائية، الأحد.

أما نادال فاضطر إلى الانسحاب من بطولتي أستراليا المفتوحة وفلاشينغ ميدوز بداعي الإصابة وخضع لعملية جراحية في كاحله في نوفمبر الماضي، وخاض "الماتادور" الإسباني مشوارا مثاليا في البطولة حتى الآن لأنه لم يخسر أي مجموعة. ولدى السيدات توجت، السبت، اليابانية ناومي أوساكا ببطولة أستراليا المفتوحة لكرة المضرب بعد فوزها على التشيكية بترا كفيتوفا 7-6 (7-2) و5-7 و6-4 في المباراة النهائية التي استمرت ساعتين و27 دقيقة.

وبهذا الفوز سترتقي أوساكا إلى المركز الأول في تصنيف اللاعبات المحترفات الذي سيصدر الاثنين على حساب الرومانية سيمونا هاليب، وباتت أوساكا أول لاعبة يابانية في التاريخ تحتل المرتبة الأولى في التصنيف العالمي والأصغر سنا (21 عاما) تحقق هذا الإنجاز منذ الدنماركية كارولاين فوزنياكي عام 2010.

وكانت أوساكا في طريقها إلى تحقيق الفوز بمجموعتين عندما حسمت الأولى بعد جولة فاصلة، ثم تقدمت في الثانية 5-3 و40-0 على إرسال كفيتوفا في الشوط التاسع، لكن الأخيرة نجحت في قلب الأمور لصالحها وفازت بالمجموعة الثانية 7-5 معادلة الأرقام.

وتمكنت اليابانية من كسر إرسال التشيكية في الشوط الثالث من المجموعة الحاسمة وحافظت على تقدمها حتى نهاية المباراة لتخرج فائزة.

واللقب هو الثاني تواليا لأوساكا بعد أن توجت ببطولة فلاشينغ ميدوز الأميركية في سبتمبر الماضي، وباتت أوساكا أصغر لاعبة تحرز لقبين كبيرين تواليا منذ السويسرية مارتينا هينغيس عام 1998.

وفي المقابل، فشلت كفيتوفا في إضافة لقب كبير ثالث بعد تتويجها في ويمبلدون مرتين عامي 2011 و2014، كما أنها منيت بأول خسارة لها بعد أن حققت 11 انتصارا متتاليا منذ مطلع العام الحالي.

وكانت التشيكية البالغة 28 عاما تخوض أول نهائي لها في بطولة كبرى بعد إصابتها عام 2016 بقطوع بالغة في أصابع اليد اليسرى التي تلعب بها، إثر اعتداء بسكين لص حاول سرقة منزلها.

وعن تصدرها تصنيف اللاعبات المحترفات قالت أوساكا "فرحتي لا توصف كوني سأصبح الأولى على مستوى العالم، لطالما حلمت بهذا المركز وأنا أشعر بالفخر أن أكون جزءا من مجموعة من نخبة اللاعبات اللواتي نجحن في اعتلاء هذا المركز".

وحظيت أوساكا بإشادة نجمات سابقات أبرزهن الأميركية كريس إيفرت التي كانت أول لاعبة تحتل المركز الأول في التصنيف، وقالت "الفوز ببطولتين كبيرتين على التوالي إنجاز نادر ومميز، وأنا سعيدة لأن هذه النتائج ساهمت في اعتلاء ناومي أوساكا المركز الأول عالميا". وأضافت "مازالت صغيرة السن، لكنها تملك إمكانيات هائلة، وأنا أتطلع لما يخبّئه المستقبل لها".

أما النجمة الأميركية الأخرى بيلي جين كينغ، فقالت "مستقبلك رائع، ولا شك أن موهبتك وتصميمك سيأخذانك بعيدا في المستقبل".

وختمت الأسطورة الأميركية التشيكية الأصل مارتينا نافراتيلوفا، بالقول "بعد فوزها ببطولة الولايات المتحدة الأميركية باتت أوساكا نجمة، أما بعد الفوز في بطولة أستراليا المفتوحة وتصدرها التصنيف العالمي فقد أصبحت سوبر نجمة".

بيركامب كان على حق

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ انتقل إيميليانو سالا من لاعب مغمور يحاول تسلق السلم خطوة بعد أخرى إلى نجم للأخبار الرياضية طيلة الأيام الأخيرة.

كان لاعبا لا يعرفه الجميع بما أنه نشط في نادي نانت الفرنسي لبعض المواسم قبل أن يوقع عقدا مع نادي كارديف سيتي الإنكليزي خلال هذا الميركاتو. لكن.. كان يتوقع أن تغدو هذه الخطوة الجديدة قفزة هائلة تحيله إلى عالم جديد أكثر نجاحا وانفتاحا، لكن؟

كان يمني النفس بأن ينطلق نحو فضاء أرحب ويصبح بمقدوره أن ينافس من أجل اللعب يوما ما مع منتخب بلاده الأرجنتين وربما ينتقل إلى فريق أكثر قوة وشهرة من كارديف. كان يمني النفس بأن تكون رحلته مساء الأحد الماضي من فرنسا إلى إنكلترا تشبه رحلة المستكشفين القدامى الذين خلّدهم التاريخ إلى اليوم. لكن هذه الرحلة تحولت من رحلة نحو الحياة الجديدة إلى رحلة نحو المجهول، نحو الموت الكامن في أعماق البحر.

إيميليانو استقل الأحد الماضي طائرة خاصة تابعة لرئيس كارديف سيتي، كان بصدد التوجه إلى مقر ناديه وهو يتأهب إلى أن يبدأ الاثنين الماضي التدرّب مع فريقه الجديد. لم يكن يدر في خلده أن هذه الرحلة المشؤومة هي الأخيرة في حياته، بل كانت تقوده نحو الهلاك والمصير الغامض.

غابت الطائرة فجأة عن شاشات الرادار، لم يعد لها أي وجود في الأفق، يبدو أن هذه الطائرة المتهالكة أصابها عطل طارئ ومصاب جلل لتتهاوى بسرعة البرق.

تجندت فرق التفتيش طيلة 80 ساعة للبحث عن خيط رفيع من الأمل، لكن هيهات، فالأمل الضعيف تحول إلى حلم معدوم بعد مرور أكثر من أربعة أيام. هيهات فسالا هذا اللاعب الشاب الطامح لخوض تجربة مغرية، تحول إلى مجرد رقم ينضاف إلى سلسلة كوارث جوية ضربت على امتداد عقود بعض نجوم اللعبة عبر شتى أصقاع العالم.

هذه الحوادث اللعينة لا تفرّق أبدا عندما تختار ضحيتها. هي لا تمهل ولا تهمل أبدا. تترصد كل عطل أو خطأ لتنقض بسرعة وتبعث بضحاياها المساكين دون سابق إنذار.

بدأ "جنون" الرحلات الجوية المشؤومة باكرا، حيث ضرب بقوة سنة 1949 بعد أن تحطمت الطائرة التي كانت تقل فريق تورينو العائد من البرتغال. مات جميع لاعبي الفريق الذي كان في تلك الفترة من أقوى الفرق في إيطاليا وأوروبا.

مرت سنوات قليلة لتحصل أشهر فاجعة في تاريخ الكرة العالمية حيث تحطمت طائرة كانت تقل بعثة فريق مانشستر يونايتد عائدة من مدينة ميونيخ الألمانية، فذهب ثمانية لاعبين ضحية هذا الحادث الأليم.

وفي بداية التسعينات من القرن الماضي كانت بعثة المنتخب الزامبي، الذي كان يمني النفس بالتأهل لأول مرة في تاريخه للمونديال، متوجهة لخوض مباراة هامة ضمن التصفيات، لكن "جنون" الكوارث الجوية اغتال الحلم الزامبي بعد أن سقطت الطائرة وأصابت كل ركابها من أعضاء هذا المنتخب بمقتل.

مرت السنوات ولم تنقطع أخبار الفواجع التي تضرر منها نجوم الكرة. فقبل أقل من ثلاث سنوات شهدت البرازيل إحدى أسوأ الكوارث الجوية بعد أن تحطمت طائرة كانت تقل لاعبي فريق شابيكوينزي المتأهب لخوض مباراة نهائي "كوبا سود أميركانا" وتوفي أغلب لاعبي الفريق.

وتواصل مسلسل الكوارث إلى ما لا نهاية، فمنذ أشهر قليلة ودع مالك نادي ليستر سيتي الإنكليزي رجل الأعمال الماليزي الدنيا بعد أن سقطت طائرته الخاصة لحظات بعد مغادرتها ملعب النادي.

وفي خضم هذه الأحداث المأسوية تذكرت لاعبا سابقا كان ينشط مع نادي أرسنال والمنتخب الهولندي، الحديث هنا يخص دينيس بيركامب الذي كان يعاني من "رهاب" الطائرات.

تصوروا أن هذا اللاعب الذي يخشى السفر عبر الجو كان يضطر للسفر بين العواصم والمدن الأوروبية لساعات طويلة عبر السيارات والقطارات وكذلك الحافلات لخوض المباريات الأوروبية مع فريقه أو منتخب بلاده، فالمهم لديه ألاّ يصعد على متن الطائرة.

كان يخاف كثيرا ويخشى أن يحدث له مكروه عندما تقلع الطائرة. لم يستسغ فكرة التحليق عاليا في الفضاء. كان يصرح للمقربين منه بأن الطائرة غادرة ولا أحد يقدر على التوقي من شرورها.

كانت في نظره مركبة "مجنونة" مرعبة تقدر في غفلة أن تحيل رحلة حياة عادية إلى رحلة موت أبدية. لقد خشي على حياته ورفض الركوب نحو المجهول فنجا، وواصل عيشه هانئا في أمستردام بعد أن اعتزل منذ سنوات طويلة، لكن ماذا كان بمقدور سالا هذا اللاعب غير المحظوظ أن يفعل؟

هل كان يتوجب عليه رفض ركوب الطائرة الخاصة ويستقل وسيلة نقل أخرى؟ بالتأكيد لم تكن أمامه أي فكرة عما ينتظره عندما ولج هذه الطائرة الملعونة. لم يكن يعلم أنه سيكون على موعد مع لحظاته القصيرة الأخيرة.

بيد أن الأقسى والأكثر تأثيرا من ذلك أن سالا البائس تعاظمت عليه الأمور عندما شرعت الطائرة في التحليق. لقد تواصل مع بعض أصدقائه حينها قائلا إن الطائرة ليست آمنة، فالطائرة لم تكن مؤمنة بالشكل المطلوب.

كانت لحظات فارقة عبثت بكل شيء، لحظات تحولت خلالها الطائرة إلى وحش كاسر غادر فأردت اللاعب مفقودا في غياهب البحار، اغتالت الحلم الجميل، وربما أكدت أيضا أن بيركامب كان على حق.

شجاعة الإماراتي فارس جمعة تهزم الإصابة

❏ **أبوظبي** – أثارت إصابة مدافع الإمارات فارس جمعة برأسه في اللحظات الأخيرة من فوز بلاده التاريخي على أستراليا الجمعة في ربع نهائي كأس آسيا لكرة القدم، آراء متباينة حول إصراره على إكمال المباراة بالرغم من الضربة القوية على رأسه.

ورغم الإشادات الكبيرة بشجاعة اللاعب وتفانيه في حمل قميص بلاده، إلا أن آخرين انتقدوا طريقة السماح له بمتابعة المباراة في ظل إصابة قوية برأسه كادت تشكّل خطرا على حياته.

وكانت الإمارات متقدمة بهدف على مبخوت عندما تعرض جمعة (30 عاما) لضربة قوية على رأسه إثر احتكاك مع الأسترالي ماثيو ليكي، في وقت كان المدرب الإيطالي ألبرتو زاكيروني قد أجرى تبديلاته الثلاثة.

وتم نقل اللاعب إلى خارج أرض الملعب، لكنه أصرّ على النهوض فيما بدا توازنه مختلا ليعود إلى المشاركة في اللحظات الأخيرة متحاملا على إصابته، ويساهم بشكل لافت في وصول الإمارات إلى نصف النهائي حيث ستلاقي قطر الثلاثاء.

وبعد نقله إلى المستشفى، قال جمعة من على سريره "أطمئن الناس أني بخير والأمور طيّبة.. أكملت المباراة من أجل العلم، نقاتل حتى اللحظة الأخيرة".

وقال حارس الإمارات خالد عيسى "فارس كان بطلا الجمعة، بلادنا أعطتنا كل شيء ووفرت لنا كل سبل الراحة، وما قمنا به قطرة في بحر ويجب أن نقدم الغالي والنفيس لها".

وكشف طبيب المنتخب الإماراتي في تصريحات صحافية "قال لي فارس لن يستطيع أحد منعي من اللعب، يجب أن أقاتل من أجل بلادي".

وفي المقابل، انتقد النجم المصري السابق أحمد حسام "ميدو" في حسابه على تويتر السماح لجمعة بمتابعة اللقاء "فارس جمعة بطل، ولكن كان يجب على الطبيب الإصرار على إخراجه من الملعب، ويجب العمل على نصح كل اللاعبين بأن يخرجوا من الملعب فورا، إذا شعروا بأي خطر على حياتهم وعدم محاولة استكمال اللعب مهما كانت الظروف ومهما احتاج فريقك إليك، حياة اللاعبين أهم من أي مباراة كرة قدم".

مثال في العزيمة والإصرار

مسرحية صامتة تحكي عن حال العراقيين في مهرجان فرنسي

مخرج عراقي يشارك في "مهرجان بغداد" المقام حاليا في فرنسا بمسرحية عمل من خلالها على عرض مظاهر العنف وقمع الفن اللذين هيمنا في بلده منذ عقود، على المشاهدين الفرنسيين.

بوح بألم سنوات من القمع والعنف

❏ **بوزانسون (فرنسا)** – يصوّر المخرج العراقي أنس عبدالصمد في مسرحيّته "نعم غودو" التي تعرض ضمن "مهرجان بغداد" في فرنسا العنف الذي يهيمن منذ عقود على بلده، حيث يكاد العمل المسرحي، وفق قوله، يكون مستحيلا رغم أن واقع العراق اليومي مصدر كبير للإلهام.

وقال عبدالصمد "كثيرون من زملائنا في عالم المسرح ماتوا أو صاروا في المنفى، قلة منهم بقوا" في العراق.

وتشارك مسرحيته في مهرجان بغداد الذي افتتح في الرابع والعشرين من الشهر الحالي في مدينة بوزانسون شرق فرنسا، إلى جانب سبعة أفلام عراقية.

ويصوّر عبدالصمد البالغ 44 عاما في مسرحيته مدينة عراقية دمّرتها الحرب، وطيرا في قفص ومعطفا معلّقا قرب صورة للكاتب صمويل بيكيت صاحب رواية "بانتظار غودو" الشهيرة التي تتحدث عن شخصية ينتظرها الكل، ولا تأتي.

ويخلو العرض المسرحي من الكلام، بل يعتمد على الإيماء للحديث عن العنف الذي ينتاب العراق منذ سقوط نظام صدام حسين.

وأطلق عبدالصمد على فرقته المسرحية اسم "فرقة مسرح المستحيل"، في إشارة إلى الصعوبات التي تعرقل نموّ هذا الفنّ في العراق واستحالة التكسّب منه.

لكن رغم هذه الصعوبات، صمم مسرحيته الجديدة "نعم غودو" في بغداد، وقدّم منها ثلاثة عروض في بوزانسون.

وعلى امتداد 45 دقيقة هي مدة المسرحية، لا يُفرض شيء على الجمهور، بل "لكل واحد منهم غودو الخاص به وهو ينتظره".

وأشار عبدالصمد إلى أنه استوحى المسرحية "من الحقبات المختلفة التي مرّت على العراق، ومن زمن صدام حسين خصوصا"، حيث شدّدت الرقابة قبضتها في ذلك الوقت على أعماله، ومنعته من اعتلاء المسارح الرسمية.

وقال "كنت أقدّم أعمالي في بيوت أو في بيتي أنا". وبعد الإطاحة بالنظام القديم، شعر المخرج بشيء من الحرية، لكن في ظل "مرحلة صعبة من الفوضى الشاملة".

أما اليوم، فما زال العمل المسرحي متأخرا جدا إذ "لا صالات للعرض ولا موازنات، والجمهور لا يرغب بدفع المال".

رغم ذلك يرى أن الظروف السائدة مناسبة جدا للإبداع الفني والمسرحي. وهو يستمتع بأنه شاهد على عصر ويؤدي أدوارا عنه. قائلا "لقد نجونا من كل العنف" الذي مرّ على العراق في حقب متتالية.

ولا ينوي المخرج العراقي مغادرة بلده، بل يعتزم البقاء لمناصرة فكرة أن "المسرح هو شكل من أشكال الأمل، ولإظهار أن الحياة تستمر وتنتصر".

ويرى أن شبكة الإنترنت فتحت آفاقا جديدة للمسرحيين العراقيين.

وأوضح عبدالصمد "من ذي قبل، كنا نقدم عروضنا في إطار ضيّق ولجمهور صغير. لكن بفضل الإنترنت عرّفنا بأنفسنا في الخارج وصرنا نقدم عروضنا في كل العالم"، من القاهرة وعمان وتونس إلى إسطنبول وروما وطوكيو.

وتعرض إضافة إلى مسرحية "نعم غودو"، سبعة أفلام عراقية خلال موسم يناير الحالي من مهرجان بغداد بفرنسا، ومن المقرر أن تفتتح دورة ثالثة في مايو المقبل.

السندويشات النباتية من ماكدونالدز مجرّد كذبة

❏ **لندن** – وجود شرائح دجاج داخل شطيرة مخصصة للنباتيين فقط، تكشف عن خدعة تقوم بها شركة الوجبات السريعة الأميركية "ماكدونالدز" من خلال هذا النوع من الشطائر.

ووفقا لصحيفة ذا صن البريطانية، فإن بعض رواد المطعم الأميركي تفاجأوا بالسندويشات المخصصة للنباتيين والتي احتوت على قطع من الدجاج على الرغم من أن محتوى السندويشات النباتية يجب أن يكون خاليا من أي لحوم.

وعمد نباتيون من مختلف المناطق البريطانية بعد انتشار الخبر في كامل بريطانيا، إلى نشر صور على موقع التواصل الاجتماعي تويتر حول محتوى السندويشات النباتية الغريبة التي تحوي لحم دجاج.

وكانت سلسلة المطاعم الشهيرة في بريطانيا قد طرحت في الأسواق سندويشا نباتيا بسعر 1.9 جنيه إسترليني وتضم مكوناته المعلنة مزيجا من الخضراوات دون وجود للدجاج.

وقدمت الشركة الأميركية اعتذارا إثر انتشار الخبر، مشيرة إلى أنها طلبت من موظفيها توخي الدقة في الطلبات المقبلة.

إيقاف امرأة مصرية خاطرت بحياة طفل من أجل مفتاح

❏ **القاهرة** – أوقفت السلطات المصرية سيدة تسببت بسخط الآلاف من رواد التواصل الاجتماعي، عقب تداول مقطع فيديو لها وهي تخاطر بحياة طفل من نافذة إحدى الشقق في الطابق الثالث.

ويظهر المقطع السيدة وهي تدفع بطفل من نافذة إحدى الشقق في الطابق الثالث، لمحاولة الوصول إلى مفتاح شقتها الضائع، وسط صراخ من الطفل وخوف من السقوط.

وأفادت وسائل إعلام محلية بأن قوات الأمن أوقفت السيدة عقب تداول المقطع عبر المنصات الاجتماعية.

وأكد المجلس القومي للطفولة والأمومة (حكومي)، عبر صفحته على فيسبوك خبر التوقيف، مشيرا إلى أنه جاء بعدما تقدم "خط نجدة الطفل" (هيئة حكومية) ببلاغ ضد السيدة صاحبة الواقعة.

وجاء في بيان للمجلس أنه تابع "فيديو مصور لسيدة تقوم بدفع طفل من شباك إحدى الشقق بالطابق الثالث لشرفة الشقة المجاورة"، بمدينة 6 أكتوبر غربي القاهرة.

وأضاف البيان أن الفيديو يوضح أن السيدة تحاول إدخال الطفل نظرا لأنها فقدت مفاتيحها، وسط صراخه واستغاثته بأنه لا يستطيع، فضلا عن صيحات الجيران المحذّرة من احتمال سقوطه.

ولم تجزم الهيئة الحكومية بكون السيدة أما للطفل من عدمه.

ونال المقطع، الذي عرف إعلاميا في مصر باسم "طفل البلكونة" ولا يتسنى التأكد من صحته أو تاريخه، الآلاف من التعليقات عبر منصات التواصل بسبب ما اعتبره قسوة في التعامل وتعريض حياة طفل للخطر.

وقالت تقارير محلية إن هناك عقوبات في حالات مماثلة تصل إلى السجن والغرامة المالية.

يوتيوب يقصي المقاطع المخالفة للعلم والحقائق

❏ **سان فرانسيسكو** – قرّر موقع يوتيوب إقصاء المقاطع المنشورة عليه والتي تروّج لنظريات غريبة الأطوار مثل أن الأرض مسطحة.

وسيعمل الموقع على تعديل نظام اقتراح المقاطع، بحيث لا تعود المقاطع ذات المضامين المخالفة للعلم والحقائق كثيرة الانتشار، لكنه لن يحظرها تماما.

وكتبت إدارة يوتيوب على مدوّنتها "سنبدأ بجعل المقاطع التي تنشر أخبارا مغلوطة أقل ظهورا في قائمة الاقتراحات".

وضربت مثلا لذلك بالتسجيلات التي تتحدث عن "علاجات عجائبية لأمراض خطرة، أو تلك التي تقول إن الأرض مسطحة، أو التي تروّج لأمور بيّنة الخطأ حول أحداث تاريخية".

ويأمل الموقع من خلال هذا الإجراء في أن يحدّ من انتشار هذه المقاطع من دون حظرها، في موازنة بين "حرية التعبير" و"المسؤولية تجاه المستخدمين".

ويتعرض الموقع العملاق التابع لشركة ألفابت إلى مجموعة من الضغوط السياسية والانتقادات واتهامات بنشر الأخبار الكاذبة والترويج للعنف والتطرف.

وكان موقع يوتيوب استعان بتقنيات الذكاء الاصطناعي لرصد وحذف محتويات تحرّض على العنف والكراهية والتطرف.

انطلقت السبت الدورة الـ41 لأسبوع بالون الهواء الساخن الدولي في شاتو دوي بسويسرا

تستعد الفنانة الأميركية ماريا كاري لإحياء حفلها الأول في السعودية، حيث أشارت مدينة الملك عبدالله الاقتصادية بجدة عبر موقعها على تويتر، إلى أن حفل كاري سيقام في 31 من يناير الحالي، ضمن فعاليات البطولة السعودية الدولية لمحترفي الغولف.

صباح العرب

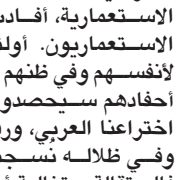

عدلي صادق

في الشتاء البرتقالي

❏ من قديم، أحببت الأرياف أينما كانت، ولم يكن للمدن عليَّ مثل غوايتها. وكلما أوصلتني الدروب إلى عاصمة أو حاضرة، سرعان ما أتفقّد ريفها القريب، وقد عشقت كل ريف!

في أيام تونس، كانت جولة العصر الرمضانية، بالسيارة، خارج المدينة وفي أي اتجاه، لتمضية وقت الصيام بحُسن المشاهدة وصفاء الأفق، وإلى حيثما تُباع طازجة على جانبي الطريق، بعض خُضرة الزرع والغلال ومشتقات الألبان. وهكذا في الجزائر وسوريا ومصر. في مثل هذه الجولات، يغشى المرء إحساس بأن الريف غنيٌ بنفسه وأن الناس فيه ينضحون بالخير، ونفوسهم نقية لم تلوثها عوادم السيارات. أما سقائف وبسطات معروضاتهم، على جانبي الطريق، فهي –بالطبع– في منأى عن حسابات الحوانيت في المدينة، والفلاحون أقل انفعالا وقلقا وتأثرا بالشكايات الاقتصادية فيها!

على الطريق الريفي شرقي الدلتا في مصر، كانت رحلتي أمس بمحاذاة ترعة الإسماعيلية. وفي هذه الأيام، يغلب اللون البرتقالي في أرياف المشرق والمغرب، ويُعرض البرتقال سيد الفاكهة، بفوائده ومباهجه، وما يجاوره من المندرين والكلمنتين. هو همزة الوصل التي امتدت تاريخيا، من مغرب الخارطة إلى مشرقها، بعكس أشتال المانجو والجوافة، وفي معيتها الباذنجان، التي وصلت محمّلة على السفن البريطانية، من الشرق الهندي إلى الغرب في مصر ثم تنقلت.

ولا يختلف اثنان، على أن الظاهرة الاستعمارية، أفادت من حيث لا يقصد الاستعماريون. أولئك كانوا يزرعون لأنفسهم وفي ظنهم أنهم سوف يظلون وأن أحفادهم سيحصدون. النخيل وحده، هو اختراعنا العربي، ورفيق مناخاتنا وأوقاتنا وفي ظلاله نُسجت حكايات الصحراء. فالبرتقالة برتغالية أصلا، واسمها العربي مشتق من اسم موطنها الأول. وأحد أنواعها في فلسطين، يُسمى حتى الآن "فالنسيا" منسوبا إلى الساحل الإسباني وتحديدا إلى المدينة الزاهية التي جاء منها.

ويقال إن الكلمنتينا التي تكاد تطفح على الطريق، بمحاذاة ترعة الإسماعيلية، حملت اسم أحد اثنين اشتركا في اختراعها بالتهجين، وهما الأب كليمون، الذي شغل قبل نحو 150 عاما، منصب مسؤول عن الزراعة في إحدى بلديات ولاية وهران الجزائرية، والطبيب "ترابو" وكان عالم نباتات فرنسي، وقد حملت الفاكهة اسمه في بقاع أخرى.

الريف في طبائع حياة الأمم، يمدّ يده إلى المدن ويصبو إليها ويغذيها، وقد أصبح في المراحل الأخيرة يدفع إليها جموعا من الشباب الذين ضاقت بهم مجالات العمل في الأرض أو عزفوا عنها. والفلاحون الوافدون إلى المدينة، يحملون قناعتهم وبساطتهم، إلى مرافق العمل المتواضعة التي يجدون فيها رزقهم.

في المرة الأولى، التي جلست فيها على أحد المقعدين في محل العصائر، في سوق شعبي في مدينة الشيخ زايد القريبة من القاهرة؛ طلبت كوب عصير برتقال كبير. استغرق الشاب الريفي علي نحو سبع دقائق في تجهيزه، سألته عن الثمن، فقال سبعة جنيهات. أعطيته ورقة العشرة، فإذا به يعيدها إليّ معربا عن رغبته في السماح.